جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية: الدعوة وأصول الدين

قسم: التفسير وعلوم القرآن

منهج الشيخ إبراهيم القطان في تفسيره تيسير التفسير

إعداد الطالب: عبد العزيز ناصري

إشراف فضيلة الدكتور:

صلاح عبد الفتاح الخالدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص التفسير في جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

٠٥/أيار/٢٠١١

التفويض

أنا الطالب عبد العزيز ناصري أفوض جامعة العلوم الإسلامية العالمية بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

التاريخ: ٢٠١١/٠٥/٠٥

الإسم: عبد العزيز ناصري

التوقيع:

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة:

" منهج الشيخ إبراهيم القطان في تفسيره تيسير التفسير"

وأجيزت بتاريخ: ٥/٥/٢٠١١

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور: صلاح عبد الفتاح الخالدي مشرفا ورئيساً	....
الأستاذ الدكتور: محمد أحمد الكردي عضوا	....
الدكتور: جهاد محمد نصيرات عضوا خارجياً (الجامعة الأردنية)	....

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أحق الناس بصحبتي...

إلى من علماني الصبر وربياني على التحمل ومكابدة الشدائد، وتحمل مشاق السفر، والسهر على طلب العلم...

إلى من اقتطعا من حياتهما حياة، وسلخا من عمرهما شباباً، حتى غدوت فتى يافعاً يأملان فيه الخير...

إلى والدي العزيزين الكريمين ...أهدي ثمرة جهدي وعملي، راجياً من المولى عز وجل أن يطيل في عمرهما، وأن يوفقني لطاعتهما، ويجيزهما عني خير الجزاء، إنه قريب مجيب الدعوات.

ومهما قدمت فلن أُؤدّي حقهما، ولا يسعني إلا أن أقول: ﴿ رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ الإسراء: ٢٤ ، وأقول: ﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ الأحقاف: ١٥

إبنكما: عبد العزيز

شكر وتقدير

يا ربنا لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد على نعمك الجسيمة، وآلائك العظيمة، وعلى ما أنعمت علي به من تمام هذا الجهد وإنجازه، فلك الحمد في الأولى والآخرة ولك الحكم وإليك الرجوع.

قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧، وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ الرحمن: ٦٠، وقال الرسول – صلى الله عليه وسلم – (لا يشكر الله من لا يشكر الناس).[1]

لذا فإنني أتوجه بالشكر الجزيل إلى كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة العلوم الإسلامية العالمية، ممثلة بكافة أعضاء هيئتها التدريسية جميعاً دون استثناء، الذين كان لهم الفضل في تحصيل العلم، جزاهم الله عنا خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى مشرفي الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، الذي رعى هذا البحث، وأشرف عليه من أوله إلى آخره، وما بخل علي بوقته وتوجيهاته ونصائحه القيمة النافعة، حتى تمت هذه الرسالة، والحمد لله.

فأدعو الله الكريم رب العرش العظيم أن يحفظه، ويطيل في عمره وأن يرزقه دوام الصحة والعافية، ويجعل هذا العمل في ميزان حسناته، إنه سميع مجيب الدعوات.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكاترة الكرام، الذين تكرموا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتبيين الأخطاء، واستكمال النقائص، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

كما لا يفوتني ذكراً أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من ساعدني وشجعني على العلم والبحث، وأخص بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور عبد القادر الأمير خياطي صاحب القلب الطيب، وزميلي مصطفى شطة، وزميلي إبراهيم الخطيب، وزميلي أحمد ابن عبد الرحمان، وزميلي محمد عياش، والشيخ أحمد حسين عبد الله حسان إمام مسجد خليل الرحمن، والمهندس محمد إسماعيل أحمد عبد الواحد، والأستاذ ثامر سلمان أبو السعود، والأخ الفاضل عبد الله نقدان، والأخ أبو محمد المنصوري، والأخت ريم قطان،وإلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة في

---

(1) ابن حنبل، أحمد أبي عبد الله الشيباني، **"مسند الإمام أحمد"**، المحقق شعيب الارنؤوط، ط٢، (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م)، رقم ٧٩٣٨، ج٦، ص٣٢٢، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان .

مشوراي الدراسي من قريب أو من بعيد، وأقول للجميع: جزاكم الله خيراً، انطلاقاً من قول الرسول – صلى الله عليه وسلم -: (من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له، حتى تروا أنكم قد كافأتموه).([1])

(1) ابن حنبل، **"مسند الإمام أحمد"**، مصدر سابق، ج٩، ص ٢٦٦، رقم الحديث٥٣٦٥.

فهرس المحتويات:

قائمة الجداول

قائمة الملاحق

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة:

منهج الشيخ إبراهيم القطان في تفسيره المسمى (تيسير التفسير)

إعداد: الطالب عبد العزيز ناصري

إشراف: الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي

تناولت هذه الدراسة منهج الشيخ إبراهيم القطان في تفسيره المسمى (تيسير التفسير)، وهو مفسر معاصر، ترك لنا تفسيراً يمتاز بسهولة العبارة، والبعد عن التكلف والتعقيد، والتفسير مطبوع، ويقع في أربع مجلدات، وكانت الدراسة وفق أصول منهجية وبحثية، معروفة في مجال البحث العلمي، واعتمدت فيها على المنهج الاستقرائي والوصفي والمنهج التحليلي والنقدي، وجاءت هذه الدراسة في خمسة فصول وخاتمة، ففي الفصل الأول، قام الباحث بالتعريف بالشيخ القطان الذي عاش بين الفترة (١٩١٨ – ١٩٨٤م)، وتعرض لحياته الشخصية والعلمية، ومؤلفاته وشيوخه، وأهم المناصب التي تقلدها، كوزيرٍ وسفيرٍ وقاضٍ ومفتشٍ ومدرسٍ وإمامٍ وخطيبٍ.

وفي الفصل الثاني تعرض الباحث للتعريف بتفسيره، والطريقة التي سلكها فيه، وفي الفصل الثالث تعرض لأهم المصادر التي اعتمدها في التفسير، أما في الفصل الرابع، فقد كشف الباحث عن منهج الشيخ في التفسير بالمأثور، وقضايا علوم القرآن، كأسباب النزول والمكي والمدني والنسخ والقراءات القرآنية والقصص القرآني، وتعرض الباحث للجانب العقلي في هذا التفسير، وبين منهج الشيخ في التفسير بالرأي وما يتعلق به، كتنزيل آيات القرآن على الواقع المعاصر، وأخذه من الكتب المقدسة، وفي الفصل الخامس وضع الباحث هذا التفسير في الميزان، بما فيه من مزايا ومآخذ، وفي نهاية الدراسة كانت الخاتمة، وفيها خلاصة ما توصل إليه من نتائج وأفكار، وكان أهمها محاولة تعريف الدارسين والباحثين بشخصية الشيخ القطان، وتسليط الضوء على تفسيره، وبيان منهجه، وإبراز قيمته العلمية، وهي فرصة لبيان قدر ومكانة هذا المفسر.

راجياً من المولى سبحانه وتعالى أن يكون قد وفّقني وأعانني وسدّد خطاي، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم ينبوع الحكمة ودستور الأمة، ودواء أسقامها، ومزيل تخلفها، لا اهتداء إلا باتباعه، ولا صلاح إلا بالرجوع إليه وتطبيقه.

والضلال والفساد حاصل بالإعراض عنه، كما قال تعالى ذكره وجل شأنه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢ ، لذلك كان على طالب الهداية والصلاح، أن يديم الصلة بالقرآن، تلاوة وتدبراً وعملاً، ومصداق ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩، فالتدبر خصلة من خصال أهل الايمان والتقى، وسبيل من سُبل أهل العلم، لتزداد معارفهم بهذا الكتاب العظيم، وتقوى صلتهم به.

وفهم القرآن الكريم يتوقف - بعد توفيق الله تعالى - على قريحة صافية، وذهن نير، وتعمق في اسرار البيان العربي، ودراية واسعة بالسنة المطهرة، بالإضافة إلى معارف المفسر الثقافية، وباجتماع هذه الأمور، لم يبق للمفسر إلا أن يجاهد نفسه على الاخلاص في عمله، ولزومه هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنهما شرطا قبول الأعمال.

وقد اعتنى علماء الإسلام بالقرآن الكريم عناية كبيرة، منذ فجره الأول، حفظاً ودراسة وتفسيراً، وشهدت القرون المتعاقبة من عمر هذه الأمة، أئمة أعلاماً، وهبوا أنفسهم خدمة لكتاب الله تعالى في شتى علومه المختلفة، وما المؤلفات والمصنفات التي تزخر بها المكتبات الإسلامية اليوم، إلا خير دليل على الجهود القيمة المبذولة من علماء هذه الأمة.

ويعتبر التفسير من بين العلوم التي أخذت القسط الأكثر، ونالت الحظ الأوفر من حيث التأليف، فهناك الكثير من التفاسير التي لا تعد ولا تحصى، سلك فيها أصحابها طرقا ومناهج مختلفة، كلٌّ حسب ثقافته وآرائه، فمنهم الخائض في إعجاز القرآن وبلاغته ولطائفه الإعرابية، ومنهم الباحث في قضاياه الفقهية، ومنهم المنقب في جوانبه العقدية وهكذا.

والشيخ القطان واحد من أولئك العلماء الفضلاء، الذين خدموا كتاب الله تعالى، وأسهموا إسهاما واضحا في هذا المجال، فلقد ألف تفسيره في مدة خمس عشرة سنة تقريباً، بعد جهد وصبر

ومثابرة، قال الشيخ: (هذا ما وفقني الله وأعانني عليه، من وضع هذا التفسير، الذي دأبت على ترتيبه وتهذيبه ومراجعته بكل ما في وُسعي وطاقتي و ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ ﴾ الطلاق: ٧، وقد كان الفراغ من هذا التفسير الميسر بإذن الله، يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٣ه، الموافق للثامن والعشرين من شهر حزيران عام ١٩٨٣م، وكنت قد بدأت العمل به في أواخر عام ١٩٦٣م في الرباط بالمغرب الأقصى، وأنا سفير لبلدي هناك، ولكن لم أستطع متابعة العمل فيه، لكثرة الاشغال، والأسفار، والتنقل من المغرب، إلى الكويت، إلى بكستان وماليزيا واندونيسيا، فكنت أتوقف عن العمل الشهور والأيام، وهكذا بقيت مشتتاً غير مستقر إلى أن عدت إلى عمان، واستقر بي النوى، فأخذت أُتمّم ما شرعت فيه، وقد أنجزت التفسير بعد جهد وصبر، وليست هذه الأعوام الخمسة عشر ما بين ١٩٦٨ – ١٩٨٣م هي المدة الحقيقية في العمل بهذا التفسير، وإنما هي نتيجة عمل متواصل في نصف قرن كامل من الدراسة والبحث، والتنقيب والاطلاع، وجمع المعلومات، وجمع التفاسير، والتفكير في عمل التفسير).(١)

ورغبة مني في التعرف على هذا العالم، والوقوف على جوانبه الشخصية، ومنهجه في التفسير، فإني تقدمت بهذا البحث لكلية أصول الدين، هذا الصرح العلمي الطيب، الذي نلت شرف الدراسة فيه، والتتلمذ على يدي شيوخه وعلمائه، وعلى رأسهم وفي مقدمهم شيخنا الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، حفظه الله ونفعنا بعلمه آمين.

أهمية موضوع البحث:

تتناول هذه الدراسة، منهج الشيخ إبراهيم القطان في تفسيره المسمى (تيسير التفسير)، وفق أصول منهجية وبحثية معتمدة في مجال البحث العلمي، وستعرض الدراسة ترجمة هذا العالم، وحياته الشخصية والعلمية، ومؤلفاته وشيوخه، وسأحاول تبيان منهجه، والطريقة التي سلكها في تفسيره، والمصادر التي اعتمدها، كما سأحاول الكشف عن مدى جمعه بين التفسير بالمأثور والرأي في تفسيره، وكذا القضايا الفقهية والعقدية، كما سأتحدث عن مدى عنايته بعلوم القرآن، من أسباب النزول والمكي والمدني والنسخ والقراءات القرآنية، وغيرها من القضايا التي تناولها الشيخ، كأخذه من كتب الشيعة، واستشهاده بالكتب المقدسة ومقارنتها بالقرآن.

---

(١) القطان: إبراهيم ياسين" **تيسير التفسير** "، راجعه وقام بضبطه والإشراف على طباعته: عمران أحمد أبو حجلة، ج٤، ص٦٥٣، الطبعة الأولى (١٤٠٢ه – ١٩٨٢م)، مطابع الجمعية العلمية الملكية، عمان.

وأخيراً سأتكلم عن هذا التفسير وأضعه في الميزان، بما فيه من مزايا ومآخذ، وفي نهاية الدراسة تكون الخاتمة، وفيها خلاصة ما توصلت إليه من نتائج وأفكار، راجياً من المولى سبحانه وتعالى، أن يوفقني ويعينني ويسدد خطاي، إنه نعم المولى ونعم النصير.

سبب اختيار الموضوع وأهميته:

١ – خدمة كتاب الله تبارك وتعالى، الذي تسابق لخدمته العلماء، حفظاً ومطالعة وقراءة وشرحاً وتفسيراً وتعليماً...

٢ – حبي لدراسة مناهج المفسرين، فمنذ أن درست هذه المادة في البكالوريوس والماجستير، أثرت في نفسي أثراً كبيراً، وحُبِّبَ إليَّ هذا النوع من العلم الذي يخدم كتاب الله سبحانه وتعالى.

٣ – بعد البحث والتقصي، لم أتمكن من إيجاد أي دراسة تناولتْ تفسير الشيخ القطان، مما حبَّبَ إليَّ البحث في هذا الموضوع لجدته، وهو المطلوب في البحث العلمي.

٤ – دراسة مناهج المفسرين، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، تعطي الباحث فوائد كثيرة، حيث يعرف جهودهم، ويستفيد من كتاباتهم وطرقهم وأساليبهم، التي اتبعوها في التأليف، كما يستطيع الباحث أن يحدد مكانة المفسر بين المفسرين، من خلال تفسيره.

٥ – الرغبة الذاتية لديَّ، بدراسة تفسير من التفاسير المعاصرة، دراسة شاملة، ومقارنتها بالتفاسير القديمة المشهورة، وتحقيق الفائدة المرجوة من الطريقة التي سار عليها المفسر.

٦ – بروز الشيخ القطان في العصر الحديث، وشغله لعدة مناصب سيادية، كوزيرٍ وسفيرٍ وقاضٍ ومفتشٍ ومدرسٍ وإمامٍ وخطيبٍ.

٧ – لأن هذا التفسير من التفاسير المعاصرة- كما سنرى في البحث - والمنتمية لمدرسة الشيخ محمد عبده في التفسير، وتتلمذ الشيخ القطان على أكبر أعيان هذه المدرسة، وهم: محمد رشيد رضا ، وكذلك على الشيخ محمد مصطفى المراغي - وهؤلاء من كبار تلاميذ محمد عبده كما هو معروف - وأيضا على الشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد إبراهيم الظواهري.

لهذه الأسباب وغيرها، اخترت منهج الشيخ إبراهيم القطان، موضوعاً للدراسة.

مشكلةالدراسة: تعريف الدارسين والباحثين بشخصية الشيخ القطان، والوقوف على جوانب شخصيته العلمية، وتسليط الضوء على تفسيره، وبيان منهجه، وإبراز قيمته العلمية، وهي فرصة لبيان قدر ومكانة هذا المفسر.

والشيخ القطان مفسر معاصر، ترك لنا هذا التفسير، الذي يمتاز بسهولة العبارة، والبعد عن التكلف والتعقيد، والتفسير مطبوع، يقع في أربع مجلدات، وقد قرأت فيه، ووجدت فيه مادة علمية لابأس بها، ولذا فإني رأيت أن أقوم بدراسة هذا التفسير، أكشف من خلالها عن منهج الشيخ القطان فيه، وفق منهجية البحث المعروفة.

وستجيب هذه الدراسة على عدة أسئلة منها: من هو الشيخ القطان؟ وما هو منهجه في تفسيره؟ وما مصادره التي اعتمد عليها؟ وما هي القيمة العلمية لهذا التفسير؟ وما مكانته ووزنه بين التفاسير المتقدمة؟ وما هي المحاور التي يدور عليها منهجه في التفسير؟

وستعالج هذه الدراسة منهج الشيخ القطان في تفسيره، وفق أصول منهجية وبحثية معتمدة في مجال البحث العلمي، وقد جاء هذا التفسير بلغة العصر، وكان أسلوبه من السهل الممتنع.

خطة البحث:

الفصل الأول: التعريف بالشيخ القطان

المبحث الأول: ولادة الشيخ القطان

المبحث الثاني: دراسة الشيخ القطان وحياته العلمية

المبحث الثالث: الوظائف التي تقلدها الشيخ القطان

المبحث الرابع: آثار الشيخ القطان العلمية

المبحث الخامس: الشيخ القطان والعصر الحديث

الفصل الثاني: التعريف بتفسير الشيخ القطان

المبحث الأول: مدخل إلى تفسير القطان

المبحث الثاني: مع الشيخ القطان في مقدمة تفسيره

المبحث الثالث: طريقة الشيخ القطان في تفسيره

المطلب الأول: أخذه من التفاسير دون ذكرها

الفصل الثالث : مصادر الشيخ القطان في تفسيره

المبحث الأول: مصادر القطان من كتب التفسير

المطلب الأول: مصادره من كتب التفسير القديمة

المطلب الثاني: مصادره من كتب التفسير الحديثة

المطلب الثالث: أخذه من تفاسير الشيعة

المبحث الثاني: مصادره من كتب علوم القرآن والسنة والسيرة النبوية

المطلب الأول: مصادره من كتب علوم القرآن

المطلب الثاني: مصادره من كتب السنة

المطلب الثالث: مصادره من كتب السيرة

الفصل الرابع: منهج الشيخ القطان في التفسير

المبحث الأول: منهجه في التفسير بالمأثور

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن

وقد حاولت في هذا البحث جاهداً، أن ألتزم الموضوعية والإنصاف، في الحكم على المفسر وتفسيره، واتبعت قدر الإمكان، المنهج العلمي الملتزَم به في البحوث العلمية، فرقمت الآيات القرآنية، وخرجت الأحاديث النبوية، وكذلك الأبيات الشعرية، ووثقت المراجع، ونسبت النصوص إلى أصحابها، ووثّقت ما نقله الشيخ عن غيره، وربما كبرت بعض الحواشي حتى أتت على نصف الصفحة أو أكثر، وهي تعليقات يرى الباحث أنها مكملة وموضحة للمسائل التي تطرق إليها البحث.

وما كان لي أن أنهي هذه المقدمة، دون أن أسجل شكري الجزيل، وتقديري واحترامي الكبيرين لمشرفي الدكتور: **صلاح عبد الفتاح الخالدي** الذي شملني والبحث برعايته، فأسأل الله العلي القدير أن يبارك في علمه وعمله، وعمره وصحته، وأن يجزيه عني وعن العلم وطلبته خير الجزاء.

وبعد هذا فلا أزعم أني راضي النفس عن ما كتبت، ولا مطمئن القلب لما جمعت، وحسبي أني بذلت ما بوسعي من جهد، وغاية ما أرجو، أن أكون قد وفقت لما قصدت إليه في هذا البحث، وأن أكون قد مهدت السبيل إلى معرفة الشيخ وتفسيره.

وإنني بعد ذلك منشرح الصدر، منفتح القلب، لكل نصح يتمثل في إضافة أو تعديل، أو تصحيح وتقويم، ولا أدّعي الكمال في ما قدّمتُ، بل الكمال لله سبحانه وتعالى، وإن وقوع الإنسان في أخطاء أمر طبيعي، لأن النقص سمة من سمات البشر، ولا يجوز لنا أن ننزه أي إنسان، مهما كانت درجته من العلم، عن الوقوع في الخطأ، فكل إنسان يؤخذ منه ويرد إلا الرسل – عليهم السلام – المعصومون عن الخطأ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – **(من اجْتهد فَأصَاب فَلهُ أَجْرَانِ، وَمن أَخطَأ فَلهُ أجر وَاحِد)**(١)، فأتمنى أن أَكُونَ قد وفِّقتُ في عملي هذا، حتى يكون لي أجران بإذن الله، وذلك الفضل من الله تعالى، وإن كانت الأخرى، فأحصل على أجر واحد، وإني أبرأ إليه من شر جهلي، وأسأله تعالى أن يعفو عن الخطأ والزلل، وأن يوفقني للصواب في القول والعمل، وهو حسبي ونعم الوكيل، عليه توكلت وإليه أنيب.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث: عبد العزيز ناصري

---

(١) حديث صحيح أخرجه الشيخان، أنظر: ابن الملقن: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد، **"البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير"**، تحقيق: مصطفى أبو الغيط و عبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، كتاب القضاء، الحديث الأول، ج٩، ص ٥٢٥، دار الهجرة للنشر والتوزيع الرياض السعودية.

الفصل الأول: التعريف بالشيخ القطان

المبحث الأول: ولادة الشيخ القطان

المبحث الثاني: دراسة الشيخ القطان وحياته العلمية

المبحث الثالث: الوظائف التي تقلدها الشيخ القطان

المبحث الرابع: آثار الشيخ القطان العلمية

المبحث الخامس: الشيخ القطان والعصر الحديث

المبحث الأول: ولادة الشيخ القطان

لقد اطلعت على حياة الشيخ إبراهيم القطان في عدة كتب ومجلات، كما سأذكرها لاحقا، فمنها من أطنب ومنها من اختصر، وهذا نظراً لمكانة الشيخ رحمه الله، وتقلده لعدة مناصب عليا، ولكنني لم اقتنع بهذا، فذهبت إلى ابنته الفاضلة الأستاذة ريم القطان، وطلبت منها أن تسطر لي ترجمة عن أبيها الشيخ إبراهيم القطان - رحمه الله – فكانت لمطلبي من المستجيبين، مشكورة ومأجورة - بإذن الله- وسأرفقها كملحق في آخر الرسالة، وهي عبارة عن شهادة موثوقة من أقرب المقربين للشيخ - رحمه الله -.

هو الشيخ إبراهيم ياسين إبراهيم القطان، ينحدر من أسرة سورية، أتت إلى عمان من دمشق في بداية تأسيسها، في حدود سنة (١٨٤١م)، أي في العهد التركي، حيث جاء جده إبراهيم، الذي كان يعمل تاجراً متنقلا بين الشام والحجاز وبغداد آنذاك، وسكن قرب المسجد الحسيني الكبير في وسط مدينة عمان، وكانت عمان في ذلك الوقت خليطاً من الوافدين، مثل الشركس والتجار وبعض القبائل العربية، لا يتجاوز عددهم بضع مئات، واتخذ جده عمان مقرا له، وترك عائلته في دمشق.(١)

أشار الشيخ إبراهيم القطان في مذكراته إلى أنه لا يعرف تاريخ ولادته بالضبط، وإنما حصر ولادته بين عامي (١٩١٣و١٩١٥م(٢))، وهذا نظراً للظروف الإجتماعية آنذاك، التي لم تكن تهتم بضبط تاريخ الولادة، وحسب رأيي أن المنطقة كانت في حينها تابعة للدولة العثمانية، ومعلوم أن الدولة العثمانية في ذلك الوقت كانت في آخر عهدها، وكانت الأمية منتشرة في معظم أقاليمها، بعكس وضعنا اليوم، ولذلك لم يكن هناك دوائر مدنية لتسجيل المواليد، وقد قال هذا الكلام الشيخ إبراهيم القطان في مذكراته، وأشار إلى إن أحدا لم يسجل تاريخ ولادته، والغريب في الأمر أنه ولد في عمان، ولا ندري كيف كانت عمان في ذلك الوقت.

وهناك ملاحظة أخرى، وهي أن أبناءه يختلفون معه في تاريخ ولادته، وهذا غريب في نظري، حيث إنهم لم يوافقوه في ما ذهب إليه في مذكراته، وهي حصر تاريخ ولادته بين عامي(١٩١٣و١٩١٥م)، ويرجحون أنه ولد في سنة (١٩١٦م(٣))،ولقد ناقشت هذا الموضوع مع

---

(1) القطان، إبراهيم ياسين" **المذكرات والرحلات** "، تحقيق أ. د.صلاح جرار، وكايد هاشم، وريم القطان، مطبعة السفير٢٠٠٧، وزارة الثقافة الاردنية، ص ٩٣ – ٩٩ بتصرف .

(2) المرجع السابق، ص ١٠٢

(3) المرجع السابق، ص ١٤

ابنته الأستاذة ريم، ولكن لم أخرج بنتيجة، فيكون تاريخ ولادته محصوراً بين سنتي (١٩١٣ إلى ١٩١٦م).

وقد ذكر محمد أبو صوفة أنه ولد في عمان سنة (١٩١٦م)([1])، وسأذكر لاحقاً أن الشيخ قد اتمّ دراسته الابتدائية في سنة ١٩٢٥م، وكان عمره حوالي ١٢ سنة، وهذا يرجح أنه من مواليد عام ١٩١٣م، والله أعلم .

وذكر الشيخ إبراهيم القطان في مذكراته التي كتبها عندما كان سفيراً للأردن في المملكة المغربية بين عامي (١٩٦٧ – ١٩٧٣م)، أن والده كان يعمل في الجيش التركي ثم الأردني، بعد تأسيس المملكة، وكان قائدا لمخفر الشوبك في جنوب الأردن، وحكى قصة زيارته لوالده في الشوبك في ذالك الوقت، وذكر صعوبة المواصلات في حينها، وأنهم كانوا يعيشون بمرتب أبيه من الجيش([2]).

---

(1) أبو صوفة، محمد، " **من أعلام الفكر والأدب في الأردن** "، الطبعة الأولى (١٤٠٣ه١٩٨٣) مكتبة الاقصى، عمان الأردن، ص٣٢٣ .

(2) القطان، إبراهيم ياسين" **المذكرات والرحلات** "، مرجع سابق، ص ٣٨ ،١٠٢ ، ١٤٦ بتصرف.

المبحث الثاني: دراسة الشيخ القطان وحياته العلمية

أشار الشيخ إبراهيم القطان في مذكراته إلى أنه تلقى تعليمه أول الامر في الكتاتيب التي كانت تهتم بتعليم القرآن، وبعدها في المدرسة الحكومية، حيث قال: (فُتحت المدرسة في عمان، ودخلتها وقُبلت في الصف الثاني رأساً، لأني كنت في الكُتّاب قبل ذلك، وأعرف القراءة والكتابة جيداً، وقرأت قسماً كبيراً من القرآن، وأعرف الأعمال الأربعة في الحساب(١)، ومشيت في المدرسة جيدا، وفي آخر السنة كنت الأول في الصف ولا أنسى ذلك).(٢)

وأشار إلى أن المدرسة لم تختلف عن الكُتّاب في ذلك الوقت إختلافا كبيرا، حتى إن المدرسين كان معظمهم من شيوخ الكُتّاب، قال الشيخ: (لم تزد المدرسة على الكتّاب إلا بتنوع المعلومات، فلم تتمتع بشيء من الوسائل الحديثة التي نراها اليوم، ولم نعرف سوى القراءة والدرس والعقاب والعصا، والمكافأة في آخر السنة للبارزين، فلا أذكر أننا ذهبنا رحلة إلى بلد مجاور ولا حتى في داخل الاردن، ولا أذكر أن عندنا لعبة رياضية، أو أية تسلية مما هو موجود الآن).(٣)

وأشار الشيخ إلى أنه بعد إتمام دراسته الابتدائية في سنة ١٩٢٥م، انتقل إلى مدرسة الصناعة حيث قال: (في هذه الفترة أكملت دراستي الإبتدائية، وكُنتُ فيها حائراً لا أدري ماذا أصنع، فقد سئمت المدرسة، وكان لنا جيران، عندهم أولاد رفقاء لي، لم يكونوا ناجحين فيها، فأغروني أن أذهب معهم، لندخل مدرسة الصناعة، فقد فتحت من جديد، وذهبنا وانتسبنا إلى تلك المدرسة، علّنا نجد شيئا جديدا فيها، وما لبثتُ أن عرفتُ أنني أخطأت، وخجلت أن أعود إلى المدرسة، وهكذا أمضيت نحو سنتين فيها لم أفلح في تعلم أي صنعة، وقد تنقلت مابين الحِرف الثلاثة الموجودة فيها آنذاك، وهي :النجارة والحِدادة وصناعة الأحذية).(٤)

وبقي الشيخ رحمه الله طوال هذه الفترة في عمان إلى سنة ١٩٣١م، ثم تعرّف على الشيخ الجليل محمد الأخضر الشنقيطي، وهو من كبار العلماء الموجودين في ذلك الوقت في عمان، فكان لهذه الشخصية دوركبير في حياة الشيخ إبراهيم القطان، حيث أثنى عليه كثيرا في مؤلفاته، وتأثر به تاثرا واضحاً.

درس الشيخ إبراهيم القطان على الشيخ محمد الأخضر الشنقيطي العلوم الشرعية واللغوية، ولازمه مدة أربع سنوات، وقال في مذكراته إنه كانت له حلقة درس يحضرها كبار الشخصيات، ومنهم جلالة الملك عبد الله - طيب الله ثراه - أحيانا، وكان يستقبله ببشاشة، ويقبل يده أمام

---

(1) الاعمال الأربعة: الجمع والطرح والضرب والقسمة.

(2) القطان، إبراهيم ياسين" **المذكرات والرحلات** "، مرجع سابق، ص ١٣٠ .

(3) المرجع السابق، ص١٣١ .

(4) المرجع سابق، ص١٤٤

الناس إحتراما له ولعلمه، ثم نصحه الشيخ الشنقيطي بأن يكمل دراسته في الأزهر الشريف، فسافر إلى مصر، والتحق بالأزهر سنة ١٩٣٥م، وحصل على اللّيسانس في الشريعة سنة ١٩٣٩م، ثم نال شهادة العالمية والتخصص في القضاء الشرعي سنة ١٩٤١م.(١)

ولابد أن أشير إلى أن ثقافة الشيخ رحمه الله ازدادت خلال وجوده في مصر، فلقد كانت القاهرة آنذاك حاضرة العلم والعلماء، فكان فيها من الشعراء الكبار أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، ومن الأدباء الكبار طه حسين والعقاد وإبراهيم عبد القادر المازني وأحمد أمين وتوفيق الحكيم، ولا شك أن الشيخ قد التقى بهم، وحضر ملتقياتهم، واطلع على مؤلفاتهم.

قال الشيخ: (أما أدباء مصر وعلماؤها، فلم يفتني محاضر منهم من أمثال: طه حسين، ولطفي السيد، ومحمد حسين هيكل، ومحمد زكي مبارك، وعبد الوهاب عزام، والسباعي بيومي، وأحمد جاد المولى، ولطفي جمعة، وحافظ رمضان، والدكتور أحمد غلوش...وكانت مصر في تلك الفترة تعج بالشعراء والكتاب والادباء، وكانت وفاة شوقي وحافظ قريبة العهد، ولا يزال أصدقاؤهما وتلاميذهما على قيد الحياة، وكان الحديث عنهما يدور في المجالس والأندية وفي الصحف).(٢)

ومما زاد في سعة اطلاعه وعلمه أيضا، أنه كان عصامياً، يدرس من أُمهات الكتب، ويحاول أن ينتهي منها في أقرب وقت، لينتقل إلى كتاب آخر، يقول الشيخ عندما كان يدرس عند الشيخ محمد الأخضر الشنقيطي: (وبدأت أقرأ ألفية ابن مالك، ودرستها على الشيخ، وحفظتها عن ظهر قلب حفظاً جيداً، مع قراءة شرح ابن عقيل، ومع حفظ الشواهد، وشرح ما يتعلق بها، وبذلك أتقنت النحو والصرف إتقاناً جيداً، وما عدت محتاجاً لدراسته مطلقاً).(٣)

---

(1) القطان، إبراهيم ياسين" **المذكرات والرحلات** "، مرجع سابق، ص ١٤، ١٢٠، وانظر ترجمته في كتاب: أبو صوفة، محمد، "**من أعلام الفكر والأدب في الأردن** "، مرجع سابق، ص٣٢٣ ، وانظر: العجلوني: إبراهيم خليل "**الحرية والحضارة الإنسانية في فكر الشيخ إبراهيم القطان، مجلة المواقف**"، السنة الثانية، العددالأول صفر ١٤٠٩ه – ايلول ١٩٨٨م الجبيهة عمان. وانظر: النجار: تيسير " **رجال في ذاكرة الوطن، مجلة أفكار** "، سنة ٢٠٠٢ العدد ١٦١، وزارة الثقافة، عمان، ص ١١٤ – ١١٧

(2) القطان، إبراهيم ياسين" **المذكرات والرحلات** "، مرجع سابق، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ بتصرف

(3) المرجع السابق، ص ١٥٦ بتصرف

المبحث الثالث: الوظائف التي تقلدها الشيخ القطان

تقلد الشيخ إبراهيم القطان عدة مناصب، وأغلبها مناصب عليا، وهذا ما يدل على مكانته العلمية والعملية، فبعد عودته إلى عمان سنة ١٩٤١م، عين رئيسا لكتّاب المحكمة الشرعية، ثم قاضياً لمحكمة الكرك الشرعية بين سنتي ١٩٤٢و ١٩٤٧م، ثم نقل إلى وزارة التربية والتعليم مفتشاً للعلوم الدينية واللغة العربية حتى سنة ١٩٦١م، حيث عين مديراً للشرعية، وفي سنة ١٩٦٢م، عين قاضياً للقضاة ووزيراً للتربية والتعليم حتى سنة ١٩٦٣م، وبعد ذلك عمل محامياً حتى سنة ١٩٦٥م،ثم عين مرافقاً لصاحب السمو الملكي، الأمير الحسن بن طلال بدرجة سفير في وزارة الخارجية، وفي سنة ١٩٦٧م، عين سفيراً للأردن في المملكة المغربية حتى نهاية اذار ١٩٧٣م، وكان في الوقت نفسه سفيراً غير مقيم في موريتانيا.

وفي تموز١٩٧٣م عين سفيراً للأردن في الكويت حتى نهاية اذار ١٩٧٤م، وعمل بعد ذلك محاضرا في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية في موضوع مقارنة الأديان، وفي سنة ١٩٧٥م، عين سفيراً للأردن في باكستان وسفيراً غير مقيم في ماليزيا .

وفي أوئل حزيران ١٩٧٧م عين قاضياً للقضاة، وبقي في وظيفته إلى أن وافاه الأجل سنة ١٩٨٤ م .

وكان رحمه الله عضواً في مجمع اللغة العربية الأردني، ومجمع اللغة العربية في القاهرة بعد تأليف كتابه عثرات المنجد، ومجمع اللغة العربية العراقي، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة ال البيت) في عمان، ورابطة الكتاب الأردنيين، وجمعيات أخرى، وقد نال عدداً من الأوسمة في الاردن والمملكة المغربية.(1)

يقول محمد أبو صوفة في كتابه (من أعلام الفكر والادب في الأردن): (والشيخ إبراهيم القطان يحمل عدداً من الأوسمة، منها وسام الاستقلال من الدرجة الثانية والأولى، ووسام الكوكب الأردني من الدرجة الثانية والأولى، ووسام العلم من المملكة المغربية، وهو عضوٌ في عدة مجامع لغوية، وعضو في عدة جمعيات، منها جمعية الثقافة الإسلامية، وجمعية الهلال الأحمر، وجمعية الإسلام والغرب، وعضو في رابطة الكتاب الأردنيين، والشيخ إبراهيم القطان يحظى باحترام

---

(1) القطان، إبراهيم ياسين" **المذكرات والرحلات** "، مرجع سابق، ص١٥، وانظر: أبو صوفة، محمد، " **من أعلام الفكر والأدب في الأردن** "، مرجع سابق، ص٣٢٣ ، وانظر: العجلوني: إبراهيم خليل "**الحرية والحضارة الإنسانية في فكر الشيخ إبراهيم القطان، مجلة المواقف"**، السنة الثانية، العددالأول صفر ١٤٠٩ه – ايلول ١٩٨٨م الجبيهة عمان، وانظر: النجار: تيسير "**رجال في ذاكرة الوطن، مجلة أفكار** "، سنة ٢٠٠٢ العدد ١٦١، وزارة الثقافة، عمان، ص ١١٤ – ١١٧ .

الجميع، نظرا لما تتميز به شخصيته من علم واطلاع واسع، وتواضع وسمعة طيبة، فقد حاز على اعجاب واحترام السياسيين والعلماء على السواء).([1])

(1) أبو صوفة، محمد، **" من أعلام الفكر والأدب في الأردن "**، مرجع سابق، ص٣٢٥.

المبحث الرابع: آثارالشيخ القطان العلمية

ترك الشيخ إبراهيم القطان عدة مؤلفات في أنواع شتى من العلوم، وهذا يدل على سعة اطلاعه وعلمه، رغم الوظائف والمهمات الصعبة التي كان يشغلها، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط لم يطبع بعد، وسأُعرّف القارئ بأهمها، وأذكر منها:

١ - المؤلفات المنشورة :

١ - المذكرات والرحلات للشيخ إبراهيم القطان (١٩١٦-١٩٨٤م) تحقيق ا. د.صلاح جرار، وكايد هاشم، وريم قطان وزارة الثقافة الاردنية ٢٠٠٧ مطبعة السفير.(١)

وهذا كتاب في حوالي ٥٠٠ صفحة، وهو على قسمين: القسم الأول للمذكرات، والقسم الثاني للرحلات.

ففي القسم الأول: المذكرات، جاء الشيخ إبراهيم بمقدمة لطيفة تحدث فيها عن ولادته في عمان، وتعلقه بها، وعن حب الأوطان والحنين اليها، وبين فيها أنه كتب هذه المذكرات وأعاد ترتيبها عندما كان سفيرا للأردن في المملكة المغربية (١٩٦٧ – ١٩٧٣م)، فذكر تاريخ عمان، ثم مجيء الشركس إليها سنة ١٨٧٨م، ثم مجيء الشيشان اليها سنة ١٩٠٥م، ثم مجيء الناس إليها، ومجيء أجداده من الشام إلى عمان، ثم وصول الخط الحديدي الحجازي من دمشق إلى عمان سنة ١٩٠٢م، ثم قيام الحرب العالمية الأولى، ومجيء الأمير عبد الله بن الحسين، وتأسيس الإمارة، وتشكيل أول حكومة أردنية برئاسة رشيد طليع يوم ١١ ابريل ١٩٢١م، ووقف الشيخ إبراهيم القطان في هذه المذكرات عند أبرز الأحداث السياسية، مثل عصيان الكورة سنة ١٩٢١م، والثورة السورية في بلاد الشام سنة ١٩٢٦م، ومعركة الخضر، وكيف دفعت الثورة السورية بكثير من العائلات السورية للقدوم إلى عمان.. وتحدث أيضا عن زلزال عمان وآثاره سنة ١٩٢٧م، وتحدث أيضا عن فتنة التيجانية التي وقعت في دمشق وامتدت إلى عمان سنة ١٩٣٤م .

وتشتمل المذكرات على دراسته في الأزهر الشريف (١٩٣٥ – ١٩٣٩م) ونظام التعليم فيه وانتقاده له، وانتقد أيضا بعض الشيوخ لجمودهم وعدم محاولتهم التجديد و التقدم، وعرفنا ببعضهم، ووصف لنا النشاط الأدبي والثقافي في القاهرة، وما كان يحضره من المجالس والمنتديات، ثم حدثنا بعد ذلك عن قصة دخوله الوزارة سنة ١٩٦٢م، وكيف أصبح وزيراً للتربية والتعليم، وبه أنهى مذكراته.(١)

أما الرحلات - وهي القسم الثاني من الكتاب - فإنها تشمل على وصف لبعض أسفاره التي كان بعضها في مهمات رسمية، وتضم الرحلات التالية :

---

(1) القطان، إبراهيم ياسين" **المذكرات والرحلات** "، مرجع سابق، ص ١٨ ٢٢.

١ - رحلة إلى الكويت والجزيرة العربية سنة ١٩٥٣م، وانتقاده للمرأة الكويتية، حيث قال: (وحالة المرأة الكويتية متأخرة جدا، يرجى في النهضة الحديثة أن تأخذ مكانها في المجتمع وتسترد حقوقها).

٢ - رحلة إلى الخليج العربي سنة ١٩٥٤م.

٣ - رحلة إلى المغرب العربي (١٩٥٩ -١٩٦٠م).

٤ - رحلة إلى الاندلس سنة١٩٦٠م .

٥ - رحلة إلى مصر وبلاد النوبة سنة ١٩٦٠م .

٦ - رحلة إلى ألمانيا الغربية سنة ١٩٦٤م، حيث وصف هذه الرحلة وركز على المظاهر الإيجابية عند الشعوب المتقدمة، مقارناً أحوالهم بأحوالنا، ومنتقداً أوضاعنا، وداعياً إلى أن نصلح من شأننا، فعند زيارته لألمانيا الغربية زار مدرسة نموذجية، لها مدير مقطوع اليدين، وعلق الشيخ على ذلك بقوله : (تصوروا إنساناً يداه مقطوعتان يعمل مديراً لمدرسة نموذجية، ولو كان عندنا لرمي في داره ومات جوعا)، وتعليقه على قول أحد الالمان بأن ضيق الوقت مشكلة عندهم، فقال: (تعال إلى بلدنا وخذ وقتاً قدر ماتريد، فإن الوقت عندنا لا قيمة له، وهو من أرخص الأشياء في بلدنا)(٢)

٧ - رحلة إلى اليمن سنة ١٩٦٤م .

٨ - رحلة إلى اندونيسياسنة ١٩٦٥م.

٩- رحلة إلى الهند.(٣)

والقاريء في هذا الكتاب يلاحظ أن الشيخ إبراهيم القطان، لم يسرف في الوقوف على تفاصيل حياته الشخصية، وأن الذي ذكره كان على سبيل البيان والتوضيح فقط، وأخذ العبرة من التجارب السابقة، ومحاولة إصلاح الأمة الإسلامية بربط الماضي بالحاضر، وهذا يدل على تواضعه الشديد، وثقافته الواسعة في مختلف الميادين المعرفية.

٢ - عثرات المنجد في الآداب والعلوم والأعلام، دار القرآن الكريم، الكويت ١٩٧٢م، ويقع هذا الكتاب في حوالي (٦٥٠ ص).

يقول محمد أبوصوفة عن هذا الكتاب: (أما كتابه القيّم (عثرات المنجد)، فهو نقد وتصحيح للمنجد في الآداب والعلوم تأليف الأب (فرديناند توتل) بطبعاته الثلاث، فقد عني الشيخ بتصحيح ونقد لألفين وأربعمائة وأربع وثلاثين مادة في طبعات المنجد الثلاث، يقول في المقدمة :

---

(1) القطان، إبراهيم ياسين" **المذكرات والرحلات** "، مرجع سابق، ص٢٠.

(2) المرجع السابق، ص٢٢

(3) المرجع السابق، ص ٢٠

(ولا أدعي أني بلغت مرتبة الناقد، الذي يصدر الحكم الذي لايرد، وإنما أحاول جهدي ما استطعت تصحيح ما اطلعت عليه من أخطاء في هذا الكتاب، مبينا ذلك بالأدلة، مستندا إلى المصادر الموثوقة، ولا أدعي أني استقطبت كل ما جاء فيه، ولما طالت صحبتي لهذا الكتاب، جعلت تتكشف لي فيه أخطاء فادحة، وتحريف مذهل، وتشويه لحقائق تاريخية يكاد يكون مريباً، بالإضافة إلى أنّ في لغة الكتاب عجمة ظاهرة أحياناً، وفيه عامية ولحن واضح في بعض المواد، لا يقع فيه من كانت له أدنى معرفة باللغة العربية، وقديضاف إلى بعض الأعلام (ال) التعريف دون مبرر، وقد تحذف من بعض الأعلام التي هي بحاجة إليها هكذا حسب المزاج).

ويعلق الشيخ القطان على جهل الأب فرديناند توتل فيقول: (ويظهر لي أن المؤلف أعجمي لا يدرك الكثير من أسرار اللغة العربية).

ويعطي الشيخ مثالاً واحداً من هذه الأخطاء، ليبين كم فيه من التحريف والتشويه والخلط العجيب: (ورد في(المنجد ص ٢٥٩) في حرف السين الطبعة الأولى (سفيان أبو – ابن امية القرشي – تاجر عادى النبي وحاربه في بدر وأحد، وقاد جناحاً من الجيش الكبير الذي زحف لحصار المدينة في وقعة مؤتة، ثم اعتزل الحرب وصالح محمداً في معاهدة الحديبية، وسلمه مكة، توفي نحو ٦٥٦م).

ويقف القطان في هذه العبارة القليلة الأسطر على عدد من الأخطاء:

١ – إن أهم صفة تميز بها أبوسفيان أنه شيخ قريش وزعيمها في وقته، لا أنه تاجر فقط.

٢ – من المعروف بداهة أن أبا سفيان لم يشهد معركة بدر، لأنه كان يقود العير التي جاءت من الشام، ونجا بها إلى مكة .

٣ – عندما جاء أبوسفيان لحصار المدينة كان هو قائد الجيش العام، وكان ذلك في غزوة الخندق سنة خمس للهجرة، وهي غير غزوة مؤته التي كانت سنة ثمان للهجرة، وكانت بين المسلمين والروم، وشتان بين الخندق ومؤته في الزمان والمكان .

٤ – لم يعتزل أبوسفيان الحرب مطلقاً، وبقي معادياً للمسلمين إلى يوم فتح مكة حيث أسلم.

٥ – في صلح الحديبية لم يذكر أبو سفيان مطلقاً، وكانت المفاوضات بين سهيل بن عمرو العامري عن المشركين وبين النبي عليه السلام.

وفي الطبعة الثانية المنقحة قال الأساتذة الأفاضل([1]): ((سفيان (أبو) – ابن امية) قائد المشركين ضد المسلمين في بدر...، والصواب في اسمه (أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية) فأمية جدُّه لا أبوه، ولا داعي لتقطيع الاسم وتشويهه بهذه الكيفية، وقولهم (قائد المشركين ضد المسلمين في

---

(1) قصده الاساتذة المشرفين على طباعة المنجد، وأنهم ينقلون كلام الاب توتل دون تصحيح .

بدر) وهي غلطة منهم كبيرة).(١) والمعروف أن قائد المشركين في بدر هو أبوجهل، وليس أبا سفيان.

ولقد اطلعت شخصياً على هذا الكتاب ووجدته كتاباً قيّماً، ويدل على مكانة الشيخ إبراهيم القطان وتواضعه، فلقد أثنى على الأب فرديناند توتل، وعلى الأساتذة، وعلى كل من ساعده في تأليف هذا الكتاب، وكان القصد من تأليفه خدمة الأمة العربية والإسلامية، والحفاظ على اللغة العربية من التحريف والضياع، وبعد تأليف هذا الكتاب أصبح الشيخ عضوا في مجمع اللغة العربي العراقي والمصري.

٣- تيسير التفسير، (أربعة اجزاء)،راجعه وقام بضبطه والإشراف عليه عمران أحمد أبوحجلة، عمان، الطبعة الأولى ١٩٨٢م، مطابع الجمعية العلمية الملكية.

وهذا الكتاب الذي هو موضوع بحثنا، وسأعود إليه في الفصل القادم بتفصيل أكثر، وأُعَرِّفُ القارىء به والغاية منه بإذن الله .

٤ – مخازي الوالي الشيطاني الملقب بالتيجاني الجاني، المطبعة الوطنية، عمان، وهذا الكتاب عبارة عن نقد ورد لطريقة صوفية ظهرت في دمشق .

٥ – بحث بعنوان: الإمام الغزالي: المعلم والمربّي، مستلة، منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية، القاهرة .

٦ – بطولات عربية من فلسطين (بالاشتراك مع عيسى الناعوري)، المطبعة الوطنية ومكتبتها، عمان ١٩٥٦م، وصدركذلك في طبعة أخرى عن مطبعة الأستقلال العربي،عمان ١٩٥٨م.

٧ – رسالة حي بن يقظان للفيلسوف المشهور ابن طفيل، قدم لها وعلق عليها الشيخ، ونشرتها مكتبة الاستقلال عمان.

إلى جانب ذلك شارك الشيخ القطان في تأليف أكثر من ثلاثين كتاباً مدرسياً في الدين الإسلامي، والقواعد العربية والقراءة، لمراحل الدراسة الابتدائية والإعدادية والثانوية منها:

١- المبتكر لتعليم القراءة العربية، (بالاشتراك مع روكس بن زائد العزيزي)، مع ملحق المرشد، الناشر: الشركة الصناعية للوراقة والقرطاسية المحدودة .

٢- مبادىء الإسلام: للصف الرابع الابتدائي، طبعة الصفدي وخلف وشركاهم عمان.

---

(1) أبو صوفة، محمد، " **من أعلام الفكر والأدب في الأردن** "، مرجع سابق، ص٣٢٦، وانظر: العجلوني: إبراهيم خليل "**الحرية والحضارة الإنسانية في فكر الشيخ إبراهيم القطان، مجلة المواقف**"، السنة الثانية، العددالأول صفر ١٤٠٩هـ – ايلول ١٩٨٨م الجبيهة عمان ، وانظر المقدمة في كتاب: القطان: إبراهيم ياسين" **عثرات المنجد في الأدب والعلوم والأعلام** "، دار القران الكريم، الطبعة الأولى ١٩٧٢، دمشق، ص ١٣ .

٣- مبادىء في الدين الإسلامي: للصف الأول الإعدادي، (بالإشتراك مع عبد الحميد السائح وإبراهيم صنوبر وعلى حسن عودة) المطبعة الإقتصادية، عمان ١٩٦٢م .

٤- نهج الاسلام: للصف الثالث الإعدادي، بالإشتراك مع عبد الحميد السائح وعلي حسن عودة وعلي مصطفى صبري)، مطابع دار الأيتام الإسلامية الصناعية، القدس ١٩٦٦م.

٥- القواعد الوافية: للصف الثاني الثانوي، (بالإشتراك مع علي حسن عودة وفائز علي الغول وعيسى عطا الله)، دار الطباعة والنشر، عمان ١٩٦٨م.([1])

٢ - المخطوطات :

للشيخ مؤلفات لم تنشر بعد، ولا تزال مخطوطة تنتظر من ينشرها، وأذكر منها([2]):

١- مجلدان يضمان عدداً من المحاضرات والمقالات والتراجم .
٢- مجلد يضم منتخبات نثرية (نحو ألفي قول وكلمة ومثل).
٣- مجلد يضم منتخبات شعرية (نحو خمسة الاف بيت شعر من مختلف العصور).
٤- مجلد يضم المحاضرات التي ألقاها في الجامعة الأردنية في موضوع مقارنة الأديان.
٥- مجلد يضم خطب الجمعة التي ألقاها خلال توليه منصب قاضي القضاة (١٩٧٧ – ١٩٨٤م).
٦- رسائل شخصية.

---

(1) القطان، إبراهيم ياسين" **المذكرات والرحلات** "، مرجع سابق، ص ١٦

(2) المرجع السابق، ص١٦، وانظر: أبو صوفة، محمد، " **من أعلام الفكر والأدب في الأردن** "، مرجع سابق، ص٣٢٥، وانظر: العجلوني: إبراهيم خليل "**الحرية والحضارة الإنسانية في فكر الشيخ إبراهيم القطان، مجلة المواقف**"، السنة الثانية، العددالأول صفر ١٤٠٩ه – ايلول ١٩٨٨م الجبيهة عمان، ص ١٢، وانظر: النجار: تيسير " **رجال في ذاكرة الوطن، مجلة أفكار** "، سنة ٢٠٠٢ العدد ١٦١، وزارة الثقافة، عمان، ص ١١٤ – ١١٧ .

المبحث الخامس: الشيخ القطان والعصر الحديث

إن الفترة التي عاش فيها الشيخ القطان، ابتداءاً من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٨٤م عرفت عدة أحداث وتقلبات، وهي فترة العصر الحديث، ويختلف هذا العصر عن العصور السابقة في عدة أشياء، وهذا نظرا للظروف التي سادت هذا العصر، والمتمثلة في انقضاء دولة الخلافة الإسلامية، فالدولة العثمانية والتي كانت آخر خلافة شهدها المسلمون، كانت في نهايتها، بحيث لم يبقى لها أثر يذكر، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م، وانتهت الخلافة سنة ١٩٢٤م، وسقوط معظم البلاد الإسلامية، والتي كانت تابعة لها في قبضة الاستعمار، وظهور الحضارة الغربية وتأثيرها على الشعوب الإسلامية، ووقوع معظم العالم الإسلامي في ركود علمي واقتصادي واجتماعي، وتقدم العالم الغربي في شتى الميادين، وظهور سياسة فصل الدين عن الدولة، وظهور انحلال خلقي واجتماعي في أوروبا، وتأثير هذا الانحلال على العالم الإسلامي، بشتى الميادين كالإعلام والهجرة ...

وامتاز هذا العصر بظهور حركة الإستشراق والتبشير، وإقامة دولة يهودية في فلسطين، وبالضبط في قلب العالم الإسلامي، ونستطيع أن نقول أن هذا العصر يختلف عن العصور الإسلامية الأخرى، وله وضع خاص .

وقد دون الشيخ القطان كل هذه الأحداث منذ طفولته إلى وفاته سنة ١٩٨٤م، في كتابه المذكرات والرحلات الذي كان مخطوطاً وطبع بعد وفاته، وكان أهم القائمين على طباعته ونشره ابنته الأستاذة ريم القطان، وأخوها أياد القطان - رحمه الله –

وبعد اطلاعي على تفسير الشيخ القطان، وجدته متأثراً بأحداث هذا العصر، كالقضية الفلسطينية وغيرها من الأمور التي ظهرت في العصر الحديث، وتفسيره لآيات القرآن على ضوء العصر، وسأخصص لها مبحثا خاصا في الفصول اللاحقة بإذن الله.

وكون الشيخ القطان مفسرا عصرياً، لابد أن نلقي الضوء على هذا العصر، وكيف كان التفسير والمفسرون فيه.

أشار الدكتور صلاح الخالدي إلى أن العصر الحديث يبدأ من أواخر القرن التاسع عشر أو بداية القرن العشرين([1])، ويستمر إلى يومنا هذا .

أما الدكتور فضل فله رأي سديد في هذه المسألة ، ولِأهميته سأنقل النص كاملاً هنا ، يقول الدكتور فضل : (يختلف الباحثون في تحديد العصر الحديث ،والذي أراه أن هذا يختلف باختلاف الأمم

---

(1) الخالدي: صلاح عبد الفتاح، **"تعريف الدارسين بمناهج المفسرين"**، دار القلم دمشق ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٥٦١

أولاً، وباختلاف العلوم المتحدث عنها ثانياً، فالعصر الحديث عند الأوربيين مثلاً يختلف عنه عندنا، ومؤرخوا الأدب العربي يجعلون ابتداءه مطلع القرن التاسع عشر، إلا أن العصر الحديث للتفسير، إنما ابتدأ في رأيي بظهور تفسير الإمام محمد عبده، وذلك في نهاية القرن التاسع عشر، ولعل خير شاهد على ذلك، هذا البون الشاسع، من حيث الموضوع والأسلوب في التفسير بين الآلوسي الذي توفي سنة ١٢٧٠هـ – أي بعد ولادة الشيخ محمد عبده بست سنين - وتفسير الشيخ محمد عبده، فلقد كان منهج الشيخ في التفسير وأسلوبه وموضوعاته التي عرض لها، كان ذلك كله جديد يختلف عما ألفه الناس من الناحية التقليدية في التفسير، ولئن كان يغلب على اتجاه التفسير في هذه المرحلة، الطابع الإجتماعي، فإن مدرسة الإمام في التفسير كانت النواة لجميع الاتجاهات التي اتسعت دائرتها فيما بعد، وأهمها الاتجاه البياني و الفقهي والعلمي والعقدي والسياسي والاجتماعي والاتجاه الموضوعي، وهناك مع كل أسف تفسيرات منحرفة عن جادة الصواب، بعضها عن قصد وبعضها عن غير قصد، والتفسير في العصر الحديث يتسع باتساع الزمن، فلئن بدأ بالإمام محمد عبده - رحمه الله – إلا أننا نجد له اليوم أعلاما ومدارسا، وهذا أمر طبيعي ، فارتباط المسلمين بكتابهم أمر حيوي، تحتمه الظروف، فلا حياة لهم إلا به). (١)

ونكتفي بهذا التعريف من الدكتور فضل في تحديد العصر الحديث.

أما الشيخ القطان فقد تعرض للأحداث التي شاهدها وعاصرها كونه تقلد عدة مناصب، وزار عدة بلدان عربية وأجنبية وكان أغلبها زيارات رسمية، كونه كان سفيراً ووزيراً، وقد ذكر معظم هذه الاحداث في كتابه المذكرات والرحلات، التي كتبها عندما كان سفيراً للملكة الأردنية الهاشمية بالمغرب، فيبدأ بذكر عمان ووصفها وشدة اعجابه بها، لأنه قضى معظم طفولته فيها،فيصف لنا كيفية مجيء الشركس إليها، ثم توارد الناس عليها، ثم يذكر لنا كيف تحولت هذه المدينة الى عاصمة للأردن وبداية العهد الجديد، ومجيء الأمير عبد الله - طيب الله ثراه – من الحجاز وإنشاء المملكة الأردنية الهاشمية، ويصف لنا هذه الرحلة وصفا دقيقا، لأنه شاهدها وعاصرها، ثم تشكيل أول حكومة أردنية بزعامة رشيد طليع(٢)،ويذكر لنا أعضاء هذه الحكومة والتي من بينها شيخه العلامة محمد الخضر الشنقيطي، ثم استقالة هذه الحكومة ، وتشكيل حكومة جديدة برئاسة السيد مظهر رسلان سنة ١٩٢١م، ويطيل النفس في سيرة شيخه العلامة محمد الخضر الشنقيطي،

---

(1) عباس: فضل حسن، **"التفسير أساسياته واتجاهاته"**، مكتبة دنديس، عمان ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٢٥٣ – ٢٥٤ .

(2) رشيد بن علي بن حسن، من آل طليع عائلة قديمة في جبل لبنان، تقلد عدة مناصب في عهد الاتراك، وفي عهد الملك فيصل في سوريا، وترأس أول حكومة أردنية بعد مجيء الأمير عبد الله، وتأسيس المملكة، أنظر: القطان، إبراهيم ياسين" **المذكرات والرحلات** "، مرجع سابق، ص ١١٣

وكيف جاء من موريتانيا إلى مصر ثم الأردن ، ثم استقر به النوى في المدينة المنورة، ويصف لنا الصعاب التي واجهت الحكومة الأردنية الجديدة، وكان أغلبها الضغط الممارس عليها من الأنكليز، والصعوبات المالية آنذاك في بداية تأسيس المملكة، وتشكيل قوة للجيش، ونقص التجهيزات والأسلحة، لمواجهة المشاكل الداخلية والخارجية، خصوصاً مشكلة عصيان الكورة، وهي منطقة في عجلون، عصت على سمو الأمير عبد الله، ولم تكن راضية كل الرضا بما حدث في عمان.

وكذلك اندلاع الثورة السورية في دمشق ولبنان، ضد الاستعمار الفرنسي وهروب عدة عوائل سورية إلى الأردن، للاستقرار الحاصل بها، في ظل الحكم الجديد، وبقاء الأراضي الفلسطينية تحت الاستعمار الانكليزي، وتجهيز فلسطين كوطن لليهود القادمين من شتى نواحي العالم.

ثم يذكر لنا كيفية بداية دراسته، واتصاله بالشيخ محمد الشنقيطي، ونصحه أياه بمواصلة دراسته في الأزهر، ثم يذكر رحلته للأزهرسنة ١٩٣٥م، وكيف كانت القاهرة في ذلك العصر، وتقدمها على البلدان العربية الأخرى في عدة مجالات، والتقائه بمعظم تلاميذ محمد عبده أمثال محمد رشيد رضا، وتتلمذه في الأزهر على الشيخ محمد مصطفى المراغي، وأيضا على الشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد إبراهيم الظواهري، ويصف لنا طريقة التدريس في الأزهر، وهي عبارة عن طريقة قديمة، حيث تلقى الدروس على شكل حلقات، وكل شيخ له حلقة معينة حسب الدرس الملقى، وخلال وجوده بمصر التقى بعدد كبير من الأدباء والكتاب والشعراء، أمثال إبراهيم عبد القادر المازني، ومي زيادة، وطه حسين...

وبقي في مصر إلى أن حصل على الليسانس عام ١٩٣٩م، وعلى الشهادة العالمية والتخصص في القضاء الشرعي من الأزهر عام ١٩٤١م.

وبعد عودة الشيخ القطان إلى عمان ، تم تعيينه في المحكمة الشرعية في عمان عام ١٩٤٢م، وانتقل قاضيا لمحكمة الكرك الشرعية اعتبارا من آب ١٩٤٢ حتى عام ١٩٤٧م، وتنقل بين وزارة التربية والتعليم ووزارة الخارجية خلال هذه الفترة، فاشتغل مفتشاً للتربية، وتنقل في معظم محافظات المملكة، حيث ذكر في مذكراته أن بعض المحافظات الأردنية لم يكن هناك فندق للنوم والاستراحة، وإنما ينزل فقط عند بعض أصدقائه، وخلال توليه منصب مدير الشرعية، عرض عليه بعض الاخوان من بينهم القيادي عبد الوهاب المجالي، والقيادي وصفي التل، بتوليه منصب وزير للتربية، فرفض في البداية، وبعد إلحاح من الإخوة، تولى هذا المنصب، وختم قوله، وهذه كيفية تولي للوزارة، وفي سنة ١٩٦٢م، عين قاضياً للقضاة ووزيراً للتربية والتعليم حتى سنة ١٩٦٣م، وبعد ذلك عمل محامياً حتى سنة ١٩٦٥م،ثم عين مرافقاً لصاحب السمو الملكي، الأمير الحسن بن طلال بدرجة سفير في وزارة الخارجية، وفي سنة ١٩٦٧م، عين سفيراً للأردن

فـي المملكـة المغربيـة حتـى نهايـة اذار ١٩٧٣م، وكـان فـي الوقـت نفسه سـفيراً غيـر مقـيم فـي موريتانيا.

وفـي تمـوز ١٩٧٣م عـين سـفيراً لـلأردن فـي الكويـت حتـى نهايـة اذار ١٩٧٤م، وعمـل بعـد ذلـك محاضرا في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية في موضوع مقارنـة الأديـان، وفـي سـنة ١٩٧٥م، عين سفيراً للأردن في باكستان وسفيراً غير مقيم في ماليزيا .

وفـي أوائـل حزيـران ١٩٧٧م عـين قاضـياً للقضـاة، وبقـي فـي وظيفتـه إلـى أن وافـاه الأجـل سـنة ١٩٨٤م .

وكان رحمه الله عضواً فـي مجمـع اللغـة العربيـة الأردنـي، ومجمـع اللغـة العربيـة فـي القـاهرة بعد تـأليف كتابـه عثـرات المنجد، ومجمـع اللغـة العربيـة العراقـي، والمجمـع الملكـي لبحـوث الحضـارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) فـي عمـان، ورابطـة الكتـاب الأردنيين، وجمعيـات أخـرى، وقـد نـال عدداً من الأوسمة في الأردن والمملكة المغربية.(1)

---

(1) القطـان، إبـراهيم ياسـين" **المذكرات والرحلات** "، مرجـع سـابق، ص١٥، وانظـر: أبـو صـوفة، محمـد، " **من أعلام الفكر والأدب في الأردن** "، مرجع سابق، ص٣٢٣ ، وانظر: العجلوني: إبراهيم خليل "**الحرية والحضارة الإنسانية في فكر الشيخ إبراهيم القطان، مجلة المواقف**"، السنة الثانيـة، العددالأول صـفر ١٤٠٩هـ – ايلـول ١٩٨٨م الجبيهـة عمـان، وانظـر: النجـار: تيسير " **رجال في ذاكرة الوطن، مجلـة أفكـار** "، سـنة ٢٠٠٢ العـدد ١٦١، وزارة الثقافة، عمان، ص ١١٤ – ١١٧ .

الفصل الثاني: التعريف بتفسير الشيخ القطان

المبحث الأول: مدخل إلى تفسير القطان

المبحث الثاني: مع الشيخ القطان في مقدمة تفسيره

المبحث الثالث: طريقة الشيخ القطان في تفسيره

المطلب الأول: أخذه من التفاسير دون ذكرها

المبحث الأول: مدخل إلى تفسير القطان

قبل البدء بالحديث عن تفسير الشيخ رحمه الله، لا بد أن أشير إلى أنه ابتدأ تفسيره بإهداء لطيف حيث قال: (إلى زين الشباب الأمير حسن بن طلال المحبوب، رائد النهضة العلمية الفكرية ،في ظل جلالة الحسين المفدّى، وإلى العالم العربي والإسلامي أزف هذا التفسير المبارك، بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري).(1)

يقع تفسير الشيخ إبراهيم القطان في أربع مجلدات ضخمة، فالمجلد الأول يحتوي على ٥٧١ صفحة، والمجلد الثاني يحتوي على٧٣٤ صفحة، والمجلد الثالث يقع في حوالي٦٥٠ صفحة، والرابع والأخير يقع في حوالي ٨٠٤صفحة، وهو تفسير مطبوع بمطابع الجمعية العلمية الملكية، وكل مجلد من هذه التفاسير، يبدؤه الشيخ رحمه الله بمقدمة وخاتمه، ما عدا المجلد الأول والثالث الذي لم ينته بخاتمة، والمجلد الرابع طبع بعد وفاته رحمه الله، وهذا واضح من المقدمة .
ولابد أن نشير إلى أن الشيخ إبراهيم القطان، كان يثني على الذين ساعدوه في إعداد هذا التفسير، من طباعة وإبداء ملاحظات، وتصحيح لما وقع فيه من بعض الأخطاء، وإرشاد وتوجيه.

قال الشيخ: (ولقد كان الفضل بالتسمية (تيسير التفسير) لصديقي العزيز، الأديب الشاعر الكبير الأستاذحسني فريز، والذي ساهم بقراءة كمية من الكتاب .
وقد ساهم في التصحيح عدد من الإخوان الكرام، منهم الأستاذ محمد محيلان مدير الشرعية، والأستاذمحمد عادل الشريف، والأستاذ صالح المحتسب، والأستاذ عبد الرؤوف اللبدي، والسيد محمد خير جنكات، وكان جهدهم مشكورا.
وتفضل إخوان كرام بإرسال رسائل مشجعة تشيد بالكتاب، وبأسلوبه وحسن العرض والإخراج منهم:

معالي السيد عامر خماش وزير البلاط الملكي الهاشمي، والفريق الركن زيد بن شاكر، القائد العام للقوات المسلحة الأردنية، والدكتور عبد السلام المجالي رئيس الجامعة الأردنية، ومعالي الأستاذ بشير الصباغ رئيس الكلية العلمية الإسلامية، والزميل الكريم الأستاذ عبد الرحمان بشناق عضو مجمع اللغة العربية، والسيد محمد خير جنكات، والدكتور ناصر الدين الأسد رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت عمان الاردن).

كما تفضل عددمن العلماء والباحثين من العالم العربي بإرسال رسائل مشجعة منهم: الأستاذ الباحث عبد العزيز ابن عبد الله مدير مكتب تنسيق التعريب من المغرب العربي، والباحث الكبير الأستاذ الفاضل السيد جعفر الخليلي من العراق، والأستاذ الكبير عبد الله بن إبراهيم

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، بداية الكتاب.

الأنصاري رئيس دائرة الشؤون الدينية بدولة قطر، والأستاذ الكبير الدكتور يوسف القرضاوي رئيس كلية الشريعة بدولة قطر، والأديب الأستاذ هادي مهدي الحيدري من بغداد، وصديقنا الأديب الباحث حسان بدر الدين الكاتب من دمشق، والزميل الدكتور شوقي أَمين من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والزميل الشاعر الكبير محمد عبد الغني حسن من مجمع اللغة العربية في القاهرة، وكتب الأستاذ الأديب روكس بن زائد العزيزي كلمة قيمة أشاد فيها بالتفسير، وتمنى أن تفرد المقدمة في كتاب مستقل وتوزع على المدارس والقراء، لما فيها من الفوائد الجليلة والممتعة والهامة، فله الشكر الجزيل).(1)

وقد نقل الشيخ إبراهيم القطان في خاتمة المجلد الثاني كلمة لأحد الباحثين،كتبها في جريدة الدستور الأردنية عن التفسير وأهميته، وسأنقلها هنا لأهميتها، ولأنها تعطينا نظرة عامة عن التفسير، قال الشيخ: (وقد كتب الأستاذ الفاضل أحمد جبر كلمة قيمة في جريدة الدستور أشاد فيها بالتفسير، وبحسن عرضه وأسلوبه وفائدته المرجوة، جاء فيها:

لهذا أجدني ملزماً بين يدي تقديم هذا الكتاب للقاريء بالإشارة إلى أربعة أمور:

الأول: أن المؤلف لمس صعوبة بعض التفاسير عن كثب، وعانى من وضوحها القليل، واستغلاقها على فهم بعض القراء، ممن لم تسعفهم ملكة اللغة، ويعوزهم الاطلاع عليها، فقاده إخلاصه لدينه وحبه لأمته المسلمة، وهوالمتضلع في الدين واللغة، الواقف على أسرار البلاغة، أن يدلي بدلوه، فانبرى لتقديم هذه الخدمة الجليلة للمسلمين خاصة، وللإنسانية جمعاء.

الثاني: أن الجهد المبذول في هذا الكتاب لا يقل وزناً عما بذله كبار المفسرين في الماضي والحاضر، ودليل هذا الجهد ما ورد في صفحة ٤٥٦ من المجلد الأول بعنوان (الوارثون) وفيه تلخيص مكثف بنص قرآني، وتوضيح شامل للميراث في الشريعة الغراء، لباب من أهم أبوابها، وهو باب الميراث ضمن صفحة واحدة فقط، إن هذا الإبداع ليدخل في مرحلة الإعجاز في الإيجاز والتلخيص، ويدل على ذهن صاف لرجل علم مستنير عز نظيره.

الثالث: لمست بعد أن اطلعت على هذا الكتاب ضرورة اقتنائه من قبل كل ذي بصيرة، والسهر مع آيات الله البينات، والعيش في دوحة القرآن الكريم، وفي رحاب البارىء، أطول زمن ممكن.

الرابع: ربما كان في هذا الكتاب من الفوائد ما يرتفع به إلى مستوى التطبيق المنهجي الاستقرائي على أحدث ما توصل إليه العلم من نظريات، وما سما إليه الفكر النير من نظريات وفرضيات واجتهادات، شفعها التقدم التكنولوجي المنسجم مع جوهر الدين.

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٧١٥ – ٧١٦

وكذلك بيان واع للعلاقات الإنسانية، وإيضاح قيم لها، في ضوء آيات القرآن الكريم، وهو مالم يصل إليه الكثير والكثير جداً من علماء المسلمين وجهابذتهم في القرن العشرين.
وختاماً نفعنا الله بهذا الجهد الجليل، الذي صدر عن رجل راشد، يعتبر علّامة عصره وجيله بحق، والله ولي التوفيق).(1)

وأخيرا لابد أن نشير إلى أن الشيخ إبراهيم القطان قد ذكر رسائل واعترافات من كبار الشخصيات، مثل صاحب السمو الملكي، الأمير الحسن بن طلال، وبعض العلماء، ولا يسعني المجال لذكرها هنا، وسأذكرها كملاحق في آخر الرسالة، بإذن الله.
ويمتاز هذا التفسير، بسهولة العبارة ويسرها، وهومن أهم التفاسير التي أُلفت في العصر الحديث، وكون الشيخ رحمه الله أزهرياً فلا شك أنه تأثر بمحمد عبده وبتلاميذه، الذين نادوا بهذا النوع من التفسير، ودعوا إلى ترك التقليد والقديم، فالشيخ تتلمذ على يد محمد رشيد رضا، وكذلك على الشيخ محمد مصطفى المراغي، وهؤلاء من كبار تلاميذ محمد عبده كما هو معروف، وايضا على الشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد إبراهيم الظواهري.

قال الشيخ: (عندما جئنا إلى القاهرة لندرس في الأزهر كنا متشبعين بآراء أستاذنا الشيخ محمد الأخضر الشنقيطي، بأن طريقة الشيخ محمد عبده وتلاميذه غير سوية، وأن ابن تيمية له آراء خارجة عن الدين، وأن الوهابية فيها انحراف ...وبقيت مدة وأنا على هذا الرأي، وحضرت في دار الشبان المسلمين محاضرة كان فيها المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا، وكان على القائمة السوداء، وهذه من الأغلاط الكبيرة، فإني أنصح بعدم تقليد أحد، ويجب على كل إنسان أن يبحث ويدرس ويستقصي بنفسه حتى يعرف الصحيح من الغلط، وتبين لي بعد ذلك أن كثيراً مما قالوا غير صحيح، وما هو إلا تعصب منهم لبعض الآراء، وأن الناس لابد أن يختلفوا).(2)

وعند انتقاده لطريقة التدريس في الأزهر نجده يقول: (وهكذا مضت عليّ أربع سنوات في كلية الشريعة، لم استفد منها إلا الحصول على الشهادة، ولست مبالغاً ولا متجنياً على الأساتذة الذين مروا عليّ في هذه السنوات الأربع، وإني أعرف من المراجع أكثر مما يعرفون، وإني قد أفدت في المدة القليلة التي لازمت فيها الشيخ محمد الأخضر الشنقيطي، أضعاف أضعاف ما أفدته منهم، ما عدا اثنين فقط وهما الشيخ محمد مصطفى المراغي في تلك السنة التي درسنا فيها (الأصول)، والمرحوم الشيخ محمود شلتوت، فإنه درسنا سنة واحدة، وكان واسع الاطلاع باحثاً مجداً، يريد من طلابه أن يتعلموا ويبحثوا ويستفيدوا حقاً، وكان يبعث فينا روح العلم والبحث،

(1) تيسير التفسير ، ج٢، ص ٧١٦ – ٧١٧
(2) القطان، إبراهيم ياسين" **المذكرات والرحلات** "، مرجع سابق، ص ١٨٩

وحرية الرأي، والإقدام على المطالعة والتزود من المعرفة، والجرأة في إعطاء الرأي، ولكن كان فيه شدة مما يجعلني أترك مناقشته وأستمع فقط).([1])

ويتضح هذا أيضاً من مقولة الإمام محمد عبده، والتي ذكرها الشيخ في تفسيره بقوله: (والتفسير الذي نحب أن نضعه بين أيدي الناس، هو ما ييسر فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأخلاق والأحكام - كل ذلك بوضوح وإيجاز، وفي عبارة سهلة تجذب النفوس وتسوقها إلى تبني الهداية المودعة في ذلك الكلام العظيم، ليتحقق فيه معنى قوله تعالى ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ لقمان: ٣ ، وهذا هو القصد الحقيقي والغرض السامي الذي نريده من التفسير، إن الله تعالى لايسألنا يوم القيامة عن أقوال الناس وما فهموه، وإنما يسألنا عن كتابه الذي أنزله لإرشادنا وهدايتنا، وعن سنة نبيه الكريم التي بّينت ذلك، وهويقول: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل: ٤٤ وسيسأل: هل بلغتكم الرسالة ؟ هل تتدبرتم ما بلغتم ؟ هل عقلتم ما عنه نُهيتم وما به أُمرتم؟)([2])

---

(1) القطان، إبراهيم ياسين" **المذكرات والرحلات** "، مرجع سابق، ص ١٩٩

(2) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٨

المبحث الثاني: مع الشيخ القطان في مقدمة تفسيره

ابتدأ تفسيره بمقدمة مهمة، لا بدّ من الوقوف عندها، للتعرف على منهج الشيخ في تفسيره، وهي مقدمة طويلة تقع في ٢٩ صفحة، من الصفحة ٥ حتى الصفحة ٣٤.

تناول الشيخ القطان في مقدمة تفسيره: التعريف بالقرآن الكريم، ونزوله منجما حسب الوقائع والأحداث في ٢٣ سنة، وبين أن فيه المكي والمدني، فالمكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، وبيّن أن الآيات المكيّة تبحث في العقائد، والآيات المدنية تتميز بالطول، وتبحث في العبادات والمعاملات والتشريعات.

وذكر أن القرآن فيه نبأ من قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، وأن غرض القصة في القرآن الكريم العبرة والاتعاظ، وأن القرآن معجزة خالدة، ومن معجزاته أنه لم يفصل لنا كل المسائل، وهذا سرٌّ من أسراره، وأن العلوم الأخرى كلها في خدمة القرآن.

ثم تكلم عن التفسير وعلوم القرآن، مع تركيزه على التفسير، لأنه أهم علوم القرآن، واهتمام العلماء به أكثر من اهتمامهم بالعلوم الأخرى كالقراءات والإعجاز ....إلخ.

وذكر أنه في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم تكن هناك حاجة إلى تفسير للقرآن، لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يوضح ما أبهم منه، وأن الصحابة كانوا على السليقة في اللغة، ولذلك كانوا يفهمون القرآن، ويسألون الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما أشكل عليهم فيه، وأبهم منه، وبعد انتشار الفتوحات الإسلامية، وكثرة المسلمين من غير العرب كالفرس والروم ...إلخ، الذين لا يعرفون أسرار اللغة العربية ومعانيها، وكثرة اللحن بين الناس، بدأ الناس يسألون أهل العلم، وهكذا نشأ التفسير، ثم ذكر أنواع التفسير كالتفسير بالأثر والرأي، وظهور عدة تفاسير، ونتج عن ذلك ثروة ضخمة من العلوم، لا توجد عند أمة من الأمم، ولم يحظَ كتاب بمثل ماحظي به القرآن من العناية والاهتمام والرعاية، وذكر أن هناك عدة آيات خاطبت العقل، وتحدث عن العقل ودوره في الحياة، وأنكر على أصحاب الفرق استخدام الآيات القرآنية لتأييد الأفكارالضالة والمذاهب الهدامة، وذكرأن القرآن منزّه عن هذا كله .

وذكر إعجاز القرآن، ووقف عنده كثيراً، وذكر ما توصل إليه العلماء في هذا العصر من وجوه الإعجاز، وأثبت أن القرآن صالح لكل زمان ومكان .

وذكر أقوال المستشرقين في القرآن الكريم، وشهادتهم أن القرآن كتاب يتضمن كل ما تحتاج إليه الإنسانية، وإشادتهم بعظمته وأسلوبه وفصاحته، وصلاحيته لكل زمان ومكان، منهم إدوار جيبون، وريتشارد وود، والدكتور ريتين، والدكتور لوريا فالي، وإدوار كيوجا.

وذكر التقاءه مع الدكتور موريس بوكاي، الطبيب والجرّاح الفرنسي الذي له كتاب: (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، ونبّه أنّه عندما التقى معه ذكر له أن اسم كتابه الحقيقي هو: (التوراة والإنجيل والقرآن في مواجهة العلم)، وأن الناشر غير اسم الكتاب، وبيّن موقفه المنصف والموضوعي من القرآن، ووقف عنده كثيراً وذكر معظم أقواله في القرآن، والأقوال المتناقضة في التوراة والإنجيل، وبيّن أنّه كيف كان موضوعيا في دراسته، واتباعه المنهج العلمي في الحكم على الكتب الثلاث(التواراة والإنجيل والقرآن).(١)

وذكر أيضا أقوال الدكتور هارت: وهو عالم فلك، وقانوني أمريكي، وقد ألّف كتاباً، ذكر فيه أكثر من مائة شخصية تارخية، لها أثر في التاريخ الإنساني، فجاء أول شخصية وأعظمها على الإطلاق سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وشهد شهادته الحيّة في القرآن الكريم حيث قال:(إن معظم الذين غيّروا التاريخ قد ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم، في بيئة متقدمة تبرر ظهور العظماء فيها، لكن محمداً هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء، تفتقد تماما إلى جميع مقوّمات الحضارة والتقدّم، وقد جعل من البدو البسطاء الدائمي الاحتراب قوة معنوية هائلة، قهرت بعد ذلك إمبراطورية فارس وبزنطة المتقدمة بما لا يقاس ....وإن معظم البلاد التي فتحها خلفاؤُه استعربت تماما، وتغيرّت لغة ودينا وقومية، مثل: العراق، وسوريا شرقا، و إلى أقصى الشاطئ الإفريقي غربا، والسودان جنوبا، ثم بقيت أمة واحدة تتكلم لسانا واحدا إلى الآن .

كذلك لا يوجد في تاريخ الرسالات نص نقل عن رجل واحد وبقي بحروفه كاملا دون تحويل، كل هذا الزمن، سوى القرآن، الذي بلغه محمد).(٢)

ثم انتقل الشيخ من هذا الموضوع إلى موضوع آخر، تحت عنوان: (بحث جديد وطريف في أسلوب القرآن الكريم)، فتحدث عن القرآن وأسلوبه وبين أنه بليغ، وحدثنا عن الإعجاز، وذكر أن القرآن معجز ببلاغته، وأن هذا هو أهم أوجه الإعجاز، وأطلق عليه عدة تسميات منها: (المعمار، أو البنية الهندسية، أو الترابط الحي بين الكلمات).

وتعرض للكلمة في القرآن الكريم، وذكر أنها تتكرر، ولكنها تتنوع وتختلف، وفي كل مرة تحمل مشهدا جديدا، وشبهها بالخلية العضوية، وضرب لنا أمثلة على هذا منها كلمة (النطفة) حيث قال: (ثم نرى النطفة تأتي في أكثر من عشرة مواضع، فنجدها كل مرة تأتي بمشهد تفصيلي مختلف، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾

(1) ومن المعلوم أن الدكتور موريس بوكاي قد دخل في الإسلام فيما بعد، وهو داعية للإسلام في فرنسا الآن.

(2) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٢١ .

الإنسان: ٢، أي أخلاط من صفات وخصائص متنوعة، وذلك هو ما نعرفه الآن بالجينات الوراثية، ثم يأتي القرآن بتفصيل أكثر، بأن النطفة المنوية هي التي تحدد جنس المولود إن كان ذكراً أم انثى، حيث قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ النجم: ٤٥ - ٤٦ ،ثم تفصيل ثالث، وهو أن النطفة مقدرة بتركيبها من الخالق وليست شيئاً عشوائيا من تدبير الصدفة، قال تعالى: ﴿ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ عبس: ١٩ ،ثم ينقلنا القرآن إلى مشهد مكاني، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ المؤمنون: ١٣،تلك هي النطفة التي مستقرها الرحم، ثم ينقلنا إلى مشهد زماني، فيضع هذه النطفة في سياقها التاريخي ويربطها ببدئها الأول السحيق من التراب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٍ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٍ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ الحج: ٥، ثم يعطينا تفاصيل أكثر لِما حدث في هذا السياق التاريخي من أن النطفة كانت في البداية نُطفاً غير جنسية تتكاثر بالانقسام الخضري بدون تزاوج، ثم تنوعت بعد ذلك إلى ذكر وأنثى، وظهر التكاثر التزاوجي، تأتي هذه الإشارة في الآية، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ فاطر: ١١ ، فجعل الأزواج تأتي متأخرة بعد النطف، مما يدل على أن النطف المقصودة هنا هي نطف أُولية لم يتعين فيها ذكرٌ أو أنثى، وهو ما يعرف بالتكاثر اللاتزاوجي.(١)

---

(1) وأنا لا أوافق الشيخ القطان فيما ذهب إليه في تفسيره لهذه الآية، إن كان قصده يتوافق مع نظرية داروين في التكاثر اللاتزاوجي، وهذا ترده الآية التي تدل على أن بداية خلق الإنسان لم تكن من نطفة، وإنما كانت من تراب.

ثم يعطينا مشهداً آخر تفصيلياً عن تسلسل النطفة في سياقها في مراحل خلق الجنين، قال تعالى:﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٤، ثم ينقلنا إلى مشهد غيبي، قال تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ يس: ٧٧ وذلك الإشهاد حدث في الغيب قبل أن نولد، قال تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٢، هذا موقف إشهاد حدث للنفوس قبل أن تنزل في الأرحام، ثم يأتي بعده مشهد عتاب ومؤاخذة، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾الكهف: ٣٧، وهكذا تُذكر كلمة النطفة في القرآن فلا تتكرر أبدا، وإنما تحمل كل مرة مشهدا جديدا، بحيث يتكامل معناها في الذهن كما يتكامل كائن حي من بذرة تنموشيئا فشيئا إلى نبات كامل).(1)

ثم ذكر الشيخ رحمه الله أن كلمات القرآن كلها متناسقة، بحيث لا يمكن تغيير كلمة فيه، أو وضع واحدة مكان أخرى، وحتى الحرف كذلك، وقدم لذلك أمثلة فقال: (يقول القرآن في الصبر على المصيبة: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ لقمان: ١٧، ثم نراه، يضيف حرف (اللام) للتوكيد حينما يتكلم عن الصبر على أذى الآخرين، قال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ الشورى: ٤٣، لماذا أضاف حرف اللام في الآية الثانية؟ لأن الصبر على أذى الغريم الذي تستطيع أن ترد عليه بأذى مثله - يحتاج منك إلى عزم أكبر – فالصبر هنا ليس كالصبر على مصيبة لا حيلة لك فيها).(2)

وضرب أمثلة للتقديم والتأخير في القرآن، فقال: (ثم إنك لا تستطيع أن تؤخر أو تقدم كلمة من مكانها في السياق، لأن التأخير والتقديم في الكلمات القرآنية محسوب، وهو دائما لوظيفة

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، بتصرف.
(2) المرجع السابق، ج١، ص ٢٩

ولهدف: فالزانية تأتي قبل الزاني في قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ النور: ٢والسارق مقدم على السارقة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ ﴾ المائدة: ٣٨وذلك لأن المرأة هي التي تبادر بالخطوة الأولى في الزنا، أما في السرقة فالرجل هو الأكثر إيجابية في الفعل).([1])

ثم لخص ما ذكره سابقاً فقال: (هذا هو القرآن، بنياناً محكماً من الألفاظ، لا تستطيع أن ترفع منه كلمة أو تبدلها أو تؤخرها أو تقدمها، تكرر كلماته بحساب، ولحكمة ولهدف، ولكي تكشف عن مكنونها وتبوح بأسرارها وثرائها، ثم إن هذا التنوع والتفصيل ينتهي بالقاريء إلى كمالٍ في المراد مقصودٍ وإلى تمامٍ في الفهم والتصور، حيث قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ الأنعام: ١١٥،فذلك هو التمام المقصود).([2])

ثم تعرض لموضوع آخر، وهو كتابة المصحف على ما هو عليه الآن، وذكر أن القرآن استقر على كتابة عثمان رضي الله عنه، ثم تعرض للرسم العثماني، وذكر أن للعلماء ثلاثة آراء في هذه الكتابة التي تختلف عن الكتابة الإملائية في بعض الوجوه، وذكر الأراء الثلاثة، وبدأ برأي الإمام مالك والجمهور وأحمد في تحريم مخالفة الرسم العثماني، وذكر الرأي الثاني الذي يرى أن كتابة المصحف أمر اصطلاحي وليس توقيفياً، إذ لم يرد فيه نص، ومن ثم تجوز مخالفته، وهو رأي القاضي أبي بكر البقلاني وابن خلدون في مقدمته، وذكر الرأي الثالث وهو موافق للرأي الثاني، بحيث يجوز كتابة القرآن بالإملاء في غير المصحف، تسهيلا للعامة، ولكن يجب المحافظة على الرسم العثماني، فلا يجوز كتابة المصحف بغير الرسم العثماني، وهو رأي العز بن عبد السلام، وهو وسط بين الرأيين، ورجح هذا الرأي –رحمه الله-.

ثم انتقل إلى موضوع القراءات، وذكر أن للقرآن قراءات متعددة، وأن العلماء قد اهتموا بها، وجعلها علماً قائماً بذاته، وذكر القراء من الصحابة، ثم جمع عثمان –رضي الله عنه- المصحف، بعد اختلاف القراء في الأمصار، وإجماع الأمة على مصحف واحد، ثم ذكر أهم الكتب

(1) المرجع السابق، ج١، ص ٣٠ ، والمرأة لا تبادر ولكنها هي التي تطمع الرجل فيها، ولولا موافقتها لما تم الزنا.
(2) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٣١ .

المؤلفة في القراءات، منها في السبع، ومنها في العشر، ثم تطرق للأحرف السبعة، ويذكر الحديث: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف).(١)

وذكر أن القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة، وإنماهي راجعه إلى حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عثمان عليه المصحف، ولم يذكر الأقوال في هذه المسألة.(٢)

ولتوضيح أكثر نقول: إن الذي ذهب إليه كثير من العلماء يخالف ماذهب إليه الشيخ، في أن الأحرف السبعة راجعة إلى حرف واحد، اختاره عثمان رضي الله عنه، وعليه فإن القراءات العشر المتواترة تعتبر حرفاً واحداً من الأحرف السبعة، وهو يوافق رأي الإمام الطبري، وقد رده كثير من العلماء.

وعليه فإن الأحرف السبعة هي الكيفيات المختلفة التي نزل بها القرآن الكريم، وقد استقر الامر أن القراءات العشر هي المتواترة، وهي مذكورة في العرضة الأخيرة، التي عليها الصورة النهائية لكتاب الله عز وجل.(٣)

ثم تحدث عن تفسيره، والسبب في تأليف هذا التفسير، فقال: (وقد نظرت في التفاسير المطبوعة الموجودة بين أيدي الناس فوجدتها على كثرتها وجلالها تفيد المختصين في الغالب، ويبقى القارئ العادي ومتوسط المعرفة، بحاجة إلى تفسير يضع أمامه المعنى واضحاً جلياً، وبأسلوب سهل، لا تطويل فيه ولا اختصار، بعيدا عن الإصطلاحات العلمية واللغوية، خالٍ من الجدل وتعدد الروايات، والخوض في أمور متعددة، لا تعني القارئ، لا من قريب ولا من بعيد، وبعضها مختصر جدا، لا يستطيع الإنسان أخذ المعنى الكامل الذي يريده منها.

لذلك شرعت في هذا التفسير، وحاولت ما أمكنني أن أجعل عبارته بسيطة واضحة، يفهمها كل قارئ مهما كانت ثقافته، فيأخذ حاجته منها دون عناء).(٤)

وذكر أنه لم يأت بجديد في هذا التفسير فقال: (ولم آت في هذا التفسير بجديد، وإنما اعتمدت على عدد من أمهات التفاسير ونقلت المعتمد من أقوالهم، وحاولت أن آخذ المعنى بكامله

---

(1) رواه الشيخان من حديث عمر بن الخطاب، أنظر: العراقي: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم ، **" المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار "**، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ص٨٥١

(2) هناك خلاف بين العلماء في تعريف الاحرف السبعة، وعلاقتها بالقراءات، وهل الأحرف السبعة كلها موجودة في المصحف ؟ والكلام يطول في هذا الموضوع، ومن أراد فعليه الرجوع إلى الكتب المختصة .

(3) انظر: القضاة: احمد مفلح، وأحمد خالد شكري و محمد خالد منصور **" مقدمات في علم القراءات "**، الطبعة الاولى ٢٠٠١، دار عمار، عمان، ص٣٢

(4) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٣٣.

أحيانا، وعندما لم أستطع حاولت توضيحه وتقريبه بعبارة سهلة مبينة، وقد بينت التفاسير والكتب التي اعتمدت عليها في آخر الكتاب).([1])

وختم مقدمته بقوله: (وكل خطأ أو تقصير في العبارة، أو قصور في التعبير جاء في هذا التفسير فهو مني، وأرجو من كل من اطلع على خطا أو قصور أن ينبهني إلى ذلك، مأجورا مشكورا، والله من وراء القصد، هو حسبي ونعم الوكيل).([2])

وهذا من حسن تواضعه –رحمه الله- مع ما آتاه الله من العلم والمعرفة، والمناصب العليا، فهذا ليس غريبا على من تشرب العلم وجلس عند العلماء وعرف قدره –رحمه الله رحمة واسعة -.

ثم انتقل للحديث عن عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص٣٤.

(2) المرجع السابق، ج١، ص ٣٤.

المبحث الثالث: طريقة الشيخ القطان في تفسيره

بعد قراء ة متأنية لتفسير الشيخ، للوقوف على طريقته فيه، اتضح لي، أنه فسر سور القرآن على ترتيبها في المصحف الشريف، حيث ابتدأ تفسيره بسورة الفاتحة، واختتمه بتفسير سورة الناس، وكان في بداية تفسير كل سورة يأتي بمقدمة لطيفة يعرف فيها بالسورة، ويحدثنا عن موضوعها، ويربط الأحداث والموضوعات التي تحدثت عنها، وإن كانت مختلفة، فتبدو مترابطة، ويبين علاقة السورة بالسورة التي قبلها، وبالسور التي سبقتها في ترتيب المصحف الشريف، وكذلك علاقة السورة بالسورة التي بعدها، وحكمة وضع السورة في موضعها، ويذكر أقوال المفسرين القدماء في السورة كالقرطبي مثلاً، وقد راعى في تفسير السورة الجوانب التالية:

١ – ذكر رقم السورة في ترتيب المصحف الشريف .

٢ – ذكر المكي والمدني من السورة .

٣ – ذكر تاريخ السورة، وهل نزلت متفرقة أو جملة واحدة .

٤ – ذكر سبب نزولها، إن كان لها سبب .

٥ – ذكر علاقتها بالسور التي قبلها.

٦ – بيان منهج السورة في معالجة القضايا والأحكام .

٧- ذكر أهم الموضوعات التي عالجتها السورة، وهذا ما يساعدنا في التفسير الموضوعي للسورة.

٨ – مناسبة السورة لما قبلها .

٩ – خلاصة عامة عن السورة .

١٠ – ذكر القراءات القرآنية .

١١ – خاتمة لتفسير السورة.

و للتوضيح نأتي بمثال على ما قلناه:

عند تفسيره لسورة الأنعام قال: (هي السورة السادسة من سور القرآن، وهي مكيّة، وقد نزلت جملة واحدة على قول معظم المفسِّرين والرواة، أما تاريخ نزولها فغير معروف بالضبط، ولكن أقرب الأقوال أنها نزلت في السنة الخامسة أو السادسة من البعثة، ويعود ترجيح ذلك الى تعدّد الموضوعات التي تناولتها.

وفي المصحف الأميري([1])، أنها مكيّة إلا الآيات(٢٠ ، ٢٣، ٩١، ٩٢ ، ١١٤، ١٤١، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣).

أما الرواية عن قتادة و ابن عباس فتقول إن السورة كلها مكية، نزلت في ليلة واحدة، جملةً واحدة، وماعدا آيتين منها نزلت بالمدينة، هما قوله تعالى:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ الأنعام: ٩١ نزلت في مالك بن الصيف وكعب بن الأشرف اليهوديين، وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ الأنعام: ١٤١ نزلت في قيس بن ثابت أو معاذ بن جبل).([2])

لقد ذكر الشيخ رأي معظم المفسرين الذين يرون نزولها دفعة واحدة، وهذا ترجيح منه، ومن الكلام الذي ذكره، نلاحظ أنه متأثر بتفسير المنار، والظلال، وهذا واضح من كلامه، والراجح أن سورة الأنعام مكية، وأنها نزلت جملة واحدة، وهذا الرأي رأي الجمهور، و رجحه سيد قطب في الظلال، حيث قال بعد ذكره للروايات التي ذكرها الشيخ: (لهذا كله نحن نميل إلى اعتبار الروايات المطلقة، التي تنص على أن السورة نزلت بجملتها في مكة، في ليلة واحدة، وقد وردت عن ابن عباس وعن أسماء بنت يزيد، وفي الرواية عن أسماء تحديد للرواية بحادث مصاحب على النحو التالي: (قال سفيان الثوري عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت

---

(1) جاء في موقع، ملتقى أهل التفسير(www. Tafsir. net)، المصحف الأميري، ويسمى مصحف بولاق، المصحف المصري ، مصحف دار المساحة، مصحف دار الكتب، مصحف القاهرة: هو من أوائل المصاحف المطبوعة، وأكثرها شهرة في العالم الإسلامي، كتب حروفه الخطاط محمد جعفر (بك) ، وطبع المصحف في المطبعة الأميرية، عرف فيما بعد بـ (المصحف الأميري)، وهو مصحف الملك فؤاد الأول، الذي يعد أول طبعة رسمية لرواية حفص عن عاصم في العالم كله.

(2) القطان، تيسير التفسير، ج٢ ص ١٦

يزيد قالت: (نزلت سورة الأنعام على النبي- صلى الله عليه وسلم- جملة وأنا آخذة بزمام ناقة النبي- صلى الله عليه وسلم- إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة) .(١)

أما الرواية عن ابن عباس فقد رواها الطبراني قال:

حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: (نزلت الأنعام بمكة ليلة جملة واحدة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح) .(٢)

وهاتان الروايتان أوثق من الأقوال التي جاء فيها أن بعض الآيات مدنية، وذلك بالإضافة إلى التحليل الموضوعي الذي أسلفنا.

والواقع أن سياق السورة في تماسكه وفي تدافعه وفي تدفقه يوقع في القلب أن هذه السورة نهر يتدفق، أو سيل يتدفع، بلا حواجز ولا فواصل وإن بناءها ذاته ليصدق تماما هذه الروايات، أو على الأقل يرجحها ترجيحا قويا).(٣)

وإن كانت هذه الأحاديث التي ذكرها سيد قطب في الظلال ضعيفة، ولكن سياق السورة وترابطها، وتناقض الروايات في نزولها، يدل على أنها مكية، نازلة دفعة واحدة.

ولسورة الأنعام منهج خاص في معالجتها للقضايا يختلف عن منهج السور المدنية الأربع التي قبلها وهي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، كونها سورة مكية، فهي لم تعرض لشيء من الأحكام كالصوم والحج في العبادات، والعقوبات والربا وأحكام الأسرة والقتال وأهل الكتاب والمنافقين، ولا نجد في السورة نداء واحداً للمؤمنين، وعالجت قضايا ثلاثة(١):

١ ـ **قضية الألوهية وعبادة الله:** وقد ذكر الشيخ معظم الآيات في السورة التي تحدثت عنها، مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٤و قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٩وقوله تعالى :﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا

---

(1) ضعيف، رواه ابن مردويه نقلاً عن(الدر المنثور)، والطبراني في (الكبير)، وفي إسناده ليث بن أبي سليم وشهر بن حوشب، وقد تُكُلِّمَ فيهما، أنظر: السَّقَّاف: علوي بن عبد القادر،**" تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لسيد قطب"**، الطبعة : الثانية ، ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م، دار الهجرة للنشر والتوزيع، بيروت، ص ١٧

(2) ضعيف، رواه الطبراني في (الكبير)، وأبو عبيد وابن الضريس في (فضائل القرآن) لهما؛ كلهم من طريق علي بن زيد بن جُدعان، وهو ضعيف، وزاد السيوطي نسبته في (الدر المنثور) لابن المنذر وابن مردويه. أنظر: السَّقَّاف: علوي بن عبد القادر،**" تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لسيد قطب"**، مرجع سابق، ص ١٧

(3) سيد قطب: إبراهيم حسين، **" في ظلال القرآن "**، الطبعة: السابعة عشر ١٤١٢ هـ، دار الشروق – بيروت، ج٢، ص ١٠٢١

عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٤ و قوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾الأنعام: ٥٦

٢ – **قضية الوحي والرسالة:** مثل قوله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾الأنعام: ١٩ ,وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٦ و قولـــه تعـــالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٤

٣ – **قضية البعث والجزاء:** مثل قوله تعالى: ﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٢ ، و قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأنعـام: ٣٢ ، وقولـه تعـالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾الأنعام: ٧٣

وقد شارك سورة الأنعام في البدء بالحمد أربع سور مكيّة هي: الفاتحة، والكهف، وفاطر، وسبأ. وقد تقدم سورة الأنعام أربع سور طوال مدنيّة، وجاء بعدهن سورتا الأنعام والأعراف المكّيتان، وبعدهما سورتا الأنفال والتوبة المدنيّتان.

وجاءت سورة الأعراف بعدها متممةً لشرح ما فيها، ومبيّنةً لسُنن الله تعالى في الأنبياء والمرسلين، وشؤون أممهم معهم، وهي حجة على المشركين وأهل الكتاب جميعاً، لكن سورة الأنعام فصّلت الكلام في قصة إبراهيم عليه السلام، الذي ينتمي إليه العرب وأهل الكتاب، فيما فصّلت سورة الأعراف الكلام في قصة موسى عليه السلام، الذي ينتمي إليه أهل الكتاب، ويّتبع شريعته جميعُ أنبيائهم حتى عيسى ابن مريم عليه السلام.

وبذلك يتبين أن المناسبة بارزة بين سورتي المائدة والأنعام، ذلك أن سورة المائدة معظمها في محاجّة أهل الكتاب، والأنعام في محاجة المشركين، ومن التناسب بينهما في الأحكام

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٢ ص ١٧

أن سورة المائدة ذكرت أحكام الأطعمة المحرمة بالتفصيل، بينما ذكرت سورة الأنعام ذلك بالإجمال.

وكان يذكر القراءات القرآنية، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأنعام: ٢٣ قال الشيخ: (قرأحمزة والكسائي (ثم لم يكن)بالياء، والباقون (لم تكن) بالتاء، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص (فتنتُهم) بالرفع، والباقون (فتنتَهم) بنصب التاء، وقرأ حمزة وخلف والكسائي (والله ربَّنا) بنصب الباء، والباقون(ربِّنا) بكسرها([1])).([2])

ثم ذكر في خاتمة تفسير السورة خلاصة لما اشتملت عليه من عقائد و أحكام.

هذه هي طريقته في تفسير كل سورة، مع اختلاف تفسيره لها بين الطول والقصر.

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص٣٤.

(2) والقراءات التي ذكرها الشيخ دقيقة وصحيحة، أنظر: الهروي: أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر،**"معاني القراءات "**، مركز البحوث في كلية الآداب الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ج١، ص٣٤٧.

المطلب الأول: أخذه من التفاسير دون ذكرها

هناك طريقة أخرى كان الشيخ القطان يسلكها في التفسير، وهي أن يذكر كلمة (التفسير) أو (المفسرون)، دون ذكر الأسماء أو المصدر الذي أخذ منه، فكان يقول: (ذهب المفسرون ...) أو (إن أغلب المفسرين ...) وسأضرب أمثلة من تفسير الشيخ على ما قلناه:

١ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الفاتحة: ٧،قال الشيخ: (اختلف المفسرون في بيان الذين أنعم الله عليهم، والمغضوب عليهم، والضالين، وكتبوا وطولوا في ذلك، وأحسن ما قيل في ذلك ان الآية دلت على أن الناس ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: أهل الطاعة ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ البقرة: ٣ - ٥ وهؤلاء هم الذين أنعم الله عليهم.

الفرقة الثانية: الكافرون: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ البقرة: ٦ - ٧ ، وهؤلاء هم أهل النقمة المغضوب عليهم.

الفرقة الثالثة: هم المنافقون الحائرون، المترددون بين إيمانهم الظاهر وكفرهم الباطني ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ البقرة: ١٠ فهم ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ البقرة: ١٤. وهؤلاء هم الضالون المتحيرون، وقد فصل الله تعالى هذه الفرق الثلاثة في أول سورة البقرة كما سيأتي ان شاء الله.([1])

ونلاحظ أن الشيخ قد تعرض إلى مسألة خلافية بين المفسرين أنفسهم، وبين الفقهاء، في تفسير هذه الآية، وكل واحد رجح القول المتفق مع مذهبه إلا أن الشيخ لم يذكر أحداً، واكتفى بذكر الخلاف، والترجيح فقط.

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١ ص ٤٤

٢ - عند تفسير الشيخ للحروف المتقطعة الواردة في فواتح بعض السور القرآنية،كسورة البقرة، قال: (﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ البقرة: ١ – ٢، بدئت سورة البقرة بهذه الحروف الثلاثة، وهي تقرأ حروفا مفرقة، لا لفظة واحدة، وفي القرآن عدة سور بدئت بحروف على هذا النحو، منها البقرة وآل عمران مدنيتان، والباقي سور مكية .

وقد جاءت بدايات هذه السور على أنواع: منها ما هو حرف واحد مثل قوله تعالى: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ ﴾ ص: ١ ،وقوله تعالى: ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ ﴾ ق: ١، وقوله تعالى:﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ ﴾ القلم: ١ ؛ ومنها ماهو حرفان، مثل قوله تعالى: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ ﴾ طه: ١ - ٢ ، وقوله تعالى:﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ ﴾ يس: ١ – ٢، وقوله تعالى:﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ ﴾ غافر: ١ - ٢ ؛ ومنها ما هو ثلاثة أحرف أو اكثر مثل قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ البقرة: ١ ، وقوله تعالى:﴿ الٓمٓصٓ ۝١ ﴾ الأعراف: ١،وقوله تعالى: ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾ مريم: ١ وقوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ ﴾ الشورى: ١ - ٢ الخ .

وهذه الحروف أربعة عشر حرفا، جمعها بعضهم في عبارة (نص حكيم قاطع له سر)، والعلماء في تفسير معنى هذه الحروف فريقان: فريق يرى أنها مما استأثر الله بعلمه، ولم يرد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - المراد منها، فالله أعلم بمراده.

وفريق يقول: لا يجوز أن يرد في كتاب الله ما ليس مفهوما للخلق، وهؤلاء اختلفوا في تفسير هذه الحروف اختلافا كثيرا، فبعضهم يقول إنها أسماء للسور التي بدئت بها، وبعضهم يعتبرها رموزا لبعض أسماء الله تعالى أو صفاته، فالألف مثلا، إشارة إلى أنه تعالى (أحد ، أول ، آخر ، أبدي ، أزلي)، واللام مثلا اشارة إلى أنه (لطيف)، والميم إلى أنه (ملك ، مجيد ، منان) الخ.

أما الرأي الأشهر الذي اختاره المحققون فهو: إنها حروف أنزلت للتنبيه على أن القرآن ليس إلا من هذه الحروف، وفي متناول المخاطبين به من العرب، فهو يتحداهم أن يصوغوا من تلك الحروف مثله، وهم أمراء الكلام، واللغة لغتهم، من هذه الحروف يصوغ البشر كلاما وشعرا، ومنها يجعل الله قرآنا معجزا، فما أعظم الفرق بين صنع البشر وصنع الله!).(1)

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٥١ – ٥٢

لقد أتى الشيخ رحمه الله بمعظم الآراء الواردة في تفسير معنى هذه الأحرف، وذكر الرأي الراجح، ولكنه لم يذكر اسم أي عالم من العلماء، الذين عارضوا أو رجحوا هذا الرأي.

٣ – عند تفسيره لقوله: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ ﴾ طه: ٩٥ – ٩٦،قال الشيخ: (ما هذا الأمر الخطير الذي أتيت، وأفسدت به بني اسرائيل؟

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ ﴾ طه: ٩٦ قال السامري لموسى: إني علمت ما لم يعلمه قومك، وصنعت لهم العجل من الذهب فعبدوه، وقد اتّبعتك مدةً واخذتُ من دينك، ثم تبيّن لي أنه غير صحيح فتركته،كذلك زينت لي نفسي أن أفعل ما فعلته.

فكأن السامري يريد أن يهرب من ذكر الحقائق ويموه على موسى.

هذا ما أراه أقرب الى الصواب في تفسير هذه الآية، وبهذا المعنى قال عدد من المفسرين المحدَيثن، ولكن أكثر المفسرين القدامى قالوا: إن المراد بالرسول هو جبريل، وإن السامري رآه راكبا على فرس، وأخذ ترابا من أثر الفرس، وألقاه على العجل حتى صار له خوار، وذكروا أقوالا كثيرة، وروايات عديدة!)([1])

نلاحظ أن الشيخ أشار إلى المفسرين القدماء والمحدثين، دون أن يذكر اسم أحد منهم، وهذا النمط من التفسير يجعل القاريء في حيرة، من تتبع معظم أقوال المفسرين، ومعرفة أصحاب هذه الأقوال، ومن هو الراجح منها.

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص ١٠٩ ١١٠

الفصل الثالث: مصادر الشيخ القطان في تفسيره

المبحث الأول: مصادر القطان من كتب التفسير

المطلب الأول: مصادره من كتب التفسير القديمة

المطلب الثاني: مصادره من كتب التفسير الحديثة

المطلب الثالث: أخذه من تفاسير الشيعة

المبحث الأول: مصادر القطان من كتب التفسير

قبل أن نذكر مصادر الشيخ القطان من كتب التفسير، لابد أن نشير إلى أن اسم تفسير الشيخ، يدل على مقصوده، وكذلك كلام الشيخ القطان في مقدمة المجلد الأول، يدل على علاقته بكتب التفسير، ولِأهميته سأنقله هنا كاملاً.

قال الشيخ رحمه الله: (وقد نظرت في التفاسير المطبوعة الموجودة بين أيدي الناس، فوجدتها على كثرتها وجلالها تفيد المختصين في الغالب، ويبقى القاريء العادي والمتوسط المعرفة بحاجة إلى تفسير يضع أمامه المعنى واضحاًجلياً، وبأسلوب سهل، لا تطويل فيه ولا اختصار، بعيداً عن الاصطلاحات العلمية واللغوية، خال من الجدل وتعدد الرويات، والخوض في أمور متعددة لا تغني القاريء من قريب أو بعيد، وبعضها مختصرٌ جدا لا يستطيع الإنسان أخذ المعنى الكامل الذي يريده منها.

لذلك شرعت في هذا التفسير، وحاولت ما أمكنني أن أجعل عبارته بسيطة واضحة، يفهمها كل قاريء مهما كانت ثقافته، فيأخذ حاجته منها دون عناء.

ولم آت في هذا التفسير بجديد، وإنما اعتمدت على عدد من أمهات التفاسير، ونقلت المعتمد من أقوالهم، وحاولت أخذ المعنى بكامله احيانا، وعندما لم أستطع حاولت توضيحه وتقريبه بعبارة سهلة مبينة، وقد بينت التفاسير والكتب التي اعتمدت عليها في آخر الكتاب).[1]

وهو في تفسيره يعتمد على الإيجاز، وتبسيط العبارة قدر الإمكان، فبعد قراءتي للمجلدات الأربعة، وجدته لا يتوسع في التفسير والإعراب وتتبع القصص، وغريب القرآن والمواعظ وغيرها من موضوعات تطرق إليها علماء التفسير في الماضي، ومن تبعهم من المفسرين في العصر الحاضر، وذلك لأن الشيخ إبراهيم القطان من العلماء الذين درسوا بالأزهر، وتتلمذ على شيوخ متأثرين بمحمد عبده، وبمنهجه في التفسير، من بينهم الشيخ محمود شلتوت، وقد صرح الشيخ القطان بهذا كثيرا في المقدمات الموجودة في تفسيره، وكان غرضه الأول والأخير هو تبسيط التفسير، قال الشيخ: (وهذا القرآن الكريم أعرضه ببساطة ويسر في هذا التفسير، أرجو أن يكون حافزاً للمسلمين حتى يقرؤوه ويفهموه، ويجتهدوا ما استطاعوا في أن يحملوا أنفسهم على أن يسيروا في أمور دينهم ودنياهم سيرة النبي الكريم وأصحابه، والصالحين من أئمة المسلمين، وينفوا عن أنفسهم وعقولهم وقلوبهم ما أصابها من الجمود، وما استقر فيها من السخف والأوهام).[2]

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٣٤ المقدمة

(2) المرجع السابق، ج٣، ص ح المقدمة

فالشيخ أخذ من كتب التفسير، واعتمد على أقوال المفسرين في تفسيره، كما قال، ولكنَّه كان يأخذ المعنى فقط، وهذا هو الغالب في تفسيره، ولم يذكر عمن أخذ إلا قليلاً، وفي بعض الأحيان فقط، وكان يذكر المعتمد من أقوال المفسرين، دون ذكر الأقوال الأخرى، معتمداً على تبسيط العبارة وسهولة الأسلوب، وفي بعض الأحيان يذكر رأيه الشخصي، ويربطه بالعصر الحديث، وواقع الأمة .

المطلب الأول: مصادره من كتب التفسير القديمة

أشار الشيخ القطان إلى أنه اعتمد على أمهات كتب التفسير، كما ذكرنا من قبل، وجعلها في آخر المجلد الأول والرابع، وعند مراجعتي للتفسير، وجدت أنه رجع إلى خمسة و تسعين مرجعاً، من بينها أكثر من خمسة عشر تفسيراً من التفاسير القديمة، وهي:

تفسير الطبري	تفسير القرطبي	تفسير التبيان للطوسي
تفسير الخازن	تفسير الكاشف	تفسير الرازي
تفسير الميزان للطبطائي	تفسير الجلالين	تفسير البيضاوي
تفسير الكشاف	تفسير النسفي	تفسير ابي السعود
تفسير ابن كثير	تفسير ابن جُزيّ	تفسير الآلوسي
تفسير مجمع البيان	تفسير فتح القدير	

ولابد أن نشير إلى أن الشيخ كان يعتمد كثيراًعلى تفسير البيضاوي([1])، والتفاسير القديمة، وهذا ما نجده في كلامه حيث قال: (فقد كانت فكرة تأليف تفسير تراودني من أول ما بدأت في الدرس والتعلم، وذلك أني عانيت كثيراً من التعب والمشقة في المطالعة في التفاسير، وكنت أحار فيما أجده بين صفحاتها من التطويل والاستطراد، وما أجد فيها من بحوث لا تمت أحياناً إلى التفسير بصلة، وأول تفسير حصلت عليه هو تفسير البيضاوي، وكم عانيت منه في أول الأمر، وكم وجدت من المشقة والصعوبة في فهم ما يقول وما يريد، وبقيت مصاحباً له طيلة هذه المدة، لايفارقني في سفر ولا حضر، وقد جمعت عدداً من التفاسير، ولما أكتملت العدة، واختمرت الفكرة

---

(1) البيضاوي هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، أبو الخير قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي، ولد بفارس ومات في تبريز سنة ٦٨٥ه، له تفسير:(أنوار التنزيل وأسرار التأويل). انظر: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن،**"بغية الوعاة"**، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، دار الفكر، دمشق، ج١، ص ٤٧٧

بدأت في العمل، ولم يكن العمل سهلاً، لأني كنت أريد أن تكون العبارة سهلة لجميع القراء، مهما كانت ثقافتهم، ولعلي وفقت إلى ذلك...

وكم كنت أعيد النظر فيما أكتب، وأغير وأبدل بعض العبارات والألفاظ، وربما كتبت الصفحة مراتٍ ومرات، ثم لا أرضى عنها، فأتركها أياماً ثم أعود اليها، وأعيد النظر فيها حتى تطمئن نفسي لما كتبت .

ولا أدعي أني أتيت بما لم تأت به الأوائل، فأني على مائدتهم تغذيت، ومن منهلهم ارتويت، فقد ترك لنا علماؤنا الأجلاء ثروة لا تقدر، وكنوزاً مخبوءة في هذه التفاسير العظيمة، تحتاج إلى جهود جبارة لعمل فهرس موحد مرتب، ليعم النفع منها، وتبرز من أرفف المكتبات إلى أيدي الطلبة والدارسين، لأنها في وضعها الحالي لا يستفيد منها إلا قلة من المختصين، ولا يرجع إليها إلا المضطر.

وكل ما أبتغيه، كما قدمت، هو سهولة التعبير ووضوحه، لكل من يريد أن يقرأ ويستفيد، وأرجو أن أكون قد حصلت على ما أريد).(1)

وسأذكر أمثلة على رجوع الشيخ إلى أمهات التفاسير، واستشهاده بكلام أصحابها.

١ – تفسير (جامع البيان) للإمام الطبري(2):

عند تفسيرالشيخ القطان لقوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ البقرة: ١١٥، قال: (قال بعض المفسرين: نزلت هذه الآية قبل الأمر بالتوجه إلى استقبال الكعبة في الصلاة، وفيها إبطال لما كان يعتقده أرباب الملل السابقة من أن العبادة لا تصح إلا في المعابد، لأن الله موجود في كل مكان، إنه رب المشارق والمغارب، ثم شُرعت بعد ذلك القبلة الموحدة، وجُعلت الكعبة رمزاً لذلك، ولا يزال بعض مفهوم هذه الآية سارياً إلى الآن على من لم يعرف أين القبلة .

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ٦٥٣ – ٦٥٤

(2) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، الطبري، الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، مفسر، مقرئ، محدث، مؤرخ، فقيه، أُصولي، مجتهد، كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات سنة عشر وثلاث مائة للهجرة، من تصانيفه: جامع البيان في تأويل القرآن، تاريخ الأمم والملوك، تهذيب الآثار، اختلاف الفقهاء، وتفسيره من أجل التفاسير بالمأثور.أنظر: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **" البداية والنهاية "**، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٥، ص ٤١٠، وانظر: كحالة: عمر رضا، **"معجم المؤلفين"**، تحقيق مكتب التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة، الأولى١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج٣، ص ١٩٠، وانظر: ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٧م، ج٤، ص ١٩١

والذي يرجحه ابن جرير في تفسيره أنّ هذه الآية ليست منسوخة، بل إن حكمها باق ومعمول به على أساس أنه: (أينما تولوا وجوهكم، في حال سيركم في أسفاركم، في صلاتكم التطوع، وفي حال مسايفتكم عدوكم، في تطوعكم ومكتوبتكم، فثم وجه الله) وفي هذا توسيع كبير).(1)

وقد رجعت إلى الطبري فوجدته قد ذكر هذا القول، وقد رجحه الشيخ هنا مقتدياً بالطبري، رحمهم الله أجمعين .

٢ – تفسير القرآن العظيم لإبي الفداء إسماعيل ابن كثير(2):

رجع الشيخ القطان إلى تفسير ابن كثير أثناء تفسيره آية التوبة، التي تحدثت عن الأعراب، وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ التوبة: ٩٧، قال: (الأعراب من أهل البادية أشد كفراً ونفاقاً من أمثالهم أهل الحضر، لأنهم يقضون جل أعمارهم في البادية، يخدمون مواشيهم وأنعامهم، بعيدين عن أهل العلم والحكمة، وهم حقيقون أن يجهلوا حدود الله، وما أنزل على رسوله من شرائع واحكام، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ التوبة: ٩٧ ، واسع العلم بشئون عباده وأحوالهم، حكيم فيما يقدره من جزاء ومن نعيم.

وقد وردت أحاديث كثيرة تشير إلى جفاء الأعراب، وغلظتهم، وبعدهم عن الآداب والمعرفة، قال ابن كثير في تفسيره: (جلس أعرابي إلى زيد بن صوحان، أحد التابعين العلماء الشجعان، وقد شهد الفتوح وقطعت يده في نهاوند، فقال له الأعرابي: والله إن حديثك ليعجبني، وإن يدك لتريبني، فقال زيد: وما يريبك من يدي، إنها الشمال! فقال الأعرابي: والله ما أدري اليمين

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ١١٤

(2) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي، وكنيته أبو الفداء، مولده سنة إحدى وسبعمائة، وتفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري وكمال الدين ابن قاضي شهبة، ولازم الحافظ المزي وتزوج بنته، وأقبل على علم الحديث، وأخذ الكثير عن ابن تيمية، وصنف التاريخ المسمى بالبداية والنهاية، والتفسير، وصنف كتابا في جمع المسانيد العشرة، واختصر تهذيب الكمال، توفي في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية. أنظر: الأدرنوي: أحمد بن محمد **"طبقات المفسرين"**، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ص ٢٦١، وانظر: ابن قاضي شهبة: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر**" طبقات الشافعية "**، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، دار عالم الكتب – بيروت، ج٣، ص ٨٦

يقطعون أو الشمال! فقال زيد بن صوحان: صدق الله ورسوله: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ التوبة: ٩٧ ،).(١)،(٢)

وعند رجوعي إلى تفسير إبن كثير وجدت أن الشيخ قد نقل هذه العبارة عن ابن كثير، كما أشار إلى هذا في بداية كلامه، وتفسير ابن كثير كما هومعروف، من التفاسير التي تعتمد على المأثور.

٣ – تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري:

محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة، أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، الإمام الكبير في التفسير والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره، يلقب بجار الله لأنه جاور بمكة زمانا، ولد في شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة، بزمخشر قرية من قرى خوارزم، له التصانيف البديعة، منها الكشاف في التفسير، و الفائق في غريب الحديث و أساس البلاغة، وربيع الأبرار ونصوص الأخبار في الحكايات، و متشابه أسماء الرواة و الرائض في الفرائض، والمنهاج في الأصول، و المفصل في النحو، والأنموذج فيه مختصر، و الأحاجي النحوية وغير ذلك، وقال ابن خلكان: (كان إمام عصره، وكان متظاهرا بالاعتزال، داعية إليه، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول، يقول لمن يأخذ له الإذن: قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب، مات يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، وتفسيره من التفاسير اللغوية والبيانية).(٣)

قال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى:(﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٧

بعد أن بين الله تعالى شبهة اليهود ومطامعهم في نبوة سيدنا محمد، جاء هنا يفضح موقف أهل الكتاب جميعاً في مخالفتهم عهد الله معهم يوم آتاهم الكتاب، وقد تضمن سياق السورة الكثير من

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٢ ، ص٣٥٤ ، وانظر: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **"تفسير القرآن العظيم"**، تحقيق سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٤، ص٢٠١

(2) هذه القصة لم أجدها في كتب الحديث، وإنما وجدتها في سير اعلام النبلاء للذهبي في معرض حديثه عن زيد بن صوحان، والقصة وردت بسببه، انظر: الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **"سير أعلام النبلاء"**، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان،ج٣، ص٥٢٦

(3) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن،**"بغية الوعاة"**، مصدر سابق،ج٢، ص ٢٨٠، وانظر: الأدرنوي: أحمد بن محمد **"طبقات المفسرين"**، مصدر سابق، ص ١٧٣، وانظر: ابن خلكان ، **"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"**، مصدر سابق، ج٥، ص ١٧٣

أباطيل أهل الكتاب وأقاويلهم وبخاصة اليهود، ومن أبرزها كتمانهم للحق الذي يعلمونه حق العلم، بغية إحداث البلبلة والاضطراب في الدين الاسلامي، وإنكاراً لوحدة المبادىء بينه وبين الأديان التي قبله، هذا مع أن التوراة بين أيديهم، ومنها يعلمون أن ما جاء به محمد هو الحق من عند الله، إذن، لماذا يكتمون الحق ولا يبالون به؟ طمعاً في حطام تافه من عرض الدنيا!

هنا يكشف الله ألاعيبهم ثم يخاطب رسوله والمؤمنين: اذكروا حين أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب بلسان أنبيائهم أن يوضحوا معانيه ولا يحرّفوه عن مواضعه، أو يخفوا شيئاًمن آياته عن الناس ...لكنهم ألقوه وراء ظهورهم واستبدلوا به حطام الدنيا ليتمتعوا بلذاتها الفانية، ﴿ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٧ ، وأضاف قائلاً: قال الزمخشري رحمه الله: (كفى بهذه الآية دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبيّنوا الحق للناس وما علموه، وأن لايكتموا منه شيئاً، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلِّموا)).(١)

وعلق على كلام الزمخشري قائلا: وهانحن نرى كلتا الطائفتين مقصرة أشد التقصير، وعذابُ الجهال منصبٌّ على رؤوس العالِمين، وقدألهى هؤلاء الطمعُ في المال والجاه).(٢)

وعند رجوعي لتفسير الكشاف، وجدت الشيخ قد نقل عبارة الزمخشري حرفياً هنا، مدعماً كلامه بها.(٣)

٤ - تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي:

محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي العلامة فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري التيمي الطبرستاني الأصل، الرازي المولد، المفسر المتكلم صاحب التصانيف، كان شافعي المذهب، صنف التفسير الكبير في اثني عشر مجلدا سماه مفاتيح الغيب، وفسر الفاتحة في مجلد مستقل وضخم سماه مفاتيح العلوم، وصنف نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، وكتاب المطالب العالية في ثلاثة مجلدات ولم يتمه، وهو من آخر تصانيفه، وكتاب عيون الحكمة فلسفة، وكتاب في الرمل،وكتاب في الهندسة، وعدة مصنفات كثيرة مذكورة في وفيات الأعيان، ورزق سعادة

---

(1) أثر ضعيف، أنظر: الزيلعي: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد، **"تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"**، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ج١، ص٢٥٨

(2) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٣٣٤

(3) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، **"الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"**، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض والدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، مكتبة العبيكان الرياض،ج١، ص ٦٧٣

في مصنفاته، وانتشرت في الآفاق، وأقبل الناس على الاشتغال بها، وقد كانت وفاته في يوم الفطر بهراة في سنة ست وستمائة، وتفسيره من التفاسير بالرأي المحمود.(١)

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ الحجرات: ٦ ، قال الشيخ: (تقرر هذه الآية مبدأعظيماً للمؤمنين: كيف يتلقون الأنباء وكيف يتصرفون بها، وأن عليهم أن يتثبتوا من مصدرها، وقد خص الفاسق لأنه مظنة الكذب، أما إذا كان مصدر الخبر من المأمون في دينه وخلقه فإنه يؤخذ بأخباره، ولا يجوز أن يشك فيه، وإلا تعطلت المصالح، وتزعزعت الثقة بين المؤمنين، وتعطل سير الحياة وتنظيمها في الجماعة، والإسلام يدع الحياة تسير في مجراها الطبيعي، ويضع الضمانات والحواجز فقط لصيانتها لا لتعطيلها، وقد روي في سبب نزول هذه الآية رويات كثيرة قَبِلها كثير من المفسرين، وضعفها بعضهم، ومنهم الرازي، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).(٢)

وعند رجوعي لمفاتيح الغيب، وجدت الرازي قد فصل في هذه المسألة، ولم يضعفها على الإطلاق كما قال الشيخ القطان، وذكر كل الروايات الواردة في نزول هذه الآية، وكلها راجعة إلى الوليد بن عقبة، ولأهمية كلام الرازي، سأنقله هنا: قال في سبب نزول هذه الآية: ((إن النبي صلى الله عليه وسلّم بعث الوليد بن عقبة، وهو أخو عثمان لأمه، إلى بني المصطلق ولياً ومصدقاً فالتقوه، فظنهم مقاتلين، فرجع إلى النبي - صلى الله عليه وسلّم - وقال: إنهم امتنعوا ومنعوا، فهم الرسول - صلى الله عليه وسلّم - بالإيقاع بهم، فنزلت هذه الآية، وأخبر النبي - صلى الله عليه وسلّم - بأنهم لم يفعلوا من ذلك شيئاً)).(٣)

وهذا جيد إن قالوا بأن الآية نزلت في ذلك الوقت، وأما إن قالوا بأنها نزلت لذلك مقتصرة عليه وغيرمتعدية إلى غيره فلا، بل نقول هي نزلت عامة لبيان التثبت، وترك الاعتماد على قول الفاسق، ويدل على ضعف قول من يقول: إنها نزلت لكذا، أن الله تعالى لم يقل إني أنزلتها لكذا، والنبي - صلى الله عليه وسلّم - لم ينقل عنه أنه بين أن الآية وردت لبيان ذلك فحسب، غاية ما في الباب أنها نزلت في ذلك الوقت، وهو مثل التاريخ لنزول الآية، ونحن

---

(1) الأدرنوي: أحمد بن محمد **"طبقات المفسرين"**، مصدر سابق، ص ٢١٤، وانظر: ابن قاضي شهبة،**" طبقات الشافعية "**، مصدر سابق، ج٢ ، ص٦٧، وانظر: ابن خلكان ، **"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"**، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٥٢

(2) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ١٨٠

(3) ضعيف، رواه أحمد، والطبراني، وابن جرير، والواحدي، وغيرهم؛ بأسانيد مرسلة ومتصلة، ولا يخلوا المتصل منها من ضعف، أنظر: السَّقَّاف: علوي بن عبد القادر،**" تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لسيد قطب"**، مرجع سابق، ص ٤٠٤، رقم الحديث ٧٧٣

نصدق ذلك، ويتأكد ما ذكرنا أن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد سيء بعيد، لأنه توهم وظن فأخطأ، والمخطىء لا يسمى فاسقاً، وكيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج عن ربقة الإيمان لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٦ ﴾ المنافقون: ٦ وقوله تعالى: ﴿ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾الكهف: ٥٠، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ السجدة: ٢٠ إلى غير ذلك).([1])

ونستنتج من هذا، أن الرواية ضعيفة، والحديث لم يصح، والوليد بن عقبة صحابي جليل، وليس فاسقاً، والآية لم تنزل فيه.

(1) الرازي: فخر الدين بن ضياء الدين، **"مفاتيح الغيب"**، الطبعة الأولى ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، ج٢٨ ص ١١٩

المطلب الثاني : مصادره من كتب التفسير الحديثة

ذكر الشيخ القطان كتب التفسير الحديثة التي استعان بها في تفسيره، وجعلها في آخر المجلد الأول، والرابع، وهي أكثر من عشرة تفاسير معاصرة، وهي:

تفسير محمود شلتوت	تفسير ابن باديس	تفسير القاسمي
تفسير المنار	تفسير المراغي	تفسير المؤمنين لعبد الودود يوسف
تفسير محمد فريد وجدي	تفسير الظلال	تفسير جزء عمّ لمحمد عبده
التفسير الواضح لابن الخطيب	تفسير الجواهر	

وسأذكر بعض التفاسير الحديثة، التي رجع إليها الشيخ القطان، واستعان بها في تفسيره.

١ – تفسير المنار لمحمد رشيد رضا :

محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار)، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، وكان أول اقتراح عرضه عليه، أن يكتب تفسيراً للقرآن على نهج ما كان يكتب فى جريدة (العروة الوثقى)، وبعد أخذ ورد بين الشيخين اقتنع الأستاذ الإمام بأن يقرأ دروساً فى التفسير بالجامع الأزهر، ولم يلبث إلا قليلاً حتى قام بإلقاء دروسه فى التفسير على طُلابه ومريديه، وإذا نحن تتبعنا ما كتبه الشيخ رشيد من تفسير للقرآن الكريم، لوجدنا أنه أكثر رجال مدرسة الأستاذ الإمام انتاجاً فى التفسير، وذلك أنه كتب تفسيره المسمى بتفسير القرآن الحكيم، والمشهور بتفسير المنار، ابتدأ بأول القرآن، وانتهى عند قوله تعالى: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠ ثم عاجلته المنية قبل أن يتم تفسير القرآن كله، بحادث مرور مأساوي بالقاهرة، وقد أكمل الأستاذ بهجت البيطار تفسير سورة يوسف، وطبع تفسير هذه السورة بتمامها فى كتاب مستقل يحمل اسم الشيخ رشيد رحمه الله، وفيه تتجلى روح الأستاذ الإمام ممزوجة بروح تلميذه، فالمصادر هى المصادر، والهدف هو الهدف، والمنهج هو المنهج،

والأفكار هى الأفكار، ولا فرق بين الرجلين إلا فيما هو قليل، وكانت ولادته سنة ١٨٦٥ووفاته سنة ١٩٣٥م، بحادث مرور كما ذكرنا، رحمه الله رحمة واسعة.[1]

رجع الشيخ إبراهيم القطان إلى تفسير المنار عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

البقرة: ٣٤، وبين حقيقة إبليس هل هو من الملائكة أو من الجن، قال الشيخ: (يقول في تفسير المنار : (وليس عندنا دليل على أن بين الملائكة والجن فصلاً جوهرياً يميز أحدهما عن الآخر، وإنما هو اختلاف أصناف عندما تختلف أوصاف، كما ترشد إليها الآيات، وعلى كل حال فإن جميع هذه المسمِّيات بهذه الأسماء من عالم الغيب لا نعلم حقائقها ولا نبحث عنها) ويضيف الشيخ قائلاً: فعلينا أن نؤمن بها كما وردت، ولا يهمنا إن كان إبليس من الملائكة أو من الجن، فهذا جدلٌ لا طائل تحته، والمهم أنه عصى ربه، وأصبح عنواناً على الشر والطغيان). [2]

وقد ذكر الشيخ رشيد رضا هذه المسألة بنوع من التفصيل فقال: قال تعالى: ﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ البقرة: ٣٤ ، أي سجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس، وهو فرد من أفراد الملائكة، كما يفهم من الآية وأمثالها في القصة، إلا آية الكهف فإنها ناطقة بأنه كان من الجن، قال تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ الكهف: ٥٠، وليس عندنا دليل على أن بين الملائكة والجن فصلاً جوهرياً يميز أحدهما عن الآخر، وإنما هو اختلاف أصناف، عندما تختلف أوصاف، كما ترشد إليه الآيات، فالظاهر أن الجن صنف من الملائكة، وقد أطلق في القرآن لفظ الجنة على الملائكة على رأي جمهور المفسرين في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ ﴾ الصافات: ١٥٨، وعلى الشياطين في آخر سورة الناس ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ الناس: ٦ وعلى كل حال فجميع هؤلاء المسميات بهذه الأسماء من

---

(1) الزركلي: خير الدين، **"الأعلام"**، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر أيار / مايو ٢٠٠٢م، الذهبي: محمد حسين **"التفسير والمفسرون"**، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، الناشر مكتبة وهبة القاهرة، ج٢، ص٤٢٢، وانظر: الخالدي، **"تعريف الدارسين بمناهج المفسرين"**،مصدر سابق، ص ٥٧٠

(2) تيسير التفسير، ج١، ص ٧٠ ٧١

عالم الغيب، لا نعلم حقائقها ولا نبحث عنها، ولا نقول بنسبة شيء إليها، مالم يرد لنا فيه نص قطعي عن المعصوم صلى الله عليه وسلم).(١)

فالشيخ القطان رحمه الله نقل عبارة محمد رشيد رضا، ولكنّه أتى بخلاصة كلامه فقط، ولم يفصل المسألة مثل ما فصلها تفسير المنار، وإن محمد رشيد رضا يرجح أن إبليس فرد من أفراد الملائكة، وهذا ما نراه من أول كلامه في تفسيره للآية الكريمة... إلا أن الآية صريحة، وحسمت الخلاف، في حقيقة إبليس، بأنه من الجن، وليس من الملائكة، لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ الكهف: ٥٠ ،وقول الشيخ محمد رشيد رضا، بأن الملائكة والجن من عالم الغيب، وليس بينهما اختلاف، غير مسلم به، وصحيح انهما من عالم الغيب، ولكن الملائكة خلقوا من نور، ويعبدون الله، ولايعصونه، ويفعلون ما يؤمرون، أما الجن فخلقوا من نار، وهم مخيرون في العبادة، مثل البشر، فمنهم الطائع والعاصي، وهناك عدة فروق بين الملائكة والجن، أما الآية التي ذكرها، وهي قوله تعالى:﴿ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٥٨﴾ الصافات: ١٥٨ ،ورأى أنها تثبت أن الملائكة من عالم الجن، فأغلب المفسرين أن الجنة مقصود بها الجن.(٢)

٢ – في ظلال القرآن لسيد قطب:

سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط، سنة ١٩٠٦م، تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) وعمل في جريدة الاهرام، وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف، ثم (مراقبا فنياً) للوزراة، وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا (١٩٤٨ – ١٩٥٠م)، ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الأنجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية، وبنى على هذا استقالته (١٩٥٣م) في العام الثاني للثورة، وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (١٩٥٣ –

---

(1) رضا: محمد رشيد،" **تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار** "، الطبعة الثانية ١٩٤٧م، دار المنار القاهرة، ج١، ص ٢٦٥

(2) أنظر: القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **"الجامع لأحكام القرآن"**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية ، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤ م، دار الكتب المصرية – القاهرة، ج١، ص ٢٩٤، وانظر الزحيلي: وهبة **" التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج "**، الطبعة: الثانية ١٤١٨ هـ، دار الفكر المعاصر – دمشق، ج١، ص ١٣٥

١٩٥٤م) وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه في سنة ١٩٦٦م، وبعد اسبوع من صدور حكم الإعدام، تم تنفيذ الحكم، وكان عمره ستين سنة تنقص شهرين.

وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن) و (كتب وشخصيات) و (أشواك) و (الإسلام ومشكلات الحضارة) و (السلام العالمي والإسلام) و (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق)، ولما وصل خبر استشهاده إلى المغرب أقيمت على روحه صلاة الغائب، ولما كانت النكسة (أو النكبة) عام١٩٦٧ م، قال علال الفاسي زعيم حزب الإستقلال المغربي: ما كان الله لينصر حربا يقودها قاتل سيد قطب، وكتب إبراهيم بن عبد الرحمن البليهي (من طلاب كلية الشريعة في الرياض) مجلداً سماه (سيد قطب وتراثه الأدبي والفكري).[1]

رجع الشيخ إبراهيم القطان الى تفسير الظلال، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٨، قال الشيخ: (أما قوله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٨ ، فقد فسرتها الآية الواردة في سورة النساء: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾النساء: ٣٤ ، فهذه الدرجة هي الرياسة ومسؤولية القيام على المصالح، والإنفاق على الأسرة.

إن الحياة الزوجية تقتضي وجود مسؤول يرجع اليه عند اختلاف الآراء والرغبات، حتى لا يعمل كلٌّ ضد الآخر ، فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ، والرجل هو الأحق بذلك، ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٨ ، فمن عزته أن أعطى المرأة مثل ما أعطى الرجل من الحقوق، بعد أن كانت كالمتاع لدى جميع الأمم، إنه هو الذي رفعها عما كانت عليه في كل شريعة من

(1) الخالدي، **"تعريف الدارسين بمناهج المفسرين"**،مصدر سابق، ص ٥٩٩

الشرائع الماضية، فلقد كانت المرأة عند الرومان مثلاً أمة في بيت زوجها، عليها واجبات، وليس لها حقوق .

ويرى الأستاذ سيد قطب أن هذه الدرجة مقيدة في هذا السياق بحق الرجل في هذا الموضع، وليست مطلقة الدلالة، كما يفهمها الكثيرون، ويستشهدون بها في غير موضعها).(١)

وعند رجوعي لتفسير سيد قطب وجدته قد تحدث عن هذه الدرجة بشيء من التفصيل، فهو يرجح أن هذه الآية مرتبطة بالتي قبلها، وهي عدة المرأة المطلقة، وحق الزوج في الرد، ولا يمكن استعمال الآية على إطلاقها كما هو مفهوم من نص الآية.

قال سيد قطب: (﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ البقرة: ٢٢٨،أحسب أنها مقيدة في هذا السياق بحق الرجال في ردهن إلى عصمتهم في فترة العدة، وقد جعل هذا الحق في يد الرجل، لأنه هو الذي طلق، وليس من المعقول أن يطلق هو فيُعطي حقٌّ المراجعة لها هي! فتذهب إليه، وترده إلى عصمتها! فهو حق تفرضه طبيعة الموقف، وهي درجة مقيدة في هذا الموضع، وليست مطلقة الدلالة كما يفهمها الكثيرون، ويستشهدون بها في غير موضعها).(٢)

٣ – تفسير القاسمي:

جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الادب، ولد بدمشق سنة ١٨٦٦م،كان سلفي العقيدة، لا يقول بالتقليد، انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية، فأقام في عمله هذا أربع سنوات (١٣٠٨ - ١٣١٢ هـ) ثم رحل إلى مصر، وزار المدينة، ولما عاد اتهمه حساده بتأسيس مذهب جديد في الدين، سموه (المذهب الجمالي) فقبضت عليه الحكومة (سنة ١٣١٣ هـ وسألته، فرد التهمة فأخلي سبيله، واعتذر إليه والي دمشق، فانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة، في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب، وتوفي سنة ١٩١٤م، من مصنفاته، محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم، إصلاح المساجد من البدع والعوائد، وتعطير المشام في مآثر دمشق الشام، قواعد التحديث من فن مصطلح الحديث، ودلائل التوحيد.(٣)

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ١٨٧

(2) سيد قطب: إبراهيم حسين، **" في ظلال القرآن "**، مرجع سابق،ج١، ص ٢٤٧

(3) الزركلي، **"الأعلام"**،مصدر سابق، ج٢، ص ١٣٥ ،وانظر: كحالة: عمر رضا، **"معجم المؤلفين"**، مصدر سابق، الجزء الثالث ، ص ١٥٧، وانظر: الخالدي، **"تعريف الدارسين بمناهج المفسرين"**،مصدر سابق، ص ٥٨٠

عند تفسير الشيخ القطان لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ ﴾ النساء: ١٧١، رجع إلى تفسير القاسمي، واستشهد منه بقصة، أوردها القاسمي في تفسيره، فقال: (بعد أن انتهى القرآن من محاجة اليهود، وإنصاف سيدنا عيسى وأمه الطاهرة من افتراءاتهم وغلوهم في تحقيره، عطف هنا إلى إنصاف عيسى من غلو النصارى في شأنه، ورفض ما دخل عليهم من أساطير الوثنية التي تسربت إلى عقيدة المسيح بعده، بفعل شتى الأقوام والملل.

يا أهل الكتاب من اليهود، لا تتجاوزوا الحدود التي حدها الله، ولا تعتقدوا إلا الحق الثابت، أحذروا ان تفتروا على الله الكذب، فتنكروا رسالة عيسى، أو تجعلوه آلها مع الله، إنما هو رسول من عند الله كسائر الرسل، خلقه بقدرته، كلمته التي نفخها روحه جبريل في مريم، فالمسيح سر من أسرار قدرته، وليس ذلك بغريب، أما خلق آدم من قبله من غير أب ولا أم! ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩ ﴾ آل عمران: ٥٩ ، قال القاسمي في تفسيره: يحكى أن طبيبا نصرانيا من أطباء الرشيد، ناظر علي بن حسن الواقدي ذات يوم فقال له: إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى، وتلا هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ ﴾ النساء: ١٧١، فقرأ الواقدي قوله تعالى في سورة الجاثية: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾ الجاثية: ١٣ ، وقال له: إذن يلزم أن يكون جميع الأشياء جزءاً من الله، تعالى علواً كبيراً، فانقطع النصراني وأسلم، وفرح الرشيد بذلك الجواب ووصل الواقدي بصلة فاخرة.

آمنوا يا نصارى بالله ورسله جميعا إيمانا صحيحا، ونزهوه عن كل شريك ومثيل، ولا تقولوا إن الآلهة ثلاثة، انتهوا عن هذا الباطل، فهو نقيض لعقيدة التوحيد التي جاءت بها الأديان

السماوية، إن الله يا هؤلاء واحد منزه عن التعدد، فليس له أجزاء ولا أقانيم، ولا هو مركب ولا متحد بشيء من المخلوقات).([1])

وعند رجوعي إلى محاسن التأويل وجدت أن القاسمي قد فسر هذه الآية، وذكر هذه القصة، ورجع إلى عدة مصادر، من النحو والحديث، واستعان بها في التفسير.

٤ – تفسير المراغي :

أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م، ثم كان مدرس الشريعة الاسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذا للعربية والشريعة الاسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة، وله كتب، منها (الحسبة في الإسلام)، و (الوجيز في أصول الفقه) مجلدان، و(تفسير المراغي) في ثمانية مجلدات، و (علوم البلاغة).([2])

رجع الشيخ القطان إلى تفسير المراغي، عند ذكره لغزوة أحد، والتي إنهزم فيها المسلمون في جولتها الثانية، عندما خالفوا أوامر الرسول - صلى الله عليه وسلم - فعند تفسيره لقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٢ ، قال الشيخ: (ما زال الكلام والخطاب مع الأصحاب الذين كانوا في أحد، وكان - صلى الله عليه وسلم - قد وعدهم النصر يومئذ إن امتثلوا أمره، وقد وفى الله لهم بما قاله على لسان نبيه، ذلك أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أقام الرماة عند الجبل صيانة لمؤخرة المسلمين، وأوصاهم أن لا يبرحوا مكانهم، حتى ولو رأوا العدو تتخطفه الطير، ووعدهم النصر بهذا الشرط، وكان الرماة خمسين رجلاً، ولما ابتدأت المعركة شرع الرماة يرشقون المشركين، وبقية الأصحاب يضربونهم بالسيوف، وقتلوهم قتلاً ذريعاً، حتى انهزموا، وهذا معنى ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ ﴾ آل عمران: ١٥٢ ، أي تقتلونهم بأمر الله، وفي تفسير ابن جرير الطبري والمراغي

---

(1) القطان، تيسيرالتفسير، ج١، ص ٤٥٢ ، وانظر: القاسمي: محمد جمال الدين" **محاسن التأويل** "، إشراف: فؤاد عبد الباقي، دار أحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٩٥٧م، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج٥، ص ١٧٦٤

(2) الزركلي، "**الأعلام**"،مصدر سابق، ج١،ص ٢٥٨، وانظر: الذهبي،"**التفسير والمفسرون**"،مرجع سابق،ج٢، ص ٤٢٤

وغيرهما، أن طلحة بن عثمان، صاحب لواء المشركين المعروف بكبش الكتيبة، قام فقال: يا معشر أصحاب محمد ، إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة، أو يعجلني بسيفه إلى النار؟ فقام اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وضربه فقطع رجله، وسقط، فانكشفت عورته، فقال طلحة لعلي: أنشدك الله والرحم يا ابن عم...فتركه علي رضي الله عنه، وكبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقال لعلي أصحابه: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: ناشدني الله والرحم، هذا هو علي في خلقه، يفيض قلبه بالحنان والرحمة، حتى على أعدى أعدائه، الذي برز له، شاهراً السيف في وجهه، مصمماً على قتاله وقتله([1])).([2])

وهذه القصة، حدثت في غزوة أحد بين علي بن أبي طالب وطلحة بن عثمان، وذكرها الشيخ المراغي في تفسيره، نقلاً عن ابن جرير، واستشهد بها الشيخ هنا في تفسير هذه الآية.

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٣١٠، وانظر: المراغي: أحمد مصطفى ، **" تفسير المراغي "**، الطبعة الأولى ١٩٤٦م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر، ج٤، ص ٩٩

(2) اخرجه الطبري في تفسيره برقم ٨٠٠٤ ، انظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **"جامع البيان في تأويل القرآن"**، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسةالرسالة، الطبعةالأولى،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م،ج٧، ص٢٨١

المطلب الرابع: أخذه من تفاسير الشيعة

وقبل أن نختم هذا المبحث، لابد أن نشير إلى أن الشيخ كان يأخذ من تفاسير الشيعة، ويتعرض إلى أقوالهم في التفسير، مقارنا بينها وبين تفاسير أهل السنة، والأمثلة التي سأوردها، سيتضح لنا منها، أنه كان يأتي بأقوال الشيعة، دون ترجيح، أو إبداء لرأيه، أو الرد عليهم ...

١ – قال عند تفسيره لقوله تعالى :(﴿ ۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٢٤ ﴾ النساء: ٢٤، وبالاضافة الى ما سبق حرم عليكم نكاح المتزوجات عامة، إلا من سبيتم وملكتم منهم([1])، في حرب بينكم وبين الكفار، إن عقد زواجهن السابق ينفسخ بالسبي، فيصِرن حلالا لكم بعد استبراء أرحامهن، هذا ما كتب عليكم تحريمه فرضا مؤكدا من عند الله.

وأحل الله لكم ما وراء ذلك من النساء، تتزوجون بأموالكم منهم([2]) من تشاؤون، محصنين أنفسكم، بعيدين عن الزنا والمخادعة، وأي امرأة من النساء اللاتي أُحللن لكم فاستمتعتم بالزواج منها، فأعطوها مهرها الذي اتفقتم عليه عند العقد، ذلك فريضة من الله فرضها عليكم لا تسامح فيها؟ بيد أنه لا حرج عليكم فيما إذا تراضيتم على النقص في المهر بعد تقديره، أو تركه كله، أو الزيادة فيه، إن ذلك عائد للزوجين إذا ما تفاهما، وعاشا في مودة و طمأنينة، وهذا مايبغيه الشارع الحكيم .

وقد تمّسك الشيعة الإمامية بقوله تعالى ﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗ ﴾ النساء: ٢٤ وقالوا إن المراد بذلك هو المتعة، وهي الزواج المؤقت، كما قالوا: إن هذا دليل واضح، ولا تزال المتعة قائمة عندهم، معمولا بها، يقول الطبرسي([3])، وهو من كبار علماء الشيعة الإمامية في تفسيره (مجمع البيان) عن هذه الآية: (قيل المراد به نكاح المتعة، وهو النكاح المنعقد بمهر معين الى أجل معلوم، وهذا عن ابن عباس والسدي وجماعة من التابعين،

(1) والصحيح : منهنّ

(2) والصحيح : منهنّ

(3) الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، أمين الدين، أبو علي: مفسر محقق لغوي، من أجلاء الامامية، نسبته إلى طبرستان، له (مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان، انظر: الزركلي، **"الأعلام"**،مصدر سابق، ج٥، ص ١٤٨، وانظر: الخالدي، **"تعريف الدارسين بمناهج المفسرين"**،مرجع سابق، ص ٥١٩

وهو مذهب اصحابنا الإمامية الخ) وكذلك يقول شيخ الطائفة العلامة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي([1]) في تفسيره (التبيان)).([2])

وهنا نلاحظ أن الشيخ لم يعلق أو يرد على علماء الشيعة في مسألة زواج المتعة، وإنما اكتفى بذكر أقوالهم فقط، وكان حرياً به أن يرد على الشيعة.

وزواج المتعة كان محللا في صدر الإسلام، أذن فيه النبي - صلّى الله عليه وسلّم - مرة أو مرتين في الجهاد، لبعد المجاهدين عن نسائهم، وخوفا من الزنى، ثم حُرم واستقر الأمر على التحريم، ونحن نعلم أن الشيعة إلى الآن يجيزون هذا النوع من الزواج، وهو في حقيقته زنى محض، وهو نكاح المرأة إلى أجل معين كيوم أو أسبوع أو شهر، وهو حرام، لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة: (يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهنّ شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا).([3])

٢ – قال عند تفسيره لقوله تعالى :(﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ الأنفال: ٤١، اعلموا أيها المؤمنون أن حكم كل ما غنمتموه من الاعداء المحاربين أن يقسم خمسة اخماس: خمس منها لله وللرسول ولقرابته، واليتامى، وهم أطفال المسلمين الذين مات آباؤهم وهم فقراء، والمساكين، وهم ذوو الحاجة من المسلمين، وابن السبيل، وهو المنقطع في سفره، وينفق من هذا المخصص لله وللرسول في المصالح العامة التي يقررها الرسول في حياته، ويقررها الإمام بعد وفاته، وباقي الخمس يصرف للمذكورين آنفا، وأما الاخماس الاربعة الباقية من الغنيمة، فهي للمقاتلين، وقرابة النبي - عليه الصلاة والسلام - هم بنو هاشم وبنو المطلب، دون بني عبد شمس ونوفل.

---

(1) محمد بن الحسن بن علي أبو جعفر الطوسي، شيخ الشيعة وعالمهم، له تفسير كبير في عشرين مجلدا، وعدة تصانيف مشهورة، قدم بغداد وتفنن وتفقه للشافعي، ولزم الشيخ المفيد مدة، فتحول رافضيا، وحدث عن هلال الحفار، مات سنة ستين وأربعمائة، انظر: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **" البداية والنهاية "**، مصدر سابق، ج١٢، ص١١٩، وانظر: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **"طبقات المفسرين"**، تحقيق، علي محمد عمر، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ، ص٨٠ ، وانظر: الذهبي: **"سير أعلام النبلاء"**، مصدر سابق، ج١٨، ص ٣٣٤

(2) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٣٦٩ ٣٧٠

(3) رواه مسلم، والحديث صحيح، أنظر: الزيلعي: **"تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"**، مصدر سابق، ج١، ص٣٠٢، رقم الحديث:٣١٣

وعند الشيعة تفسير للغنيمة أعم مما عند السنة، كما أنهم اختلفوا عنهم في تقسيم الخمس، فقالوا: يقسم الخمس إلى قسمين: الأول منها ثلاثة أسهم: سهم لله، وسهم لرسوله، وسهم لذوي قرباه، وما كان لله فهو للرسول، وما كان للرسول فهو لقرابته، وولي القرابة بعد النبي هو الإمام المعصوم القائم مقام النبي، فان وجد أعطي له، وإلا وجب إنفاقه في المصالح الدينية، وأهمها الدعوة إلى الإسلام، والعمل على نشره وإعزازه .

أما القسم الثاني فهو ثلاثة أسهم: سهم لأيتام آل محمد، وسهم لمساكينهم، وسهم لأبناء السبيل خاصة، لا يشاركهم فيه أحد، لأن الله حرم عليهم الصدقات فعوضهم عنها بالخمس.

فاعلموا ذلك أيها المسلمون، واعملوا به إن كنتم آمنتم بالله حقا، وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا محمد يوم الفرقان من آيات التثبيت والمدد، وهو اليوم الذي التقى فيه جمعكم وجمع الكافرين ببدر.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤١﴾ الأنفال: ٤١ ومن عظيم قدرته أن نصركم على قلتكم وضعفكم، وخذل الكافرين مع كثرتهم).[1]

وهنا نلاحظ أن المفسر بعدما ذكر كيفية تقسيم الغنائم عند أهل السنة، ختمها بكيفية تقسيم الغنائم عند الشيعة، ولم يذكر الفرق بينهم وبين أهل السنة، أومن منهم الأصح في التقسيم في نظره؟ وذكر لنا فقط أن تقسيم الشيعة أعم من تقسيم أهل السنة في الغنائم.

والآية صريحة في تقسيم الغنيمة، والأصناف التي ذكرتها ستة، ولكن العلماء اختلفوا في سهم الله، والرسول- صلى الله عليه وسلم -، هل هو سهم واحد أم لا؟ ومن المقصود بذوي القربى في الآية؟ هل هم قرابة الرسول - صلى الله عليه وسلم-، أم قرابة الإمام؟ وهل هذا الحكم باق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم؟ وهي مسألة خلافية، لايمكن عرضها هنا، نظرا لخصوصية هذا البحث، ومن أراد فعليه بالرجوع إلى الكتب المختصة.[2]

ولكن الشيخ قارن بين أهل السنة والشيعة في تقسيم الغنيمة، وهذا غير ممكن، لأن الشيعة يختلفون عن أهل السنة في العقيدة والفقه، وفي كل شيء، وعندهم الإمام المعصوم، يأخذ الخمس من الغنيمة ومن غيرها، فلا يمكن مقارنة أهل السنة بالشيعة في مسألة كهذه.

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٢٦٠

(2) أنظر: ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبدالله، **"أحكام القرآن"**، مراجعة وتعليق محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٢، ص٤٠٢

المبحث الثاني: مصادره من كتب علوم القرآن والسنة والسيرة النبوية

المطلب الأول: مصادره من كتب علوم القرآن

المطلب الثاني: مصادره من كتب السنة

المطلب الثالث: مصادره من كتب السيرة

المطلب الأول: مصادره من كتب علوم القرآن

رغم كون تفسير الشيخ إبراهيم القطان من التفاسير الجديدة والميسرة، والتي اهتمت اهتماماً بارزاً في تبسيط التفسير، وتسهيله على القاريء، وتجنب الحشو والاستطراد اللغوي، الذي يطغى على معظم التفاسير القديمة، والتي يجد القاريء صعوبة كبيرة في دراستها، إلا أن الشيخ إبراهيم القطان رجع إلى أمهات كتب علوم القرآن، واستعان بها في تفسير الآيات القرآنية التي ترتبط بموضوعات علوم القرآن، وهذا ما نراه في الأمثلة التالية:

١ – في مقدمة المجلد الثاني من التفسير، نجده يقول: (كتبت في آخر مقدمة المجلد الأول مانصه: (فائدة: مجموع آيات القرآن الكريم ستة آلاف آية، نقلاً عن (الإتقان) للإمام السيوطي رحمه الله.

وبعد الرجوع إلى عدد من المراجع، وجدت أن الأمر فيه خلاف كبير، ونص الإتقان: (قال ابو عمرو الداني: أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية، ثم اختلفوا في ما زاد على ذلك، فمنهم من لم يزد، ومنهم من قال ستة آلف ومائتا آية، وأربع آيات، وقيل أربع عشرة، وقيل تسع عشرة، وقيل خمس وعشرون، وقيل ست وثلاثون...وهذا راجع إلى اختلاف قراء أهل المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة ...)

وقد أحصيت آيات القرآن الكريم في المصحف الذي بين أيدينا بقراءة(حفص)، فوجدتها ستة آلاف آية ومائتين بالضبط([1])).([2])

٢ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الشورى: ٣٨، قال الشيخ: (وهذا دستور عظيم في الاسلام، فهو يوجب أن يكون الحكم مبنياً على التشاور، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يشاور أصحابه الكرام في كثير من الأمور، وكان الصحابة الكرام يتشاورون فيما بينهم، ومثلُ ذلك قوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩ .

قال الحسن البصري: (ما تشاور قوم إلا هُدوا لأرشدِ أمرهم).([3]) وقال ابن العربي: (الشورى ألفة للجماعة، وصِقال للعقول، وسببٌ إلى الصواب، وما تشاور قوم قط إلا هدوا).([4])

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص١٢

(2) الراجح على العد الكوفي، أنها ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية.

(3) اثر غريب اخرجه الزيلعي في تخريج آحاديث الكشاف، انظر: الزيلعي: **"تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"**، مصدر سابق، ج١، ص٢٣٤

(4) القطان، تيسير التفسير،ج٤ .ص٧٣

٣ –عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾

﴾ طه: ١ – ٣، قال الشيخ: (ابتدأ الله تعالى السورةَ بهذه الحروف، لتحدّي المنكِرين، وللإشارة إلى أن القرآن مكون من هذه الحروف التي تتكلمون بها، ومع ذلك عجزتم عن الإتيان بسورة قصيرةٍ أو آيات مثله.

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ طه: ٢ ما أنزلْنا عليك القرآن لتُتعب نفسك في مكابدة الشدائد، وتتحسَّر على عدم إيمان من تدعوه، بل أنزلْناهُ عليك لتبلِّغَ وتذكِّر، وقد فعلت.

قال الواحدي وغيرُه من المفسرين في أسباب النزول: قال أبو جهل والنضرُ بن الحارث، والوليد بن المغيرة، والمطعِم بن عَدِي للنبي - صلى الله عليه وسلم -: إنك لتَتشقى بتركِ ديننا، لما رأوا من طول عبادته واجتهادِهِ، فأنزلَ الله تعالى: ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ طه: ١ - ٢.[1]

ولكن أنزلناه تذكيراً لمن يخافُ الله ويطيعه، فحسْبُك ما حملته من متاعب التبليغ والتبشير والإنذار.

وفي هذا تسليةٌ للنبي - صلى الله عليه وسلم - على ما كان يلقى من التعب، حين كان يدعو أولئك القوم، وهم معاندون جاحدون).[2]

---

(1) اسناده ضعيف جدا، أنظر ما قاله الطاهر بن عاشور عن الواحدي، في سبب نزول هذه الآية: ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، **"التحرير والتنوير"**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١٦، ص ٩٥

(2) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص٨٦

المطلب الثاني: مصادره من كتب السنة

لقد أشرنا عدة مرات إلى أن تفسير الشيخ القطان من التفاسير الحديثة، والمتأثرة بمدرسة الشيخ محمد عبده وبمذهبه في التفسير، وهذا نظراً لكون الشيخ القطان من المفسرين المعاصرين، الذين تتلمذوا في الأزهر على يد علماء تأثروا بمدرسة محمد عبده، أمثال محمود شلتوت وغيره، وكما هو معروف فإن المدرسة قامت بثورة على المناهج القديمة في التفسير، وأتت بمنهج جديد في التفسير، يتجنب الحشو والاستطراد اللغوي، والغوص في المسائل النحوية والبلاغية، وعدم التركيز على الأحاديث الضعيفة والقصص والإسرائيليات في التفسير، وإنما أرادت هذه المدرسة ربط التفسير بالواقع، والوقوف عند شرح الآيات شرحاً وافياً فقط، ومحاولة إلحاق التفسير بالتقدم الحضاري الذي ظهر في عصرنا الحاضر في مختلف العلوم .

مع هذا نجد الشيخ إبراهيم القطان في تفسيره رجع إلى عدة كتب من السنة والسيرة النبوية، فهو كغيره من المفسرين، يحتاج إلى هذه الكتب، في تفسير القرآن وتوضيح معانيه، وكما هو معلوم فإن السنة شارحة للقرآن، ومبينة لمجمله، ومفصلة لعدة أحكام جاء بها القرآن بصورة موجزة ومختصرة، ولا يستغنى عن السنة أي مفسر لكتاب الله، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾الحشر: ٧ وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١، ومن خلال دراستي لتفسير الشيخ القطان وجدت أنه رجع إلى أمهات كتب السنة، وكان يذكر في الأغلب الكتب التي يرجع إليها، وهي كثيرة، وسأكتفي بذكر بعض الأمثلة من تفسيره على ذلك:

١ – عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ هود: ٨٠ ، قال الشيخ: (وأَجمَعُوا أمرَهم على فعلِ ما يريدون من العمل الخبيث .

عند ذلك تحيرّ لوط، وأَحسّ بضعفه، وهو غريبٌ بينهم، لا عشيرةَ له تحميه، فقال بحزن: آه لو كان لي قوة تدفعكم عن بيتي هذا، أو ركن شديد أعتمدُ عليه في حماية ضيوفي، ومنعكم من ارتكاب السيئات.

وفي صحيح البخاري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان وهو يقرأ هذه الآيات يقول: (يغفرُ الله للوط ، إنه كان لَيأوي إلى ركن شديد.(١)).(٢)

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٤٧٣

(2) البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **"الجامع الصحيح"**، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، كتاب الانبياء، ج٣، رقم الحديث ٣١٩٥، ص١٢٣٥

٢ –عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾ التكاثر: ١ – ٢،قال الشيخ: (أيّها الناس، لقد شَغَلكم الانهماكُ في جَمْعِ الأموالِ، والتفاخرُ والتّباهي بحُطامِ الدنيا ومتاعها، وكثرةُ الأَشياع والأولاد...حتى نَسِيتم أنكم ستموتون وتُدفَنون في القبور، وغفلتُم عن أنكم إنما تمكثون فيها وقتاً محدَّداً ثم تُخْرَجون منها يومَ القيامة إلى الحسابِ والجزاء.

ولذلك جاء التعبيرُ بقوله ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾ التكاثر: ٢ يعني أن دُخولكم في القبرِ أشبهُ ما يكونُ بالزِيارة، ثم منه تُخْرَجون.

ويفهم كثيرٌ من الناس من قوله﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾ التكاثر: ٢ أنه حضٌّ على زيارة القبور، وليس هذا هو المقصود.

وفي صحيح مسلم: قرأ النبي - صلى الله عليه وسلم -: ألهاكُم التكاثُر، ثم قال: يقولُ ابنُ آدم مالي ومالُك، يا ابنَ آدم، ليس لك من مالِكَ إلا ما أكلتَ فأفنيت، أو لبستَ فأبْلَيتَ، أو تصدَّقتَ فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهبٌ وتاركُه للناس([1])).([2])

ونجد في بعض الأحيان الشيخ يذكر الحديث، إذا كان في الصحيحين، وهذا كثير في تفسيره، فمثلاً عندتفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦٨ ﴾ البقرة: ٢٦٨،قال الشيخ: (الشيطان يخوفكم من الفقر، ويغريكم بالبخل، ويحاول أن يصرفكم عن صالح الأعمال، حتى لا تنفقوا أموالكم في وجوه الخير، بل في المعاصي، والله سبحانه وتعالى يضمن لكم على الإنفاق في سبيله مغفرة وعفواً عن ذنوبكم في الآخرة، وخلفاً من الجاه، وسمعةً حسنة بين الناس، ومالاً أزيَدَ مما أنفقتم، في الدنيا، فأياً تتبعون! إن الله واسع الرحمة والفضل، يحقق ما وعدكم به، وعليم بما تنفقون فلا يضيع أجركم عنده.

وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا وملَكان ينزلان، فيقول أحدهما اللهم أَعطِ منفِقاً خلفاً، ويقول الآخر اللهم اعط ممسِكاً تلفا([1]))([2])

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ٦٢٢

(2) والشيخ قد أتى بمعنى الحديث فقط، واللفظ في مسلم قريب جداً من كلام الشيخ، قال مسلم: (حدثنا هداب بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة عن مطرف عن أبيه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ (ألهاكم التكاثر) قال: (يقول ابن آدم مالى مالى قال وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت)، أنظر: النيسابوري: مسلم بن الحجاج،أبو الحسين القشيري، **"صحيح مسلم"**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الزهد والرقائق، باب حدثنا قتيبة بن سعيد، ج٨، ص٢١١، رقم الحديث ٧٦٠٩

والشيخ رحمه الله في تفسيره كان يرجع إلى صحيح البخاري ومسلم، لأنهما أصح كتابين بعد كتاب الله، وكان يرجع أيضا إلى كتب السنة الأخرى، ومن الأمثلة على ذلك:

١ – عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم: ٤،قال الشيخ: (وهذه أكبرُ شهادة من عند ربّ العالمين، وهل هناك أعظمُ من هذه الشهادة للرسول الأمين – صلى الله عليه وسلم - الذي طُبع على الحياء والكرم والشجاعة والصفْح والحِلم وكل خلُق كريم!

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (خدمتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين فما قال لي أفٍّ قطّ، ولا قال لشيءٍ فعلتُه لِمَ فعلتَهُ؟ ولا لشيء لم أفعلُه ألا فعلتَه؟).(٣)

وروى الإمام أحمد عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: (ما ضرب رسول الله- صلى الله عليه و سلم - بيده خادما له قط، ولا امرأة، ولا ضرب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بيده شيئا قط، الا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين أمرين قط، إلا كان أحبهما إليه أيسرهما مالم يكن إثما، فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يُؤْتَى إليه، حتى تنتهك حرمات الله عز و جل، فيكون هو يَنْتَقِمُ لِلَّهِ عز و جل(٤)).(٥)

٢ –عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٧ – ٩٨، قال الشيخ: (وقل أيها الرسول: يا رب، إني ألتجيء إليك من أثر وساوسِ الشياطين، وأن يبعثوا إليَّ أعدائك لإيذائي، واجعلهم بعيدين عني في جميع أعمالي، ليكون عملي خالصاً لوجهك الكريم.

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٢١٩

(2) البخاري، **"الجامع الصحيح"**، مصدر سابق، ج٢، ص٥٢٢، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾) الليل: ٥ – ٧، رقم الحديث ١٣٧٤، وانظر: مسلم،**"صحيح مسلم"**، مصدر سابق، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، ج٣، ص٨٣ ، رقم الحديث ٢٣٨٣

(3) البخاري، **"الجامع الصحيح"**، مصدر سابق، ج٥، كتاب الادب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ٢٢٤٥، رقم الحديث ٥٦٩١، و مسلم،**"صحيح مسلم"**، مصدر سابق، ج٧، ص٧٣ رقم الحديث ٦١٥١ ، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً.

(4) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص٤١٤

(5) ابن حنبل، **"مسند الإمام أحمد"**، مصدر سابق، ج٤٣ ، ص ١٠٩ ، رقم الحديث: ٢٥٩٥٦، والحديث صحيح على شرط الشيخين، بتعليق الشيخ شعيب.

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلّمنا كلماتٍ نقولها عند العزم خوف الفزع: (بسم الله، أعوذ بكلماتِ الله التامة من غضبه وعقابه وشرِّ عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون[١])).[٢]

(1) تيسير التفسير، ج٣، ص ٢٣١

(2) ابن حنبل، **"مسند الإمام أحمد"**، مصدر سابق،ج١١ ، ص ٢٩٥ ، رقم الحديث٦٦٩٦. وانظر: السجستاني: أبو داود سليمان بن الاشعث، **" سنن أبي داود "**، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ج٤، ص ١٨ ، كتاب الطب، باب كيف الرقى، رقم الحديث ٣٨٩٥، وانظر: الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى **"سنن الترمذي"**، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيرت، لبنان، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٥٤١ ، رقم الحديث ٣٥٢٨
ولما رجعت إلى المسند والسنن، وجدت أنهما يخالفان الشيخ، في قوله: (عند العزم خوف الفزع)، وذكر الامام أحمد أن جد شعيب قال: (عند النوم من الفزع)، وذكر ابوداود: (يعلمهم من الفزع كلمات)، وذكر الترمذي: (اذا فزع احدكم في النوم)، وليس كما قال الشيخ: (عند العزم خوف الفزع).

المطلب الثالث: مصادره من كتب السيرة

لم يكن الشيخ القطان، يهتم كثيراً بالرجوع إلى كتب السيرة، وإن كان أشار إلى بعض كتب السيرة، مثل سيرة ابن إسحاق، التي هذبها ابن هشام، إلا أنه لم يهتم كثيرا بالأحداث التي ذكرتها كتب السيرة، خصوصا في نزول بعض الآيات القرآنية المختصة بسيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وغزواته، والتي اهتمت بها كتب التفسير القديمة، وهذا بسبب تأثره بمدرسة الشيخ محمد عبده، التي كانت تهتم بالوقوف عند الشرح الموجز، وإبراز تفسير الآية فقط، وعدم الرجوع إلى المصادر المختصة، وقد وضح الشيخ القطان هذا في مقدمة تفسيره، وسأذكر عدة أمثلة من تفسيره، لرجوعه إلى كتب السيرة:

١ – سيرة ابن هشام :

١- رجع الشيخ إبراهيم القطان إلى سيرة ابن إسحاق عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ القصص: ٥٢ - ٥٥ ،

قال: (قال ابن إسحاق: قدِم جماعة من النصارى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة من الحبشة فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلّموه وسألوه، ورجال من قريش حول الكعبة، فلما فرغوا من أسئلتهم عما أرادوا، دعاهم الرسولُ –صلى الله عليه وسلم- إلى الله تعالى وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعيُنهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوا الرسول-صلى الله عليه وسلم- ، وعرفوا منه ما كان يوصَف لهم في كتابهم من أمره، فاعترضهم أبو جهل ونفرٌ من قريش وحاولوا أن يصدّوهم عن إيمانهم، وأغلظوا لهم القول، فقالوا لهم: سلامٌ عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه.

وقال بعض المفسرين: إنهم نصارى من أهل نَجران.

والحق، أن بعض أهلِ الكتاب من النصارى يؤمنون بهذا القرآن، ويقولون: إنه الحقُّ من ربنا، بشّرنا الله به من قبلِ أن ينزل القرآن، هؤلاء يعطيهم اللهُ أجرهم مرتَين، نتيجةَ صبرهم على أذى الناس، وإيمانِهم، وايثارهم العملَ الصالح، وهم يقابلون السيئة بالعفو والإحسان، وينفقون في

سبيل الله مما أعطاهم من أموال وخيرات، وإذا سمعوا الباطل من الجاهلين انصرفوا عنهم، وقالوا: لنا أعمالُنا ولكم أعمالكم، سلامٌ عليكم لا نريد مصاحبة الجاهلين).([1])

وعند رجوعي إلى كتاب السيرة النبوية لابن هشام، وجدت أن الشيخ رحمه الله قد ذكر كلام ابن إسحاق باختصار، قال ابن إسحاق في معرض حديثه عن الهجرة الأولى إلى الحبشة: (ثم قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى، حين ظهر خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه فكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عما أرادوا، دعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده، اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا: خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم، فصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركباً أحمق منكم، أو كما قالوا لهم، فقالوا: سلام عليكم لانجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا نألوا أنفسنا خيراً.

ويقال إن النفر، نصارى من أهل نجران، فالله أعلم أي ذلك كان، ويقال - والله أعلم - أن فيهم نزلت هؤلاء الآيات: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ القصص: ٥٢،إلى قوله: ﴿ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ القصص: ٥٥ ([2])).([3])

نلاحظ أن الشيخ قد نقل كلام ابن إسحاق باختصار، هذه من جهة، ومن جهة أخرى لم يبين لنا أن ابن إسحاق لم يجزم أن الآية نزلت في نصارى الحبشة، وهذا واضح من قوله، والله أعلم، وقد قال: ربما تكون نزلت في نصارى نجران.

والآية نزلت في أهل الكتاب، وهي واضحة من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القصص: ٥٢ ، ولكن السبب الذي ذكره الشيخ، نقلاً عن ابن إسحاق ليس سبب نزول هذه الآية، لضعفه، وكون الحديث معلقاً، واضطراب ابن إسحاق في كلامه، بقوله والله أعلم، وعند رجوعي للتفاسير، كتفسير القرطبي، والدر المنثور، وأسباب النزول، وجدت أن المفسرين

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص ٣٧٤

(2) ابن هشام: أبو محمد، جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري **"السيرة النبوية"** تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ ١٩٥٥ م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،ج١، ص٣٩١

(3) ضعيف، رواه ابن إسحاق معلقا، ومن طريقه البيهقي، أنظر: السَّقَّاف: علوي بن عبد القادر،" **تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لسيد قطب"**، مرجع سابق، ص١٥٦، رقم الحديث:٢٩٧

ذكروا عدة روايات في سبب نزولها، فمنهم من ذكر أنها نزلت في النجاشي ملك الحبشة، ومنهم من قال إنها نزلت في سلمان الفارسي، الذي كان على دين النصرانية ثم أسلم، ومنهم من قال إنها نزلت في عبد الله بن سلام، وهو من اليهود الذين أسلموا، وكل هذه الروايات لا يمكن ترجيح بعضها على بعض، ولا يسعني بحث المسألة هنا، لخصوصية هذا البحث.(1)

٢- رجع الشيخ إلى سيرة ابن هشام عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الأنعام: ٩٣، قال: (قال تعالى: ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ ﴾ الأنعام: ٩٣، ليس أحد اشدّ ظلماً ممن قال: سآتي بكلام مثل هذا القرآن، وكان النضر ابن حارث بن كلدة، أحد كفار قريش، يقول: إن القرآن أساطير الأولين، وهو شعر لو نشاء لقنا مثله، كما كان يجمع الناس بمكة ويقول لهم: تعالوا: أحدّثكم بأحسن من حديث محمد، وقد أُسر النضر يوم بدرٍ وقُتل بعد إن انتهت المعركة، وجاءت أخته قتيلة، ويقال إنها بنته إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بقصيدة ترثي أخاها وتعاتب الرسول الكريم-صلى الله عليه وسلم- منها:

يا راكباً ان الأُثَـــــيْل مظنة من صبح خامسة وانت موفق
أمحمدٌ يا خير ضِنْءِ كريمة في قومها والفحلُ فحل مُعْرِق
ماكان ضرَّك لومننتَ وربما منّ الفتى وهو المَغيظُ المحنّق

الأثيل : بالتصغير موضع قرب المدينة، ضنء: نسل.

قال ابن هشام في السيرة : إن النبي عليه السلام عند سماعها (قال: لو بلغَني هذا الشعر قبل قتله لمننتُ عليه)).(2)

وعند رجوعي لسيرة ابن هشام وجدت أن الشيخ قد نقل عبارة ابن هشام بكاملها من سيرته، في موضوع حديثه عن الشعر الذي قيل في يوم بدر، ولكنّه ذكر ابيات فقط من القصيدة، ولم يذكرها كاملة، قال ابن هشام:

يَا رَاكِبًا إنَّ الْأَثِيلَ مَظِنَّةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ

---

(1) أنظر: السيوطي: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد، **" الدر المنثور في التفسير بالماثور "**، تحقيق: مركز هجر للبحوث، إشراف الدكتور عبد الله التركي، الطبعة١٤٢: هـ - ٢٠٠٣م، دار هجر، مصر،ج ١١،ص٤٧٩

(2) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٧١

أَبْلِغْ بِهَا مَيْتًا بِأَنَّ تَحِيَّةً   مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفِقُ
مِنِّي إِلَيْكَ وَعَبْرَةً مَسْفُوحَةً   جَادَتْ بِوَاكِفِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ
هَلْ يَسْمَعَنِّي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ   أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ
أَمُحَمَّدُ يَا خَيْرَ ضَنْءِ كَرِيمَةٍ   فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِّقُ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا   مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُحْنَقُ
أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلْيُنْفِقَنْ   بِأَعَزِّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفِقُ
فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسَرْت قَرَابَةً   وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ   لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقَّقُ
صَبْرًا يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتْعَبًا   رَسْفَ الْمُقَيَّدِ وَهُوَ عَانٍ مُوَثَّقُ

وكذلك، لم يجزم بأن الرسول -صلى الله عليه وسلم - قال هذا الكلام، يقول ابن هشام: (فيقال والله أعلم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لما بلغه هذا الشعر قال لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه).

والمحقق يجزم في الحاشية أن قتيلة هذه هي بنت النضر لا أخته، مستدلاً بعدة أدلة، لامجال لذكرها هنا، خوفا من الخروج عن الموضوع).([1])

٢ ـ البداية والنهاية لابن كثير:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٥، قال الشيخ في صدد حديثه عن غزوة الخندق: (ووضعت الحربُ أوزارها، فلم ترجعْ قريش بعدَها الى حرب المسلمين، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (لن تَغزُوكم قريش بعد عامِكم هذا، ولكنّكم تغزونهم) والقصةُ بطولِها في سيرة ابن هشام وفي صحيح مسلم، وابن كثير.

واستُشهد من المسلمين يوم الخندق سبعة، وقُتل من المشركين أربعة).([2])

ولابد أن نشير إلى أن الشيخ، عند ذكره لابن كثير، لا نعرف إلى أين رجع، هل رجع إلى تفسيره أو إلى البداية والنهاية ؟ وابن كثير ذكر القصة في تفسيره، وفي البداية والنهاية، بنفس الرواية، ونقلاً عن ابن إسحاق، وكان المقصود منها باختصار، أن معركة الخندق كانت آخر

(1) ابن هشام، **"السيرة النبوية "**، مصدر سابق،ج٢، ص٤٣
(2) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص ٤٧٥

معركة قبل فتح مكة، وتحقق فيها للرسول -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين، قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ الأحزاب: ٢٥.(1)

٣ – ذكره أخباراً من السيرة دون الرجوع إلى مصدر معين:

قال تعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٤) فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (٨٦) ﴾ المائدة: ٨٢ – ٨٦، قال الشيخ في تفسير هذه الآيات: (نزلت هذه الآيات في نجاشي الحبَشَة وأصحابه، حين هاجر فريق من المسلمين إلى هناك، قالت أم سَلَمة وكانت من المهاجرات إلى الحبشة قبل أن يتزوجها الرسول الكريم: لما نزلنا بأرض الحبشة جاوَرَنا بها خيرُ جارٍ، النجاشي، امِنّا على ديننا وعبدْنا الله تعالى لا نؤذَى ولا نسمع شيئاً نكرهه.

وقد بقي المهاجرون فيها إلى أن هاجر الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، ولم يقدِروا الوصول إليه، فقد حالت بينهم وبينه الحرب.

فلما كانت وقعة بدر وقُتل فيها صناديد قريش، قال كفار قريش: إن ثأركم بأرض الحبشة، فابعثوا إلى سيّدها رجلين من ذوي الرأي فيكم، مع هدايا له ولرجاله، لعلّه يعطيكم مَن عنده فتقتلونهم بقتلى بدر، فبعث كفار قريش عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة بهدايا، فخرجا حتى قدما على النجاشي، فأهَدوا إلى البطارقة مما معهما من الهدايا، وطلبوا منهم أن يساعدوهما عند الملك بأن يسلّمهما أولئك المهاجرين، ثم قابلا النجاشي وقدّما له هداياهما فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، قد جاء إلى بلدك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدينٍ ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا من آبائهم وأعمامهم أشرافُ

---

(1) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **" البداية والنهاية "**، مصدر سابق، ج٤، ص١٣٣

قومهم لتردهم إليهم، فقالت بطارقته حوله: صدَقا أيها الملك، فأسلمْهُم إليهما، فغضب النجاشي ثم قال: لا واللهِ لا أُسلمهم حتى أدعوَهم، فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، ثم أرسَل إليهم، فلما جاؤوا، قال لهم النجاشي وأساقفته: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد؟

فقام جعفر بن أبي طالب، فقال: أيها الملك، كنا قوماً أهلَ جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منا الضعيف، وظللنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وعفافه، فدعانا إلى الله، وأن نوحّده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد قبله من الحجارة والأوثان، ولقد أمرَنا بصِدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، كما نهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكلِ مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدّقناه وآمّنا به، واتّبعناه على ما جاء به من الله، فعدا علينا قومُنا فعذّبونا، وفتنونا عن ديننا لنرتدّ إلى عبادة الأوثان، فلمّا قهرونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك، ورغبنا في جوارك.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به من الله من شيء؟ قال جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدراً من سورة مريم.

قالت أم سلمة: فبكى والله النجاشي، حتى اخضلّت لحيته، وبكت أساقفته حين سمعوا ما تلا جعفر، ثم قال النجاشي: أن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، إنطلِقا، فوالله لا أسلّمهم إليكما، الخ القصة).[1]

ونلاحظ أن هذه القصة مشهورة في كتب السيرة، ولم يذكر لنا الشيخ رحمه الله من أي مصدر نقل هذه القصة، وعند رجوعي لسيرة ابن هشام وجدت أن القصة طويلة، وقد ذكرها ابن هشام في معرض حديثه عن هجرة المسلمين الأولى إلى ملك الحبشة، نقلاً عن ابن إسحاق.[2]

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٥١٧ - ٥١٨

(2) ابن هشام، "**السيرة النبوية** "، مصدر سابق، ج١، ص٣٣٤

الفصل الرابع: منهج الشيخ القطان في التفسير

المبحث الأول: منهجه في التفسير بالمأثور

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

المبحث الأول: منهجه في التفسير بالمأثور

التفسير بالمأثور هو ما جاء فى القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وما نُقِل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقِل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمعاني آيات القرآن.(١)

هناك اختلاف بين العلماء في إدراج ما نقل عن التابعين ضمن التفسير بالمأثور، فمنهم من أدرجه، ومنهم من لم يدرجه، ومن العلماء الذين أدرجوه فيه، ابن كثير - رحمه الله - فقد أشار في مقدمة تفسيره إلى أن تفسير التابعي من التفسير بالمأثور، خصوصاً إذا كان النقل عن كبار التابعين،كسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس مثلاً، وهو في هذا مقتد بالإمام الطبري في تفسيره فقد كان ينقل عن التابعين، وتفسيره يعتبر من التفسير بالمأثور.(٢)

والذين لايعدون تفسير التابعي من التفسير بالمأثور، يقدمون النظر و الاستنباط على هذا النوع من التفسير، وقد أشار إلى هذا الزركشي في البرهان.(٣)

مع العلم أن الحديث عن التفسير بالمأثور يطول لاختلاف العلماء فيه، وأكتفي بهذا نظراً لخصوصية البحث.

وسأتناول في هذا المبحث، التفسير بالمأثور عند الشيخ إبراهيم القطان، وكيف كان منهجه في هذا النوع من التفسير.

---

(1) الذهبي،**"التفسير والمفسرون"**،مرجع سابق، ص ١١٢

(2) انظر: مقدمة تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،**"تفسير القرآن العظيم"**، مصدر سابق، ج١، ص٨

(3) انظر: الزركشي: محمد بن بهارد عبدالله، أبو عبدالله، **"البرهان في علوم القرآن"**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت ١٣٩١هـ، ج٢، ص ١٧٦

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن

أحسن طرق التفسير، تقوم على أن يبدأ المفسر تفسير القرآن بالقرآن، وقد أثنى عليها كثيرٌ من العلماء مثل ابن تيمية وتلميذه ابن كثير(١)، فكثيرٌ من آيات القرآن جاءت مجملة في مواضع ومفصلة في مواضع أخرى، وكثيرٌ من آيات الأحكام جاءت مطلقة في مواضع ومقيدة في مواضع أخرى ، والمتتبع لتفسير الشيخ، يجد أنه قد التزم بهذا النوع من التفسير في تفسيره، وسأضرب أمثلة من تفسير الشيخ على ما قلناه.

١- عند تفسير الشيخ لقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ البقـــــــرة: ٣٠ – ٣٤،كان تفسيره للآيات مطولاً، وسأذكر خلاصة ما قاله في تفسيرها، قال الشيخ: (قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ البقرة: ٣١، وعلّمه أسماء جميع الأشياء وخواصها، وأودع في نفسه علم جميع الأشياء من غير تحديد ولا تعيين - (ونحن نصرف ذلك إلى أنه أودع فيه القدرة على الإدراك والتمييز، لا علّمه لفظاتٍ معينة في لغة بعينها)-(٢)، وبعد أن علّمه أسماء الأشياء وخواصها ليتمكن في الأرض، عرض هذه الأشياء على الملائكة وقال لهم: أخبروني بأسماء هذه الأشياء وخواصها، إن كنتم

(1) أنظر: ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، **"مقدمة في أصول التفسير"**، دار مكتبة الحياة، الطبعة ١٤٩٠ه - ١٩٨٠م، بيروت، لبنان، ص ٣٩، وانظر:مقدمة تفسير القرآن العظيم لأبن كثير، ابن كثير،**"تفسير القرآن العظيم"**، مصدر سابق، ج١، ص٨.

(2) نلاحظ أن الشيخ كعادته لم يذكر الاقوال في المسألة، ومن المعلوم أن هناك خلاف شديد بين المفسرين في تعيين هذه الاسماء، والشيخ لم يذكر الخلاف، ورجح رأيه الشخصي مباشرة في معرفة هذه الاسماء وهو القدرة والادراك على التمييز، أنظر: ابن كثير،**"تفسير القرآن العظيم"**، مصدر سابق، ج١، ص٢٢٢

صادقين في ظنّكم أنكم أحقُّ بخلافة الأرض من هذا المخلوق الجديد([1])، انطلاقا من واقع طاعتكم لي وعبادتكم إياي، فقالوا: سبحانك ربنا، إننا ننزهك التنزيه اللائق بك، ونقر ونعترف بعجزنا، فلا علم عندنا إلا ما وهبتنا إياه، إنك أنت العالم بكل شيء، والحكيم في كل أمر تفعله، فلما اعترفوا بعجزهم قال الله تعالى لآدم: أخبرهم يا آدم بهذه الأشياء، فأجاب آدم وأظهر فضله عليهم، فقال الله تعالى مذكّراً لهم بإحاطة علمه: ألم أقل لكم إني أعلم كل ما غاب في السماوات والأرض، وأعلم ما تُظهرون في قولكم، وما تخفون في نفوسكم!

وفي هذه الآية دليل على شرف الإنسان على غيره من سائر المخلوقات حتى الملائكة، وأنه أفضلهم([2])، وفيها دليل على فضل العلم على العبادة، وأن العلم أساسٌ مهم في الخلافة في هذه الارض، فالأعلم هو الأفضل، يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر: ٩، ولقد قام الدين الإسلامي على العلم، فلمّا تأخر المسلمون عنه تقدّمهم غيرُهم.

ويتابع الشيخ تفسيره، فيقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤ ، اذكرُ يا محمد حين قلنا للملائكة اسجُدوا سجود خضوع وتحيّة لآدم، لا سجود عبادة، فالمعبود هو الله وحده، فصدعوا للأمر الرباني وسجدوا، وقد جاء السجودُ في القرآن بمعنى غير العبادة كما هو هنا، وفي سورة يوسف:

---

(1) الملائكة لم يظنوا ذلك، وإنما قصدهم في الآية السابقة، إن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، ولم يكن قصدهم، أنهم أحق بالخلافة من آدم، وإنما إبليس – لعنه الله -هو الذي رأى نفسه أحسن وأحق بالخلافة في الأرض منه.

(2) هذه مسألة خلافية، ولم يذكر الشيخ الأقوال فيها، يقول القرطبي: (اختلف العلماء في هذا الباب، أيهما أفضل الملائكة أو بنو آدم، على قولين: فذهب قوم إلى أن الرسل من البشر أفضل من الرسل من الملائكة، والأولياء من البشر أفضل من الأولياء من الملائكة. وذهب آخرون إلى أن الملا الأعلى أفضل، وقال بعض العلماء: لا طريق إلى القطع بأن الأنبياء أفضل من الملائكة، ولا القطع بأن الملائكة خير منهم، لان طريق ذلك خبر الله تعالى وخبر رسوله أو إجماع الامة، وليس ها هنا شي من ذلك، خلافا للقدرية والقاضي أبي بكر رحمه الله حيث قالوا: الملائكة أفضل، قال: وأما من قال من أصحابنا والشيعة: إن الأنبياء أفضل لأن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، فيُقال لهم: المسجود له لا يكون أفضل من الساجد، ألا ترى أن الكعبة مسجود لها والأنبياء والخلق يسجدون نحوها، ثم إن الأنبياء خير من الكعبة باتفاق الامة)، أنظر: القرطبي،**"الجامع لأحكام القرآن"**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٨٩

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ ﴾ يوسف: ١٠٠ أي تحيةً، كما هي العادة التي كان الناس يتبعونها في تحية الملوك والعظماء، ولقد سجد الملائكة كلهم أجمعون إلا أبليس أبى وامتنع، لقد استكبر، فلم يطع أمر الحق، ترفعاً عنه، وزعماً بأنه خيرٌ من آدم، كما ورد في سورة الأعراف ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٢، وكان من الكافرين بنِعم الله وحكمته وعلمه).(١)

لقد رجع الشيخ القطان في تفسيره لقصة خلق آدم – عليه السلام – في سورة البقرة، إلى ثلاث آيات مختلفة في التفسير، فاستشهد بآية فضل العلم من سورة الزمر، وبآية السجود من سورة يوسف، وكذلك بآية الأعراف في عصيان إبليس، وهذا دليل على أنه كان يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فصل في مكان آخر وهكذا.

٢ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٨،قال الشيخ: (فقد فسرتها الآية الواردة في سورة النساء: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾النساء: ٣٤، فهذه الدرجة هي الرياسة، ومسؤولية القيام على المصالح ، والانفاق على الأسرة ، لأن الحياة الزوجية تقتضي وجود مسؤول يُرجع إليه عند اختلاف الآراء والرغبات، حتى لا يعمل كلٌّ ضد الآخر، فتنفَصِم عروة الوحدة الجامعة، والرجل هو الأحق بذلك).(٢)

والذي ذهب إليه الشيخ قد ذكره ابن كثير في تفسيره، قال ابن كثير:(وقوله: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٨ أي: في الفضيلة، و الخُلُق، والمنزلة، وطاعة الأمر، والانفاق، والقيام بالمصالح، والفضل في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾النساء: ٣٤).(٣)

نلاحظ أن الشيخ قد فسر الآية بمثل ما فسرها به ابن كثير في تفسيره، واستعان في فهمها، بالآية التي جاءت في سورة النساء، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٦٨ ، ٦٩
(2) المرجع السابق، ج١،ص١٨٧
(3) ابن كثير،**"تفسير القرآن العظيم"**، مصدر سابق،ج١، ص٢٢٢

٣- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ الكهف: ١٠٩، (قل أيها الرسول للناس: إن علم الله محيط بكل شيء، ولو كان ماء البحر مدادا يسطر به كلمات الله الدالة على علمه وحكمته لنفد هذا المداد، ولو مد بمثله، قبل أن تنفد كلماتُ الله، لأن علوم الله وكلماته لا نهاية لها وبمثل هذه الآية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ لقمان: ٢٧).(١)

ومعظم المفسرين يفسرون آية الكهف بآية لقمان، من باب تفسير القرآن بالقرآن، وقد فسر الشيخ هنا هذه الآية بنظيرتها في سورة لقمان.

٤ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾ طه: ٨٣ – ٨٥، قال الشيخ:(﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ طه: ٨٣ ،سأله ربه عن سبب تعجُّله بالمجيء إليه وتركِ قومه خلفه، والله أعلم بما سأل، فقال موسى مجيباً ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ طه: ٨٤ ، إنهم لاحقون بي، وإنما عجِلتُ إليك وتقدمتُهم يا ربي رغبةً في رضاك، يقول بعض المفسرين(٢): أن موسى ذهب إلى الميعاد قبل الوقت المحدد وترك قومه وراءه ليلحقوا به، وهذا سببُ لومِ ربه له على الاستعجال بالمجيء(٣)، والقصة هنا مختصرة، وقد مرت مفصلة في سورة البقرة وسورة الأعراف، وذلك أن موسى لما نجا هو وقومه من فرعون، واستقر في سيناء، واعَدَه ربه، وضرب له ميقاتا كما جاء في سورة

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص٤٨

(2) نلاحظ أن الشيخ كثيرا مايستعمل هذا المصطلح في تفسيره، بدون أن يشير إلى مفسر بعينه، أو يذكر من هم هؤلاء المفسرون.

(3) هذه رواية إسرئلية باطلة، وقد ذكرها الشيخ دون أن يعلق عليها، وقد ردها كثيراً من المفسرين منهم الإمام الرازي في تفسيره ، حيث قال: قوله تعالى: (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾) طه: ٨٤، يدل على أنه ذهب إلى الميعاد قبل الوقت الذي عينه الله تعالى له ، وإلا لم يكن ذلك تعجيلاً، ثم ظن أن مخالفة أمر الله تعالى سبب لتحصيل رضاه، وذلك لا يليق بأجهل الناس فضلا عن كليم الله تعالى، والجواب ما ذكرنا أن ذلك كان بالاجتهاد وأخطأ فيه، أنظر: الرازي، **"مفاتيح الغيب"**،مصدر سابق، ج٢٢، ص٨٦

الاعـراف: ﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٢ ، فذهب إلى ربه عند الطور، وكلّمه وتلقّى عنه، وكان استخلف أخاه هارون على بني اسرائيل، فجاءهم السامريّ وأضلهم بجعلِه لهم عِجلاً من الذهب له صوتٌ، فعكفوا عليه يعبدونه، ولم يستطع هارون أن يردّهم عن غيّهم وكفرهم، وقد أخبره ربه بأن قومه من بعده قد ضلّوا فقال: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ طه: ٨٥،لقد أوصلهم إلى اتخاذ العجلِ إلهاً والدعاء إلى عبادته، وظهر عندهم الاستعداد لذلك، لأنهم حديثو عهد بالوثنية في مصر، وفي سورة الأعراف سألوا موسى أن يجعل لهم إلها كما للقوم الذين مرّوا عليهم آلهة: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٨.).(١)

نلاحظ أن الشيخ عندما فسر قصة موسى – عليه السلام – رجع إلى آيات سورة الأعراف مرتين، ليربط أحداث القصة بعضها ببعض، وقد نبه إلى أن بعض القصص القرآني قد ياتي مجملاً في بعض السور القرآنية، ويأتي مفصلاً في سور أخرى، وهذا ما رأيناه في هذه القصة.
وفي ختام هذا المطلب لابد أن نشير إلى أن هذا النوع من التفسير، وهو تفسير القرآن بالقرآن، يستفاد منه في تفسير آيات الأحكام، كتخصيص العام، وتقييد المطلق، وبيان المجمل، وهذا ما اهتم به علماء الأصول، وقد وضعوا ضوابط وشروطاً لذلك، ومن أراد التوسع في ذلك، فعليه الرجوع إلى كتب الأصول، ولا يتسع المجال لشرحها هنا.
ويستفاد منه أيضاً في تفسير آيات قصص الأنبياء، وحمل بعضها على بعض،كما رأينا في قصة موسى والسامري.

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص ١٠٥ - ١٠٦

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة

تعد السنة المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، وإذا كانت السنة تأتي في المرتبة الثانية في المصادر، فهي من المراجع الأساسية في التفسير، لأن عدة آيات لها سبب نزول، حيث تكون حدثت واقعة معينة، فجاء القرآن معالجاً لها كحادثة الإفك مثلاً.
والقرآن الكريم جاء بعدة أحكام مجملة، وبينها الرسول- صلى الله عليه وسلم-،كبيانه لأنصبة الزكاة وأنواع الربا، وبيانه لمواقيت الصلاة وعدد ركعاتها، حيث قال:(صلوا كما رأيتموني أُصلي).(1)

والسنة جاءت بأحكام جديدة غير واردة في القرآن الكريم كما هو معروف، كرجم الزاني المحصن مثلاً، والرسول -صلى الله عليه وسلم-، لاينطق عن الهوى، وقد أشار القرآن الكريم في عدة آيات إلى ضرورة اتباع الرسول – صلى الله عليه وسلم - وطاعته في كل مايصدر عنه، خصوصاً إذا كان في البيان والتشريع، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر: ٧،وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ النساء: ٨٠، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١،وهناك إجماع من الأمة على أن السنة من المصادر الأساسية في التشريع.
والشيخ القطان كغيره من المفسرين، استعان كثيراً بالأحاديث في تفسيره، وكثيراً من الأحاديث التي ذكرها صحيحة، وكان يرجع إلى الصحيحين في تفسيره، ويخرج بعض الأحاديث أحيانا، ويذكر المصادر التي رجع إليها، كصحيح البخاري ومسلم ومسندأحمد، وكان قليلاً ما يذكر حديثاً مقطوعاً أو مرسلاً، وكان دائماً يذكر الصحابي الذي روى الحديث،كابن عباس وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة المشهورين بالرواية عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، واذا كان الحديث في البخاري ومسلم، يقول: وفي الصحيحين، أو رواه الشيخان، أوقال البخاري ومسلم، وهكذا.

وسأذكر عدة أمثلة،أبين فيها منهج الشيخ، وكيفية استشهاده بالحديث في تفسيره.

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ الأحقاف: ١٥، قال الشيخ: (ثم تأتي الوصيّة بالوالدَين، وقد وردت التوصية بهما في غير آيةٍ لِما

(1) البخاري، **"الجامع الصحيح"**، مصدر سابق،، كتاب الادب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث ٥٦٦٢، ص٢٢٣٨

للوالدَين من منزلةٍ كبيرة وكريمة في وجود الانسان، ووصّى الله الانسانَ بأن يحسِن إلى والديه ويبرَّهما في حياتهما وبعد مماتهما، وخصَّ الأمَّ بالكلام لأنها تقاسي في حمله مشقةً وتعباً، وفي وضعه آلاماً كثيرة، ثم في إرضاعه وتربيته، فالطفلُ يقضي معظم وقتِه مع أمهِ، وفي رعايتها وحنانها وعطفها، لهذا كلّه تستحقّ الكرامةَ وجميل الصحبة والبر العظيم، وقد وردت أحاديث كثيرة تحثّ على برّ الأمهات، روى الترمذي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (أمَّكَ ثم أمك ثم أمك، ثم أباك) ورواه أحمد وابو داود والحاكم عن معاوية بن حيدة.(1)

وهناك حديث مشهور: (الجنّةُ تحت أقدام الأمهات) رواه الخطيب والقضاعي عن أنسٍ رضي الله عنه، وروي أيضاً عن ابنِ عباس رضي الله عنه.(2)

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لرجلٍ يسأله عن حقوق الوالدين: (هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ).(3)

وفي البخاري ومُسْلم والترمذي: (أحقُّ الناسِ بالصحبة الأم(4))، والأحاديثُ كثيرة يمكن الرجوع اليها في كتب الحديث).(5)

نلاحظ أن الشيخ قد استشهد بأربعة أحاديث عند تفسيره لآية البر بالوالدين في سورة الأحقاف، وهذا دليل على أنه كان يستعين بالأحاديث النبوية الشريفة في تفسيره لكتاب الله.

---

(1) هذا الحديث ذكره الشيخ بالمعنى فقط، وهو موجود في كتب السنة التي ذكرها الشيخ، وكذلك موجود في الصحيحين، ولم يذكر الشيخ هذا، يقول صاحب البدر المنير: هذا الحديث صحيح، أخرجه الشيخان في (صحيحيهما) من حديث أبي هريرة، قال: (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك ، قال: ثم من ؟ قال: أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أبوك) . وفي رواية لهما : (أمك ، ثم أمك ، ثم أباك ، ثم أدناك أدناك) ، زاد ابن حبان : قال : (فيرون أن للأم ثلثي البر) ، ورواه باللفظ الذي ذكره الرافعي أبو داود والترمذي من حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: (قلت : يا رسول الله ، من أبر ؟ قال : أمك، قلت : ثم من ؟ قال : أمك ، قلت : ثم من ؟ قال : أمك ، قلت ثم من ؟ قال : ثم أباك ، ثم الأقرب فالأقرب)، هذا لفظ الترمذي، ولفظ أبي داود (قلت : يا رسول الله، من أبر ؟ قال: أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم الأقرب فالأقرب) ، أنظر: ابن الملقن، **"البدر المنير "**،مصدر سابق، ج٨، رقم الحديث١١، ص ١١٣، وانظر: ابن حنبل، **"مسند الإمام أحمد"**، مصدر سابق، ج١٥ ، رقم الحديث ٩٠٨٠ ، ص ٣٨، وانظر: الترمذي، **"سنن الترمذي"**،مصدر سابق، ج٤، رقم الحيث ١٨٩٧، ص ٣٠٩، وانظر: آبادي: أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم **" عون المعبود شرح سنن أبي داود "**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية: ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م، المكتبة السلفية، المدينة المنورة،ج٩، رقم الحديث: ٤٤٧٣ ص ٢٤٢٠

(2) ضعفه الالباني، ومستغرب من الشيخ كيف قال: والحديث المشهور، أنظر: الألباني: محمد ناصر الدين **" ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)"**، الطبعة: الثالثة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م، دار المكتب الإسلامي بيروت، رقم الحديث: ٦٤١٢،ص ٣٩٤

(3) ضعفه الالباني، أنظر: القزويني: أبو عبد الله محمد بن يزيد، **" سنن ابن ماجه "**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي مع احكام الألباني، فيصل عيسى البابي الحلبي، الطبعة ١٩٥٢م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج٢، كتاب الادب، باب برالوالدين، رقم الحديث:٣٦٦٢، ص١٢٠٨

(4) تم تخريجه سابقاً.

(5) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ١٣٨

٢ - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الطور: ٣٥ – ٣٧، قال الشيخ: (روى البخاري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير قال: سمعتُ النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في صلاة المغرِب بالطّور، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الطور: ٣٥ - ٣٧ قال: كادَ قلبي يطير(١)، وأثّرت فيه هذه الآياتُ وكان ذلك من أسباب دخوله الإسلام، وكان جبير من الذين وفَدوا على النبي الكريم بعد وقعةِ بدرٍ في فداء أسرى قريش).(٢)

نلاحظ أن الشيخ قد أورد الحديث، وذكر أنه موجود في البخاري، وبعد رجوعي لصحيح البخاري، وجدت أن اللفظ له، وله روايات عديدة عند غير البخاري، وقد تنقص عن هذا اللفظ أو تزيد، وكلها واردة في تفسير هذه الآية من سورة الطور.(٣)

٣ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ البقرة: ١٧٧، قال الشيخ: (﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ البقرة: ١٧٧ أي بذَلَه رغم فطرة حب المال عند الإنسان، وبذلك يبرز معنى الإيثار ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ آل عمران: ٩٢ و ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الحشر: ٩، وقد قال: - صلى الله عليه وسلم-(أفضل الصدقة أن تصَّدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى) أخرجه البخاري عن أبي هريرة.(٤)

---

(1) البخاري، **"الجامع الصحيح"**، مصدر سابق، كتاب التفسير، سورة الطور، رقم الحديث ٤٥٧٣، ص١٨٣٩

(2) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص٢٢٢

(3) أنظر: ابن الملقن، **"البدر المنير "**،مصدر سابق، ج٤، ص٢٠٩، رقم الحديث ٤٤.

(4) البخاري، **"الجامع الصحيح"**، مصدر سابق، ج٢،كتاب الزكاة، باب أي الصدقة أفضل، رقم الحديث ١٣٥٣، ص٥١٥.

ذوو القربى: الأقرباء المحتاجون، وهم أحق الناس بالبر، وقد ورد في الحديث(إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة، وصلة).([1])

واليتامى: وهم الصغار فقدوا آباءهم، وليس لهم عائل يرعاهم، وقد عني الإسلام بأمر اليتيم، والحث على تربيته، والمحافظة على نفسه وماله إذا كان له مال، وقد ظهرت عناية القرآن الكريم بشأن اليتيم منذ أن نزل إلى أن انقطع الوحي، وستمر بنا آيات كثيرة في ذلك، ولقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (خير بيتٍ في المسلمين بيت فيه يتيم يحسَن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه).([2])

والمساكين: هم الذين لا يستطيعون العمل، ولا يفطن الناس إليهم لأنهم لا يسألون.

وابن السبيل: هو المسافر الذي انقطعت به الطريق، فلا يوصله إلى أهله، والسائلون: الذين ألجأتهم الحاجة إلى السؤال، فاضطروا إلى التكفف، وفي الرقاب: أي لتحرير الأرقاء، والإسلام أول دين شرّع(العتق)، ولقد حث على تحرير العبيد ولم يشرع الرق، لأن هذا كان موجودا منذ أقدم العصور، لذا جعل من مصارف الزكاة إنفاقها في الرقاب، أي فكاك الأسرى، وعتق الرقيق، ولقد حث الرسول الكريم-صلى الله عليه وسلم- في كثير من وصاياه وأحاديثه على الرفق بالرقيق والعمل على تحريرهم).([3])

نلاحظ أن الشيخ قد استشهد بآيات قرآنية، ورجع إلى صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث، وهذا كثيرا ماكان يستعمله في تفسيره، وعندما يورد الحديث، كان يرجع أولاً إلى صحيح البخاري، فإن لم يكن موجوداً فيه، يرجع إلى صحيح مسلم، لأنهما أصح كتابين بعد كتاب الله.

أما الحديث الثاني الذي استشهد به فلم أجده في الصحيحين، ووجدته في سنن ابن ماجه وقال عنه الألباني أنه صحيح، ولم يخرج الحديث، ولم يذكر مصدره واكتفى بقوله: (وقد ورد في الحديث)، ولم يذكر السند، ولا الصحابي الذي رواه، وهذا قليل في تفسيره، وكان غالباً ما يخرج الحديث، ويذكرالصحابي الذي رواه، أو يذكر المصدرالذي رجع له من كتب الحديث،كصحيح البخاري ومسلم، ومسند أحمد وغيرها من مصادر الحديث، وهذا ما رأيناه في الحديث الأول، حيث قال: (أخرجه البخاري عن أبي هريرة).

أما الحديث الثالث الذي ذكره، فقدضعفه الشيخ الألباني، ولم أجده إلا في سنن ابن ماجه، ولم يخرجه الشيخ أو يذكر المصدر، أو يحكم على الحديث بالضعف أو الصحة، وأتى به مجرداً من السند، وعزاه إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- مباشرة، ولم يذكر الصحابي الذي روى

---

(1) قال الشيخ الألباني صحيح ، أنظر: القزويني،**" سنن ابن ماجه "**، مصدر سابق، ج١، كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة ، رقم الحديث:١٨٤٤، ص٥٩١

(2) ضعفه الشيخ الألباني، أنظر : القزويني،**" سنن ابن ماجه "**، مصدر سابق، ج٢،كتاب الادب، باب حق اليتيم، رقم الحديث ٣٦٧٩،ص١٢١٣

(3) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ١٤٩- ١٥٠

الحديث، ولعل حذفه الأسانيد عمداً منه للاختصار، كما ذكر في مقدمته، من أن من أهدافه عدم الإطالة، وعدم التوسع في هذه الموضوعات، مع العلم أن حذف الأسانيد مشكلة.

وعندما تكلم عن الرق، وكيفية تحرير العبيد، اكتفى بقوله: (ولقد حث الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم - في كثير من وصاياه وأحاديثه على الرفق بالرقيق والعمل على تحريرهم)، ولم يذكر لنا حديثاً واحداً.

٤ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الأعراف: ٨٠ – ٨٤، قال الشيخ: (﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ الأعراف: ٨٣ ولقد حقّت عليهم كلمة العذاب، فأنجينا لوطاً وأهلَه، إلا امرأته لقد رفضتْ أن تؤمن به، فكانت من الهالكين، ثم أمطرنا عليهم حجارةً مدمّرة، ومادَت الأرض بالزلازل من تحتِهم، فانظُر أيها المعتبِر كيف كانت عاقبة المجرمين.

قال الإمام ابنُ القيّم في زاد المعاد: اللواط لم تكن تعرفُه العرب، ولم يُرفع إليه حديث صحيح في ذلك، لكنه ثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (اقتُلوا الفاعل والمفعول به).

رواه أهل السنن الأربعة بإسناد صحيح وقال الترمذي: حسنٌ صحيح، وحكم به أبو بكر الصدّيق، وكتب به إلى خالد بن الوليد، بعد مشاورة الصحابة وكان عليٌّ كرّم الله وجهه أشدَّهم في ذلك.(١)

وقد طعن ابن حَجَر في هذه الأحاديث وقال: إنها ضعيفة، ولذلك يجب على الحاكم أن يتحرّى جيدا، فإن عقوبة القتلِ أعظمُ الحدود، فلا يؤخَذُ فيها إلا بالصحيح القاطع من كتابٍ او سُنّة متواتِرةٍ او إجماع).(٢)

نلاحظ أن كلام الشيخ متناقض في تخريجه لهذا الحديث، ولم يزل التناقض، وذكر حكمه، وذكر من عمل به من الصحابة، وذكر كلام ابن حجر فيه، وهو عالم من علماء الحديث المشهورين، وهذه من حسنات الشيخ في تفسيره، وبعد رجوعي لسنن الترمذي، وجدت أن

(1) الجوزية، ابن قيم محمد بن أبي بكر بن أيوب، **" زاد المعاد في هدي خير العباد"**، الطبعة : السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ج٥، ص٤٠

(2) القطان، تيسير التفسير، ج٢،ص ١٧٧

الحديث فيه نظر، وكذلك الحكم فيه اختلاف بين العلماء مثل ما قال الشيخ، قال الترمذي: (حدثنا محمد بن عمرو السواق حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم – (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به)، قال: وفي الباب عن جابر و أبي هريرة، قال أبو عيسى: وإنما يعرف هذا الحديث عن ابن عباس عن النبي- صلى الله عليه و سلم - من هذا الوجه، وروى محمد بن إسحق هذا الحديث عن عمرو بن أبي عمرو فقال: (ملعون من عمل قوم لوط) ولم يذكر فيه القتل([1])، وذكر فيه: (ملعون من أتى بهيمة)، وقد روى هذا الحديث عن عاصم بن عمر، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة عن النبي- صلى الله عليه و سلم – قال: (اقتلوا الفاعل والمفعول به)، قال أبو عيسى هذا حديث في إسناده مقال، ولا نعرف أحدا رواه عن سهيل بن أبي صالح غير عاصم بن عمر العمري، و عاصم بن عمر يضعف في الحديث من قبل حفظه.([2])

واختلف أهل العلم في حد اللوطي، فرأى بعضهم أن الحد الرجم، أحصن أو لم يحصن، وهذا قول مالك و الشافعي و أحمد و إسحاق.([3])

وقال بعض أهل العلم من فقهاء التابعين، منهم الحسن البصري و إبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وغيرهم قالوا:(حد اللوطي حد الزاني)، وهو قول الثوري وأهل الكوفة([4])).([5])

٥ –كان أحياناً يذكر تفسير الرسول - صلى الله عليه وسلم - لبعض الآيات، والتي كان الصحابة الكرام يسألون الرسول -صلى الله عليه وسلم- عنها، وهذا ما نراه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾البقرة: ٢٨٤ ، قال: (روى الإمام أحمد ومسلم والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾البقرة: ٢٨٤ ، اشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأتوا النبي – صلى الله عليه وسلم - وقالوا: لقد كُلِّفنا من الأعمال

---

(1) لم يذكر فيه القتل، كما قال، وهذه من مشكلات الحديث، واختلاف العلماء فيه.

(2) الحديث ضعيف بسبب عاصم بن عمر لعدم حفظه، وهذه من مشكلات الحديث، واختلاف العلماء أيضاً.

(3) نلاحظ اختلاف العلماء في حد اللواط.

(4) الترمذي، **"سنن الترمذي"**،مصدر سابق، ابواب الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي، ج٤، ص ٥٧، رقم الحديث١٤٥٦

(5) الحديث ضعيف، لما قاله الإمام الترمذي، وقد لخصت أسباب ضعفه سابقاً، وكذلك اختلاف العلماء في حد اللواط، لأنه ليس هناك دليل قاطع في الحد كالزنى مثلاً، ولو كان هناك حديث صحيح لما اختلفوا في ذلك، فمثلاً العلماء متفقون على رجم الزاني المحصن، لأن هناك آحاديث صحيحة في الحكم، وكذلك ما فعله الرسول – صلى الله عليه وسلم – بماعز والغامدية.

ما نطيق، كالصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت هذه الآية ولا نطيقها، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم -: (قولوا سمعنا وأطعنا وسلَّمنا) فألقى الله الإيمان في قلوبهم وأنزل: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾البقرة: ٢٨٦ (١)، فكانت الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين به، وصار الأمر إلى أن قضى الله تعالى أن للنفس ما اكتسبت من القول والعمل، وهذا هو نهج الإسلام الصحيح العادل).(٢)

٦ – كان أحياناً يذكر الحديث القدسي، قال عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ البقرة: ٢٦١، (مثَل الذين ينفقون المال، يبتغون به الله، وحسن ثوابه، كمثل من يزرع زرعاً طيباً، فتُنبت الحبة الواحدة منه سبع سنابل، في كل سنبلة منها مائة حبة، وهذا تصوير جميل لكثرة ما يعطيه الله من الأجر على الانفاق في الدنيا، والله يضاعف عطاءَه لمن يشاء ويزيد، وقد وردت أحاديث كثيرة في الحث على الانفاق، ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، في الحديث القدسي: (كل عمل ابن آدم يضاعَف، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصوم فإنه لي وأنا أَجزي به(٣)).(٤)

٧ - أحياناً كان يذكر الحديث بالمعنى، كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ الحجرات: ١١، قال الشيخ: (لا يعب بعضُكم بعضا بقول أو إشارة على وجه الخفية، فإنكم أيها المؤمنون كالجسدِ الواحد إن اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وهذا حديث صحيح رواه مسلم).(٥)

وعند رجوعي لصحيح البخاري ومسلم وجدت أن الحديث موجود فيهما، وكل من البخاري ومسلم، يرويه عن النعمان بن بشير الصحابي المشهور، بينما أشار الشيخ إلى مسلم فقط،

(1) رواه مسلم في صحيحه بغير هذا اللفظ، ولكن المعنى واحد، أنظر: مسلم،**"صحيح مسلم"**، مصدر سابق، باب قوله تعالى: (وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ) البقرة: ٢٨٤، ج١، ص ٨١، رقم الحديث:٣٤٥.

(2) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص٢٣١.

(3) البخاري، **"الجامع الصحيح"**، مصدر سابق، ج٢ ،ص٦٧٣،كتاب الصوم ،رقم الحديث ١٨٠٥، وانظر: مسلم،**"صحيح مسلم"**، مصدر سابق، ولكن اللفظ يختلف، ج٣، ص ١٥٣، باب فضل الصيام، رقم الحديث٢٧٦٣.

(4) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص٢١٤

(5) المرجع السابق، ج٤، ص١٨٤.

وروى الحديث بالمعنى فقط، ولفظ الحديث في البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا زكرياء عن عامر قال: سمعته يقول: سمعت النعمان بن بشير يقول: قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم - (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).(1)

وفي ختام هذا المطلب، نلخص طريقته في تفسير القرآن بالسنة:

١ – كان يقف عند تفسير النبي-صلى الله عليه وسلم -، مثل: (وقد فسرها الرسول - صلى الله عليه وسلم - بكذا، وقد سأل الصحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم- فقال...).

٢ – كان أحياناً يعزو الحديث مباشرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، مجرداً من السند، ولايذكر معه الصحابي، كما مر معنا، كأن يقول: قال الرسول – صلى الله عليه وسلم -، وعن الرسول – صلى الله عليه وسلم- ...

٣ – كان أحياناً يذكر الحديث مجرداً من السند بالكلية.

٤ – كان أحياناً لا يحكم على الأحاديث لا بالصحة ولا بالضعف كأن يقول: وفي الصحيحين، أو قال البخاري، أو قال مسلم، أوقال أحمد ...

٥ –كان أحياناً يشير إلى بعض الأحاديث على أنها صحيحة، وبعد رجوعي إلى التخريج وجدتها ضعيفة، خصوصاً تخريج الشيخ الألباني، كما اشرت إلى ذلك من قبل.

٦ – كان أحياناً يذكر الحديث بالمعنى، كما ذكرت في تفسيره للآية ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ الحجرات: ١١.

٧ – كان أحياناً يكتفي بذكر الصحابي راوي الحديث، بدون ذكر بقية رجال السند.

٨ – كان في الأغلب يخرج الأحاديث، ويذكر المصادر التي رجع إليها، كصحيح البخاري ومسلم، ومسند أحمد، وكتب السنة الأخرى، بالإضافة إلى إشارته إذا كان الحديث موجوداً في أكثر من كتاب من كتب السنة، كأن يقول: وفي السنن الأربعة، أو رواه الشيخان، أوفي الصحيحين، أو أخرجه الشيخان ...

---

(1) البخاري، **"الجامع الصحيح"**، مصدر سابق،، ج٥، ص٢٢٣٨ ، كتاب الاداب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث ٥٦٦٥، وانظر: مسلم،**"صحيح مسلم"**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٠ ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث ٦٧٥١

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

بعد أن بيّنا في المطالب السابقة منهج الشيخ في تفسيره للقرآن بالقرآن، وتفسيره للقرآن بالسنة النبوية الشريفة، نبين في هذا المطلب تفسيره للقرآن بأقول الصحابة، لأن الصحابة رضوان الله عليهم، قد عاشوا مع الرسول – صلى الله عليه وسلم - نزول القرآن، وكانوا يسألونه عن كل ما يصعب عليهم فيه من أمور، وهناك عدة آيات من القرآن نزلت بسبب حادثة وقعت لبعضهم كحادثة الإفك مثلاً، وغيرها كثير، وأنا لا أنوي الدخول في الخلاف في قول الصحابي، وهل هو حجة أم لا؟ لأن العلماء مختلفون في هذه المسألة اختلافاً شديداً، وقد تحتاج إلى مباحث خاصة بها، ومن أراد التوسع فعليه بالرجوع إلى المصادر الخاصة، للاستفادة منها في هذه المسألة، ونحن نعتبر قول الصحابي من التفسير بالمأثور، لأنهم شهدوا الوحي، وكانوا مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - في كل تنقلاته وغزواته وأسفاره، وقول الرسول- صلى الله عليه وسلم - (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم).(١)

أما قول التابعي وتابع التابعي، فهذا مما يعتمد عليه في التفسير، لأن التابعين كانوا مصاحبين لأصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وكانوا ينقلون عنهم ما رووه عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكانت تزكيتهم من الصحابة أنفسهم، ولأنهم عاشوا في فترة كانت الدولة الإسلامية في قوتها، لم يدخلها التبديل والتحريف، وأقوالهم حجة في اللغة والنحو، ولأنهم عاشوا في أحسن القرون، فقد سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أي الناس خير؟ فقال: (قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته).(٢)

ومن خلال دراستي لتفسير الشيخ القطان، وجدت أنه استشهد كثيراً بأقوال الصحابة والتابعين، وكان يأتي بها مجردة من السند مثل الحديث، لكونه يميل إلى الاختصار والإيجاز كما قلنا، وأقوالهم كثيرة وموزعة في تفسيره، ولا تعدو كونها مبينة لمعنى، أو تفسيراً لآية، خصوصاً الصحابة المشهورين بتفسير القرآن كابن عباس مثلاً، واستشهد بها أيضاً في بيان أسباب النزول، أوبيان الأحكام الفقهية، أو توجيه قراءة من القراءات، أو لتدعيم كلامه بأقوالهم، وسأذكر أمثلة توضيحية لما قلته من تفسير الشيخ رحمه الله.

---

(1) قال عنه ابن الملقن: (هذا الحديث غريب، لم يروه أحد من أصحاب الكتب المعتمدة، وله طرق)، أنظر: ابن الملقن، **"البدر المنير "**،مصدر سابق، رقم الحديث ٤٤،ج٩ ،ص٥٨٤، رقم الحديث١٨.

(2) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، انظر: مسلم،**"صحيح مسلم"**، مصدر سابق، ج٧، ص ١٨٤ ، رقم ٦٦٣٣

١ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ ﴾ البقرة: ١٧٨، قال الشيخ: (﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ البقرة: ١٧٨ هذا نهج الآيات المدنية فانها تصدر بهذا النداء، والحكم لجميع الناس، فُرض ﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾ البقرة: ١٧٨ ، وهو قتْل من قَتل نفسا عامداً متعمداً، ففي ذلك العدل والمساواة، ولقد كان القصاص في الجاهلية خاضعاً لقوة القبائل وضعفها، فبعضهم كان لا يكتفي بقتل القاتل الفرد بل يطلبون قتل رئيس القبيلة، وبعضهم كان يطلب قتل عدد من الأشخاص بدل المقتول، وهذا ظلم كبير، فجاء الإسلام بالعدل والمساوة، وفرض قتل القاتل فقط، ثم خصّصت الآية فنصّت على بعض الجزئيات ﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ ﴾ البقرة: ١٧٨ ، تأكيداً لإبطال ما كانوا عليه في الجاهلية، من فرض عدم التساوي في الدماء، أما الحكم في الإسلام فهو أن يُقتَل القاتل، سواء كان حراً قتل عبدا أو بالعكس، وذلك لأن هذا جاء واضحاً في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾ المائدة: ٤٥ ، كما جاء في سورة المائدة، ولكن إذا قتل رجل ولده، اختلف العلماء في ذلك: فمنهم من قال يُقتل الوالد كالإمام مالك، وذلك في حالة ما إذا أضجعه وذبحه بالسكين، ومنهم من قال لا يُقتل به، وهم الأغلب، وكذلك إذا قتل جماعة رجلاً واحداً، فجمهور العلماء على أنهم يقتلون به، كذلك فعل عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، واختلفوا في قتل المسلم ذميا، فبعضهم قال لا يقتل به وهم الأغلب، وقال البعض يقتل به).([1])

نلاحظ أن الشيخ قد أتى بفعل عمربن الخطاب - رضي الله عنه -، وعلي بن أبي طالب -كرم الله وجهه - لتأييد حكم فقهي، وهو قتل الجماعة بالواحد، وهو رأي الجمهور كما ذكر.

٢ – عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ ﴾ النساء: ٣، قال الشيخ: (يسأل كثير من الناس قديماً وحديثا: ما وجه الربط بين العدل في معاملة اليتامى، ونكاح النساء! وقد سأل عروة بن الزبير خالته عائشة أم المؤمنين، ففسرت ذلك بأن بعض أولياء اليتامى كان يتزوج بمن عنده من اليتيمات اللاتي يحل له زواجهن، أو يزوّجها بعض أبنائه، ويتخذ ذلك ذريعة الى أكل مالها، أو أكل مهرها الذي تستحقه بعقد الزواج، فأنزل الله تعالى هذه الآية

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ١٥١ - ١٥٢

مرشدة لهم بأن من كان عنده يتيمة وأراد أن يتزوج بها أو يزوّجها من بعض أبنائه، لا لغاية أكل مالها أو أكل مهرها فلا مانع من ذلك، أما إذا أراد أن يتزوجها ليأكل مالها أو مهرها، فإن الله يأمره أن يتركها تتزوج غيره، وله أن يتزوج غيرها).[1]

نلاحظ أن الشيخ قد جاء بكلام السيدة عائشة رضي الله عنها في تفسير هذه الآية الكريمة، لبيان وجه الربط بين العدل في معاملة اليتيم ونكاح النساء، وهذا كثيرٌ في تفسيره.

٣- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ النبأ: ٣٠ ،قال الشيخ: (فذوقوا ما أنتم فيه من العذابِ الأليم، فلنْ يكون لكم منا إلا عذابٌ أشدّ وأقوى، وكما جاء في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ ص: ٥٧ - ٥٨، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لم ينزِل على أهل النار آيةٌ أشدّ من هذه الآية ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ النبأ: ٣٠).[2]

فالشيخ قد فسرهنا آية النبأ بأية ص، ودعم كلامه بقول عبد الله ابن عمر- رضي الله عنهما -.

٤ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾ ﴾ المسد: ٤ - ٥ ، قال الشيخ: (وستعذَّب امرأتُه، أم جميل العَوراء، بهذه النار أيضا، لشدة عِدائها للرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم - ، ولِما كانت تسعى بالنَّميمة والفتنة لإطفاء دعوةِ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، قال ابنُ عباس ومجاهد وقتادة والسُدّي: كانت تمشي بالنميمة بين الناس، والعربُ تقول: فلان يَحْطِب على فلانٍ إذا حَرَّضَ عليه).[3]

يتضح لنا أنه جاء برأي عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما -، وكبار التابعين لتوضيح معنى ﴿ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ المسد: ٤ ،في الآية الكريمة.

٥ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المائدة: ١١٥، قال الشيخ: (ولقد تكلم المفسرون كثيراً في موضوع المائدة، هل نزلت فعلاً، أم ورد ذلك لضرب المثل؟ كما تكلم بعضهم في ألوان طعامها،

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص٣٤٧
(2) المرجع السابق، ج٤، ص ٥١٥
(3) المرجع السابق، ج٤ ،ص٦٤٤

وأطلقوا لخيالهم العنان في كل ذلك، ونحن لا نرى فائدة في ذكر كل ذلك، بل نضرب عنه صفحاً، ولكنّنا نشير إلى أنه قد ورد عن الحسن البصري، ومجاهد المفسّر الكبير، وقَتادة أحد كبار المحدّثين أنها لم تنزل، وقالوا في تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المائدة: ١١٥، إن الحواريّين لمّا سمعوا هذا الوعيد قالوا: إننا نستغفر الله ولا نريدها، هذا وقد استدل بعض الكاتبين على عدم نزولها بأن قال: إن النصارى لا يعرفونها، وليس لها ذكر في كتبهم، ونحن نقول: إن كتب النصارى التي بين أيديهم كتب ناقصة، فليست هي كل ما جاء به عيسى، أما الأناجيل الأربعة المتداولة فلا تعدو كونها تراجم سيرةٍ لحياة المسيح،كتبها أُناس مجهولون، بعد المسيح بمدة طويلة، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة، ولا يلزم أن يكون كل ما قصّه الله تعالى في القرآن قد قصّه في غيره من الكتب المتقدمة، فليس الأمر تجميل طبعات الكتاب الواحد، كما لا يلزم أن يكون أصحاب الأناجيل المارون، بعدم ذكرهم لقصة المائدة، دليلا على عدم ورودها.

يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فيما يختص بنسبة القصص القرآني عامة إلى كتب العهد القديم: (وإذا ورد في كتب أهل المِلل أو المؤرخين ما يخالف بعض هذه القصص، فعلينا أن نجزم بأن ما أوحاه الله إلى نبيه ونُقل إلينا بالتواتر هو الحق، وخَبَره الصادق، وما خالفه هو الباطل، وناقله مخطىء أو كاذب، فلا نعدّه شُبهة على القرآن، ولا نكلف أنفسنا الجواب عنه، فإن حال التاريخ قبل الإسلام كانت مشتبهة الأعلام، حالكه الظلام، فلا رواية يوثق بها في معرفة رجال سندِها، وقد انتقل العالَم بعد نزول القرآن من حال إلى حال، فكان بداية تاريخ جديد للبشر، كان يجب عليهم لو أنصفوا أن يؤرخوا به أجمعين). هذا ونحن نؤمن بما قصه القرآن الكريم من أن الحوارين قد سألوا عيسى أن يُنزل عليهم الله المائدة، فسأل عيسى ربه ذلك، وأجاب الله سؤاله على كيفيةٍ أقنعتهم).([1])

نلاحظ أن الشيخ قد تعرض إلى موضوع نزول المائدة، وهو موضوع شائك بين المفسرين، فمنهم من يقول بنزولها، ومنهم من ينفي نزولها، والشيخ أعرض عن هذا، لأن التفسير كما ذكرنا، من التفاسير الحديثة والمتأثرة بمنهج الشيخ محمد عبده، فالشيخ لايدخل في الخلافات بين العلماء، وذكر الأحاديث والإسرئليات، والمهم عنده هو الوقوف عند تفسير الآية، ولكنّه هنا خالف طريقته في التفسير، حيث فصل المسألة، و ذكر كلام الحسن البصري ومجاهد وقتادة وهم من كبار التابعين كماهو معروف، وهم يقولون بعدم نزولها، والشيخ ليس له رأي صريح في نزول المائدة، ولكن رأي الجمهور على أنها نزلت، وهذا الرأي رجحه ابن جرير

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٥٤٠

الطبري و ابن كثير في تفسيريهما، لأن الله سبحانه وتعالى أخبر بنزولها ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾المائدة: ١١٥، وعملاً بظاهر النص، والله أعلم.[1]

٦ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٦، قال الشيخ: (الحياة لها قوانين لا تختلف، وسنن لا تتبدل، كما بين الله لنا ذلك، والله لا يأمر بالفسق والفحشاء، ولكن إذا كثر الفساد في مجتمع ما، وطغى كبراؤه بالانغماس في اللذات واتباع الشهوات، ولم يوجد من يضع حداً لهذه الفوضى، ويضرب على ايديهم، نزل بلاء الله بهم، وهلكت القرية ودمرت بمن فيها، ويوضح هذا قراءةُ الحسن البصري: أمّرنا مترفيها، بتشديد الميم، وبذلك تكون الصورة واضحة تمام الوضوح، والناس دائما تبع للمترفين من السادة والرؤساء، و قرأ يعقوب: آمرنا بمد الهمزة([2])، وقرأ الحسن البصري: (أمّرنا) بالتشديد، وهي ليست من القراءات السبع المعتمدة).[3]

نلاحظ أن الشيخ قد أتى بقراءة الحسن البصري، وهي شاذة، لتوضيح المعنى، ولتوجيه القراءة الصحيحة.

٧ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٩، قال الشيخ: (ومثلُ ذلك الذي ذُكر، من استمتاع أولياء الإنس والجن بعضهم ببعض، ﴿ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا ﴾ الأنعام: ١٢٩ ، بسبب ما كانوا يكسِبون من الكبائر والجرائم، روى أبو الشيخ عن منصور بن أبي الأسود قال: سألت الأعمش عن قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٩ ، قال: معناه كما سمعتُ من اشياخي: (اذا فسد الناس أُمِّرَ عليهم شِرارهم، وذلك أن الحكّام يتصرفون في الأمم الجاهلة الضالّة تَصَرُّفَ رعاة السوءِ في الأنعام السائمة)).[4]

(1) ابن كثير،**"تفسير القرآن العظيم"**، مصدر سابق،ج٣، ص ٢٣١

(2) يقول الدمياطي: واختلف في (أَمَّرۡنَا مُتۡرَفِيهَا) الإسراء: ١٦، فيعقوب بمد الهمز، من باب فاعل الرباعي، أنظر: الدمياطي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، **"إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر"**، وضع حواشيه، الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٣٥٦

(3) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص٦٨٣

(4) المرجع السابق، ج٢، ص ١٠٣

نلاحظ أنه أتى بقول الأعمش لتفسير وتوضيح معنى هذه الاية الكريمة.

٨ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحديد: ٢٣، قال الشيخ: (وحيث علمتم أن كل ما يجري هو بعلم الله وقضائه وقدَره، فعليكم ألا تحزنوا على ما لم تحصَلوا عليه، حزناً مفرطاً يجرّكم إلى السخط، ولا تفرحوا فرحاً مبطِرا بما أعطاكم، فاللهُ لا يحب كلّ متكبرٍ فخور على الناس بما عنده، قال عكرمة: ليس أحدٌ إلا وهو يحزَن أو يفرح ، ولكنِ اجعلوا الفرحَ شُكراً والحزنَ صبراً.

وما من إنسان إلا يحزن ويفرح، ولكنّ الحزنَ المذمومَ هو ما يخرجُ بصاحبه إلى ما يُذهِبُ عنه الصبرَ والتسليم لأمرِ الله ورجاءِ الثواب، والفرحَ المنهيَّ عنه هو الذي يطغى على صاحبه ويُلهيه عن الشكر).([1])

وهذا المثال مثل الذي ذكرته قبل هذا، فالشيخ أتى بقول عكرمة مولى عبد الله بن عباس – رضي الله تعالى عنهما - لتوضيح معنى الآية، وتفسيرها.

٩ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾ الحج: ١٩، قال الشيخ: (ويرى جماعة من المفسرين أن هذه الآياتِ نزلت يوم بَدْرٍ، وأن المراد بالخَصْمَين: حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن ابي طالب، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه وهم المؤمنون، وعتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة وهم الكافرون، وهؤلاء أول من تبارزوا يوم بدر، فقد روى ابن جرير الطبريّ في تفسيره أن أبا ذَرٍّ رضي الله عنه كان يُقسم أن هذه الآيات نزلت في المتبارزين يوم بدر، وفي الصحيحَين عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: فينا نزلتْ هذه الآيات، وأنا أولُ من يجثو في الخصومة على رُكبتيه بين يد الله يوم القيامة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).([2])

نلاحظ أن الشيخ قد أتى بكلام أبي ذر الغفاري – رضي الله عنه - وهو صحابي جليل، وكذلك قول الإمام على - كرم الله وجهه - في سبب نزول هذه الآية الكريمة، والقصه صحيحة، لأنها موجودة في الصحيحين كما ذكر الشيخ، وفي كتب السيرة، وهي سبب نزول هذه الآية، لاتفاق البخاري ومسلم على صحتها.([3])

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص٢٨٨

(2) المرجع السابق، ج٣،ص ١٧٨

(3) ابن الملقن، **"البدر المنير "**،مصدر سابق، ج٩، ص٩٩، رقم الحديث٤١.

١٠ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٣ ،قال الشيخ: (ولما جاء موسى في الموعد الّذي وقّته له ربه لمناجاته، كلّمه ربه، لكن موسى قال: رب أرني ذاتك لأتمتع بها، وأحصل على فضيلتَي الكلام والرؤية، وأزداد شرفاً، فقال له ربّه: لن تطيق رؤيتي يا موسى، ثم أراد الله سبحانه أن يبين لموسى أنه لا يطيق رؤية ما يطلب، فقال: أنظر إلى الجبل الذي هو أقوى منك، فإن ثبت في مكانه عند التجلّي فسوف تراني اذا تجلّيت لك، فلما تجلى الله للجبل انهدّ ذلك الجبل وبات أرضا مستوية، عند ذاك سقط موسى مغشياً عليه لهول ما رأى، فلما أفاق من غشيته، قال: سبحانك، إنني أُنزّهك يا رب تنزيهاً عظيما عما لا ينبغي في شأنك مما سألت، إني تُبْت إليك من الإقدام على السؤال بغير إذن، وأنا أول المؤمنين من قومي، بجلالك وعظمتك، ولما منع الله موسى من رؤيته، عدَّد عليه نعمه ليتسلى بها فقال: يا موسى، لقد اخترتك مفضّلاً إياك على أهل زمانك، بتبليغ التوراة، وبتكليمي إياك من غير واسطة، فخذ ما فضّلتك به، واشكرني كما يجب.

وقد وردت أحاديث كثيرة فيها إمكان رؤية الله عن أكثر من عشرين صحابياً، لكنه ورد عن السيدة عائشة خلافُ ذلك، فقد رُوي عن مسروق قال: قلت لعائشة، يا أمّاه، هل رأى محمد - صلى الله عليه وسلم - ربَّه ليلة المعراج؟ فقالت: لقد قفّ شعري مما قلتَ، ثلاث من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ومن حدثك أنه يعلم ما في غدٍ فقد كذب، ومن حدثك أنه كتم شيئا من الدين فقد كذب. قال مسروق: وكنت متكئا فجلست وقلت: ألم يقل الله : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ النجم: ١٣ ،فقالت: أنا أول من سأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم - عن ذلك فقال (إنما هو جبريل).(١)

وهذه الرؤية هي في الدنيا، أما الآخرة فانها تختلف عن هذه الدنيا، وكل ما في الحياة الآخرة يختلف اختلافاً كلياً عن حياتنا الدنيا، وترى جمهرة المسلمين أن رؤية العباد لربهم في الآخرة حق).(٢)

(1) البخاري، **"الجامع الصحيح"**، مصدر سابق،ج٣، ص ١١٨١، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم الحديث:٣٠٦٢

(2) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٢٠٢

نلاحظ أن الشيخ - رحمه الله - قد تعرض لقضية عويصة بين علماء السلف، وهي رؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا، وانطلاقاً من هذه الآية، وهي عدم قدرة موسى على رؤية الله سبحانه وتعالى، وقع خلاف بين السيدة عائشة وعبد الله ابن عباس في رؤية الرسول- صلى الله عليه وسلم -، وكلاهما له وزن في العلم والصلة بالرسول - صلى الله عليه وسلم -،وكلاهما في الصحيحين، فالسيدة عائشة كما ذكر الشيخ تنفي الروؤية، وعبد الله بن عباس يثبت رؤية الرسول - صلى الله عليه وسلم- لربه، فقد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (رأيت ربي تبارك وتعالى([1]))،ولم يذكر الشيخ قول عبد الله بن عباس، وكونه ذكر قول السيدة عائشة، فإنه يرجح عدم الرؤية، وقصة سيدنا موسى شاهدة على ذلك، لأن الله سبحانه وتعالى قال:﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ الأعراف: ١٤٣ .

أما في الآخرة فليس هناك خلاف بين علماء السنة في رؤية الله سبحانه وتعالى، خلافاً للمعتزلة ،لقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة: ٢٢ – ٢٣، وسنبحث هذه المسألة في مبحث العقيدة بإذن الله.([2])

(1) ابن حنبل، **"مسند الإمام أحمد"**، مصدر سابق، ج٤، ص٣٥١، رقم الحديث ٢٥٨٠، وحكم الشيخ شعيب على الحديث، بأنه صحيح.

(2) أنظر الرسالة، ص١٥٨

المبحث الثاني: قضايا علوم القرآن في تفسير القطان

المطلب الأول : أسباب النزول

المطلب الثاني: الناسخ والمنسوخ

المطلب الثالث: القراءات القرآنية

المطلب الرابع: المكي والمدني

المطلب الخامس: القصص القرآني

المبحث الثاني: قضايا علوم القرآن في تفسير القطان

تعد علوم القرآن من العلوم التي تخدم القرآن الكريم ، وقبل البدء بدراسة هذا المبحث عند المفسر،لابد أن نشير إلى تعريف علوم القرآن.

عرف الشيخ عبد الوهاب غزلان، علوم القرآن بقوله: (علم يتألف من مباحث تتعلق بالقرآن الكريم، من ناحية نزوله وجمعه وترتيبه، وبيان الوجوه التي نزل عليها، وأسباب نزوله، وشرح غريبه، ودفع الشبهات عنه، وغير ذلك من كل ماله اختصاص به، وموضوعه القرآن الكريم، ولعل السر في أن العلماء سموا هذا العلم (علوم القرآن) بصيغة الجمع لا بصيغة الإفراد، هو أنهم أرادوا أن يشيروا بهذه التسمية إلى أن كل مبحث من مباحثه، جدير إذا جمعت مسائله على سبيل الاستيعاب والاستقصاء أن يكون علماً برأسه).([١])

وقد عرفها الزرقاني بقوله: (مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه، وجمعه وكتابته، وقراءته وتفسيره وإعجازه، وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه ونحو ذلك).([٢])

ومن خلال التعريفين نستنتج أن هذا المبحث ضروري عند كل مفسر، لأنه يخدم القرآن الكريم، وقد اطَّلعنا على هذا المبحث وتعمقنا فيه، في محاضرات للدكتور أحمد فريد في علوم القرآن، واطَّلعنا على أهم العلوم التي يتكون منها، ولم يجعله العلماء علماً مستقلاً بذاته إلا مؤخراً، وكان أول من صنف في هذا المجال الزركشي في كتابه البرهان، والسيوطي في كتابه الإتقان، وقد نقل عن الزركشي أشياء كثيرة في كتابه، ويعد هذان الكتابان من أهم الكتب في علوم القرآن، وقد جمعهما أستاذنا الدكتور فضل عباس في كتاب واحد سماه (إتقان البرهان في علوم القرآن).

ومن خلال هذا المبحث سنرى كيف تطرق الشيخ القطان في تفسيره إلى هذه العلوم، وكيف عالجها، والتفسير كما هو معروف من التفاسير المختصرة والميسرة، التي لا تتعمق في هذه المباحث، وإنما تذكرها باختصار.

---

(1) غزلان: عبد الوهاب عبد المجيد ، **" البيان في مباحث من علوم القرآن "**، جامعة الازهر، بدون سنة الطبعة، مطبعة دار التأليف القاهرة، ص٣٢

(2) الزرقاني: محمد عبد العظيم، **"مناهل العرفان في علوم القرآن"**، مراجعة: محمد علي قطب ويوسف الشيخ محمد علي، المكتبة العصرية، طبعة ٢٠٠٤، بيروت، ج١، ص ٣١

المطلب الأول : أسباب النزول

القرآن نزل من عند الله سبحانه وتعالى، وهناك آيات نزلت عقب أمور معينة وقعت، واقتضى وقوعها نزول تلك الآيات ، وهذه الأخيرة تسمى أسباب النزول، قال ابن تيمية: (ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب، يورث العلم بالمسبب).([1])

وعرفها الشيخ الزرقاني بقوله: (هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى: حادثة وقعت في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم -، أو سؤال وجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو بجواب هذا السؤال).([2])

وأسباب النزول لبعض الآيات دون بعض، ومن هذا المنطلق قسم العلماء القرآن إلى قسمين: ما نزل على سبب كحادثة الإفك مثلاً وهو قليل، وما نزل بغير سبب وهو معظم الآيات، ولا سبيل إلى معرفة سبب النزول إلا بالرواية والنقل، ويعد كتاب الواحدي (أسباب النزول)، والسيوطي (لباب النقول في أسباب النزول) من أهم الكتب المؤلفة في هذا الفن .

والشيخ القطان، لم يتوسع في أسباب النزول، مثل المفسرين الآخرين، فلم يكن يذكر كل الروايات التي جاءت في السبب، ويناقشها ويرجح الرواية التي يراها حسب قواعد الترجيح، وإنما كان يذكر رواية أو روايتين، ويأتي في الغالب بالرواية الصحيحة، ولا يترك القاريء في حيرة من أمره، مثل ما كان يفعل مفسرون سابقون، يأتون بكل الروايات، ويتركون للقاريء الترجيح بينها، وسأذكر أمثلة على ما قلته من تفسيره، يتضح منها كيف كان الشيخ يتعامل مع أسباب النزول.

١ – عند ذكره لسبب نزول قوله تعالى:﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ التوبة: ٨٤ ، قال الشيخ: ((روى أحمد والبخاري والترمذي وغيرهم عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما توفي عبد الله بن أُبّي، دُعي رسول الله للصلاة عليه، فقام عليه، فلما وقف قلت: أَتصلي على عدوّ الله، عبدِ الله بن أبّي القائل كذا وكذا؟ ورسولُ الله يبتسم، حتى إذا أكثرتُ قال: يا عمر، أخِّر عني، أنّي قد خُيرت: قد قيل لي: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ التوبة: ٨٠ ، فلو أعلم أني زدتُ على السبعين غُفر له لزدتُ عليها، ثم صلى عليه، ومشى معه حتى قام على قبره إلى أن فُرِغَ منه،

---

(1) ابن تيمية، **"مقدمة في أصول التفسير"**، مصدر سابق، ص١٦

(2) الزرقاني، **"مناهل العرفان في علوم القرآن"**، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٥

فعجبتُ لي ولجرأتي على رسول الله، فوا اللهِ ما كان إلا يسيراً حتى نزلتْ هاتان الآياتان: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ التوبة: ٨٤ - ٨٥ ، (فما صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على منافق بعده).(١)

وقد أنكر بعضُ العلماء هذا الحديث، وقالوا إنه مخالف للآية، وقد روي عن طريق ابن عمر وجابر بن عبد الله، ولا أرى في هذا الحديث ما يخالف الآية، إذا كان الحديث من أسباب النزول، والحديث صحيح لا مجال للطعن فيه، والنبي - صلى الله عليه وسلم - إنما صلى عليه من أجل ولدِه المؤمن الصحابيّ الجليل، وكان هذا طلبَ من الرسول الكريم أن يصلّي على والده وقال له: يا رسول الله، إنك إن لم تأتِه نُعَيَّر به(٢)).(٣)

نلاحظ أن الشيخ قد أعطى الموضوع حقه، فقد ذكر الحديث، وذكر المصادر الموجود فيها، وعلق على الحديث، وحكم عليه بالصحة، ورد على العلماء الذين أنكروه، وأنا مع الشيخ فيماذهب إليه، لأن الحديث صحيح، ويكفي أنه موجود في صحيح البخاري، الذي يعد أصح كتاب بعد كتاب الله.

٢ - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾ الفلق: ٤ ،قال الشيخ:

(ومن شر كلّ من يسعَى بين الناس بالإفساد، ومنهم تلك السواحِرُ اللاتي يَنْفُثْن في العُقَد لضررِ عبادِ الله، وليفرّقنَ بين المرءِ وزوجه .

وهناك رواياتٌ في سبب نزول هذه السورة والّتي تَليها(٤)، تذكُر أن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - سَحَرَه يهوديٌّ اسمه لَبيد بن الأعصم، فنزلت المعوِّذتان، وزال السِّحر عندما قرأهما الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -، ومع أن بعض هذه الروايات في الصحيح، ولكنها مخالِفَة للعقيدة، وتناقض العِصمةَ التي أُعطيت للرسول – صلى الله عليه وسلم - بقوله تعالى:

---

(1) البخاري، **"الجامع الصحيح"**، مصدر سابق، كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافق، ج٢، ص٩٧ ، رقم الحديث ١٣٦٦

(2) هذه الرواية جزء من حديث ذكرها الشيخ هنا، والحديث بتمامه في مسند الإمام أحمد، (حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا عبد الملك، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: لما مات عبد الله بن أبي أتى ابنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله، إنك إن لم تأته لم نزل نعير بهذا، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجده قد أدخل في حفرته، فقال: (أفلا قبل أن تدخلوه)، فأخرج من حفرته فتفل عليه من قرنه إلى قدمه، وألبسه قميصه)، قال المحقق: حديث صحيح، وإسناده على شرط مسلم، أنظر: ابن حنبل، **"مسند الإمام أحمد"**، مصدر سابق، ج٢٣، ص٢٣٧، رقم الحديث١٤٩٨٦

(3) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٣٤٣

(4) قصده سورة الفلق والناس.

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المائدة: ٦٧، والواقع أنّ هاتين السورتين مكيّتان، وفي ذلك ما يُوهِنُ صحة الروايات).([1])

نلاحظ أن الشيخ قد ذكر الحديث بدون إسناد، وأشار إلى أنه صحيح، وفعلاً الحديث صحيح، وموجود في البخاري ومسلم([2])، وما ذهب إليه الشيخ في أن الرواية تناقض العقيدة والعصمة، وبالتالي فهي غير صحيحة، فأنا لست معه، لأن الرواية صحيحة، والرسول - صلى الله عليه وسلم - سحر في جسمه، وليس في عقله، ولم يؤثر سحره على نبوته وتبلغيه الرسالة، وهو لم يستمر إلا فترة قصيرة عافاه الله منه بعدها، وقد أخبره الله سبحانه وتعالى، وهذا دليل على نبوته وبشريته، والسحر كما هو معروف مرض من الأمراض، وأي شخص من البشر معرض له، والرسول - صلى الله عليه وسلم - من البشر.

٣ - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ التوبة: ٧٥ - ٧٨ ،قال الشيخ: (وقد وردت عدة روايات في سبب نزول هذه الآيات، (روى ابن جرير أن ثَعلبةَ بن حاطِبٍ الأنصاري قال لرسول الله – صلى الله عليه وسلم-: ادعُ الله أن يرزقَني مالاً، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم -:(ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدّي شُكرَه خيرٌ من كثيرٍ لا تُطيقه).

فراجعه مرة أخرى وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطينَّ كل ذي حق حقه، فدعا له فأخذ غنماً، فنمت كما ينمى الدود، حتى ضاقت بها المدينة، فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة، فسأل عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل: كثُرَ ماله حتى لا يَسَعُه واد، فقال: يا ويح ثعلبة، فبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم - مصدقين لأخذ الصدقات،

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ٦٤٨

(2) هذا الحديث صحيح، أخرجه الشيخان في صحيحيهما، من حديث عائشة رضي الله عنها: (أن النبي صلى الله عليه وسلم طب حتى أنه ليخيل إليه أنه قد صنع الشيء وما صنعه، وأنه دعا ربه، ثم قال: أشعرت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، قالت عائشة: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال الآخر: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: فيماذا؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في ذروان وذروان بئر في بني زريق قالت عائشة: فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى عائشة فقال: والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين، قالت: فقلت له: يا رسول الله، هلا أخرجته؟ قال: أما أنا فقد شفاني الله، وكرهت أن أثير على الناس منه شرا)، قال الرافعي: وفي ذلك نزلت المعوذتان، أنظر: ابن الملقن، **"البدر المنير "**،مصدر سابق، ج٨، ص ٥١٧

فاستقبلها الناس بصدقاتهم، ومرا بثعلبة، فسألاه وأقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، فارجعا حتى أرى رأيي، فلما رجعا أخبرا رسول الله – صلى الله عليه وسلم - بما قال ثعلبة، فقال: ويح ثعلبة، فانزل الله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَـئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ التوبة: ٧٥ ،إلى آخر الآية، فسمع بذلك ثعلبة فجاء بالصدقة، فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك، فجعل يحثو على رأسه التراب، وقُبض رسول الله – صلى الله عليه وسلم -، فجاء أبا بكر الصديق فلم يقبلها، ثم جاء عمر فلم يقبلها، وجاء عثمان فلم يقبلها رضي الله عنهم، وهلك في خلافه عثمان).

وهذه الصورة من البشر موجودة في كل زمان ومكان، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول الأصوليون).([1])

نلاحظ أن الشيخ قد أتى بهذا الحديث المشهور عند المفسرين، واحتج به، ولم يبحث عنه في كتب الحديث، ولم يتأكد من هذه القصة ، فالحديث أخرجه الطبراني بإسناد ضعيف، وقال البيهقي: في إسناده نظر، وأعله السهيلي في الروض الأنف، و قال البخاري: إن فيه علي بن يزيد أبو عبد الملك، وهو منكر الحديث و قال السهيلي: وقد عده ابن إسحاق في المنافقين.([2])

فالقصة لا تصح، وقد ضعفها كثير من العلماء، حتى المفسرين: قال القرطبي بعد أن ذكر القصة بطولها: (قلت : وثعلبة بدري أنصاري وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان، حسب ما يأتي بيانه في أول الممتحنه، فما روي عنه غيرصحيح .

قال أبوعمر([3]): ولعل قول من قال في ثعلبة أنه مانع الزكاة الذي نزلت فيه الآية غير صحيح، والله أعلم.

وقال الضحاك: إن الآية نزلت في رجال من المنافقين نبتل بن الحارث وجد بن قيس ومتعب بن قشير، قلت: وهذا أشبه بنزول الآية فيهم). ([4])

والشيخ يستشهد بهذه القصة، ويصدقها، ويعقب عليها بأنها موجودة في كل زمان ومكان، وهومع القاعدة التي تقول (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، مع أن القصة لم تصح كما قلنا.

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٣٣٧

(2) أنظر: الزيلعي: **"تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"**، مصدر سابق،ج٢، ص٨٦

(3) قصده العلامة ابن عبد البر.

(4) القرطبي،**"الجامع لأحكام القرآن"**، مصدر سابق، ج٨، ص٢١٠

٤ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ النور: ٦ ، قال الشيخ: (والذين يتهمون زوجاتهم بالزنا، ولا يستطيعون إثباته بأربعة شهود عدول، فإن على الواحد منهم أن يشهد بالله أربعَ شهادات (يعني أربع مرات) إنه صادق في هذا الاتهام...)[1]

نلاحظ أن الشيخ قد بدأ مباشرة بذكر حكم اللعان ، ولم يذكر سبب نزولها، وآيات اللعان كما هو معروف نزلت في هلال بن أمية أو عويمر العجلاني، وكلتا القصتين صحيحة، وموجودة في البخاري ومسلم، ومن العلماء من يرجح أنها نزلت في هلال ، ومنهم من يرجح أنها نزلت في عويمر، ومنهم من يجمع بينهما.[2]

والراجح أنها نزلت في هلال وعويمر معاً، فالحادثتان وقعتا قبل نزول الآية، والشيخ لم يذكرها إطلاقاً، وهي موجودة في الصحيحين .

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص ٢٤٥

(2) السيوطي: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد، **"لباب النقول في أسباب النزول"**، دار الهجرة، دار النمير، بيروت الطبعة الأولى،١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ١٣٨

المطلب الثاني: الناسخ والمنسوخ

يعد الناسخ والمنسوخ من العلوم المهمة والصعبة في كتاب الله خصوصاً، وفي الشريعة الإسلامية عموماً، وتتطلب معرفة هذا العلم، العلم بالحديث و بأصول الفقه، ولاينبغي للمفسر الخوض في هذا العلم دون الرجوع إلى هذه العلوم، والتأكد من معرفة الناسخ والمنسوخ، حتى لايقع في الخلط والتناقض، والقول في كتاب الله بغير علم.

وقد عرفه الشيخ الزرقاني بقوله: (رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي).(1)

والعلماء وضعوا شروطاً للنسخ،كأن يكون النص الناسخ متأخراً عن النص المنسوخ، ولا يجوز النسخ إلا في الأمر والنهي، وهو ثلاثة أنواع:

١ – نسخ التلاوة والحكم معاً.

٢ – نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

٣ - نسخ الحكم مع بقاء التلاوة.(2)

واختلفوا في نسخ القرآن بالسنة، وكذلك في نسخ التلاوة وبقاء الحكم، مع العلم أن علماء السلف ليسوا مجمعين على النسخ ...، ولا يتسع المجال لذكر أقوالهم هنا.

والناسخ هو الله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ البقرة: ١٠٦ .

وقد اهتم الشيخ القطان كثيراً بهذا العلم، ورد على المنكرين له، وسأتعرض لبعض آيات النسخ المشهورة، وسنرى كيف كان تفسيره لها.

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ البقرة: ١٠٦ - ١٠٨ قال الشيخ: (النسخ في اللغة الإزالة، يقال: نسخت الشمس الظل: أزالته، والإنساء: إذهاب الشيء من الذاكرة).(3)

(1) الزرقاني، **"مناهل العرفان في علوم القرآن"**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٦٢

(2) المرجع السابق، ص١٦٤

(3) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ١١٠

هذا الكلام الذي ذكره الشيخ في (الإنساء) غيرمسلم به، ولا يعمل به على إطلاقه مطلقاً، وإن كانت المعاني قريبة من بعضها، فالآية لها قراءات غير هذه القراءة، وكل قراءة مرتبطة بمعنى خاص بها، يقول الفراء: (وقوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا ﴾ البقرة: ١٠٦،أو(نُنْسِئْهَا)، أَوْ(نُنْسِهَا)، عامة القرّاء يجعلونه من النسيان، وفى قراءة عبد اللّه([1]): (ما نُنْسِكَ من آية أو نَنْسَخْهَا نجىء بمثلها أو خير منها)، وفى قراءة سالم مولى أبى حذيفة: (ما نَنْسَخْ من آية أو نُنْسِكْهَا)، فهذا يقوّى النّسيان.

والنّسخ أن يعمل بالآية ثم تنزل الأخرى فيعمل بها وتترك الأولى، والنّسيان هاهنا على وجهين: أحدهما على الترك، أي: نتركها فلا ننسخها كما قال اللّه جل ذكره: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ ﴾ التوبة: ٦٧ ، يريد تركوه فتركهم، والوجه الآخر من النّسيان الذي ينسى، كما قال اللّه: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ الكهف: ٢٤ ، وكان بعضهم يقرأ: (أو نَنْسَأْهَا) يهمز، يريد نؤخرها من النّسيئة وكلٌّ حسن).([2])

وأضاف الشيخ قائلاً: (في هذه الآيات ردٌّ على اليهود، الذين كانوا يطعنون في الإسلام والقرآن والنبي عليه الصلاة والسلام، وكانوا لا يتركون فرصة دون أن يعترضوا ويحاولوا تشويه الحقائق، فكانوا يقولون: ما بال هذا النبي يأمر قومه بأمر ثم يبدله بعد ذلك؟ فردَّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٍ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ ﴾البقرة: ١٠٦ ،أي ما نغير حكم آية أو نؤخرها، إلا أتينا بما هوخير منها([3])، وذلك لمصلحة الناس وإظهار الدِّين، كل هذا من الله القادر على كل شيء، والذي له ملك السماوات والأرض، يتصرف فيه كيف يشاء، وحسب مصلحة عباده، فلا تتعنتوا كما فعل اليهود من قبلكم، حين سألوا رسولهم موسى أن يأتيهم بأشياء مستحيلة، وفي هذا نصيحة وتأديب للمسلمين أن يعملوا بما يأمرهم به نبيهم الكريم، وينتهوا عما ينهاهم عنه، أما من لا يتأدب، بل يترك الثقة بالبينات المنزلة حسب المصلحة، ويطلب غيرها فقد اختار الكفر واستحبَ العمى على الهدى).([4])

---

(1) قصده قراءة عبد الله بن مسعود – رضي الله تعالى عنه –وهي شاذة .

(2) الفراء: أبي زكريا يحيى بن زياد، **" معاني القرآن "**، تحقيق : أحمد يوسف نجاتى محمدعلى نجار عبدالفتاح إسماعيل شلبى، الطبعة الأولى، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ج١، ص ٦٤

(3) لعل هذا استدراك من الشيخ لما ذكره في اللغة.

(4) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ١١٠

من خلال تفسيره للآية، نرى أن الشيخ يؤيد القول بالنسخ في القرآن، ولم يُعرِّف النسخ في الاصطلاح، وإنما عرفه في اللغة فقط، وقد ذكرنا التعريف الاصطلاحي سابقاً، ورَدّ في هذه الآية على أهل الكتاب عموماً، وعلى اليهود خصوصاً في إنكارهم للنسخ، وأخبر بأن الله سبحانه وتعالى، قد شرع النسخ لحكمة أقتضتها ظروف الحياة، وهو المشرع، ولا مجال للخوض في إنكاره.

٢ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾

النساء: ١٥،قال الشيخ: (تعالج الآية حياة المجتمع المسلم، وتطهيره من الفاحشة التي كانت متفشية في أهل الجاهلية، وكان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبت زناها بشهادة أربعة رجال حُبست في بيتها، فلا تخرج منه حتى تموت، وهو ما تحكم به هذه الآية، لكنه لم يستمر، فقد جاء تفصيل الحكم لاحقا في سورة النور وفي الأحاديث الصحيحة.

واللاتي يأتين الزنا من نسائكم، بعد ثبوته عليهن بحق، فاحبسوهن أيها المؤمنون في البيوت وامنعوهن من الخروج، إلى أن يتوفاهن الله، ﴿ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ النساء: ١٥ ، أي يفتح لهن طريقاً مستقيما للحياة، بالزواج أو التوبة.

قال ابن عباس: هذا كان الحكم لهذه الفاحشة، ثم أبدله الله في سورة النور وجعله الجَلْد).[1]

وقد عقب الشيخ على هذه الآية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ النور: ٢،قال الشيخ: (تبين هذه الآية الكريمة حدَّ الزاني غير المتزوج والزانية غير المتزوجة، إذا ثبت عليهما ذلك، بإقرارهما، أو بشهادةِ أربعة شهودٍ رأوا ذلك العملَ بأعينهم وحلفوا عليه، فلو كانوا ثلاثةَ شهود لا تثبتُ الجريمة، ولا يقع الحّد، وتنص الآية أن لا نرأفَ عند تنفيذ الحكم، وتطلب أن يكون ذلك بمشهدٍ من الناس، ليكونَ في العقاب ردع لغيرهما من الناس، ويزاد على عقاب الجلد أن يغرَّب الزاني عاماً عن بلده عند جمهور العلماء، وعند أبي حنيفة أن التغريب عائدٌ الى رأي الإمام، إن شاء غرَّبَ، وإن شاء لم يغرِّب.

أما عقوبة الزاني المتزوج فقد ثبتت بالسنّة الشريفة أنها القتلُ رجماً بالحجارة، وكانت العقوبة في أول الاسلام: للمرأة الحبسُ في البيت والأذى والتعيير، وللرجل الأذى والتعيير كما تنص

(1) القطان، تيسير التفيسر، ج١، ص ٣٥٩.

الآية على ذلك من سورة النساء: ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ ﴾ النساء: ١٥ ، ثم نسخ هذا الحكم بهذه الآية).([1])

نلاحظ أن الشيخ قد ذكر الآية المنسوخة وهي آية سورة النساء، والناسخة لها، آية سورة النور، وذكر أن نسخ حكم آية النساء لم يتم بآية النور فقط، وإنما بالسنة الصحيحة أيضاً، ولم يذكرها، والسنة كما هو معروف فرقت بين المحصن وغير المحصن، فغير المحصن عقوبته الجلد والتغريب، والمحصن عقوبته الجلد والرجم حتى الموت، وهو مافعله الرسول - صلى الله عليه وسلم - بماعز والغامدية.

٣ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾ ﴾ البقرة: ١١٥، قال الشيخ: (قال بعض المفسرين: نزلت هذه الآية قبل الأمر بالتوجه إلى إستقبال الكعبة في الصلاة، وفيها إبطال لما كان يعتقده أرباب المِلل السابقة من أن العبادة لا تصح إلا في المعابد، لأن الله موجود في كل مكان([2])، إنه رب المشارق والمغارب، ثم شُرعت بعد ذلك القبلة الموحدة، وجعلت الكعبة رمزاً لذلك، ولا يزال بعض مفهوم هذه الآية سارياً إلى الآن، على من لم يعرف أين القبلة.

والذي رجحه ابن جرير في تفسيره أن هذه الآية ليست منسوخة، بل إن حكمها باق ومعمول به، على أساس أنه (اينما تولّوا وجوهكم في حال سيركم في أسفاركم، في صلاتكم التطوّع، وفي حال مسايفتكم عدوَّكم، في تطوعكم ومكتوبكم، فثم وجه لله) وفي هذا توسيع كبير).([3])

نلاحظ من كلام الشيخ أنه يعتبر الآية محكمة، ولا يقول بنسخها، ولم يذكر حتى الآية الناسخة لها، كماهو معروف عند من يقول بنسخها، وهي قوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ ﴾ البقرة: ١٤٤،لأن الآية الأولى تفيد جواز استقبال غير المسجد الحرام في الصلاة، والثانية تفيد عدم جواز استقبال غيره فيها.

وأنا مع الشيخ في اعتبار الآية محكمة وعدم القول بنسخها، للأدلة التي ذكرها، وقول ابن جرير الطبري، ولأن سبب نزول هذه الآية كان رداً على اليهود، حين حولت القبلة إلى الكعبة في قوله

---

(1) القطان، تيسير التفيسر، ج٣، ص ٢٤٣

(2) الله سبحانه وتعالى، موجود في كل مكان، بعلمه وسمعه وبصره، وليس بذاته العلية.

(3) القطان، تيسير التفسير، ج١،ص ١١٤

تعالى: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا ﴾ البقرة: ١٤٢،وهي متأخرة في النزول عن آية التحويل، وليس بمعقول أن يكون الناسخ سابقاً على المنسوخ، والله أعلم.(١)

والنسخ في الآية - عند من يقول بنسخها- شامل لصلاة الفرض والتطوع، ولكن التطوع خصص بالسُّنة.

٤ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ البقرة: ٢١٧،قال الشيخ: (يسألونك يا محمد عن القتال في الشهر الحرام، فقل لهم إن القتال فيه أمرٌ مستنكَر، لكن ما ارتكبتموه أنتم من الكفر بالله، والصدّ عن بيته، وإخراج المسلمين منه، والشرك الذي أنتم عليه، والفتنة التي حصلت منكم، كل ذلك أكبرُ عند الله من قتالكم في الشهر الحرام، لذلك أباح الله لنا القتال في الشهر الحرام لقمع هذه الشرور، على أساس اختيار أهون الشَّرَّين، واعلموا أيها المسلمون أن سبيل هؤلاء معكم هو التجني والظلم، وأنهم سيظلون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا، إذ لا همّ لهم إلا منع الإسلام عن الانتشار، اذن فإن انتظاركم إيمانهم بمجرد الدعوة طمعٌ منكم في غير مطمع، والقتال في الشهر الحرام أهون من الفتنة عن الإسلام، ومن يضعف منكم أمام هجماتهم ويرتد عن دينه ثم يموت على الكفر، فأولئك بطلت أعمالهم، وأولئك أهل النار هم فيها خالدون).(٢)

عندما فسر الشيخ هذه الآية لم يذكرأنها منسوخة، ولم يشر إلى هذا في كلامه، وإنما توقف فيها، وقد ذهب كثيرٌ من العلماء إلى أن هذه الآية منسوخة، ومنهم من ذهب إلى الإجماع بالنسخ في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ التوبة: ٣٦، وإذا تحقق الإجماع فلا يجوز مخالفته إلاباجماع آخر كما هو معلوم.(٣)

ودعوى الإجماع على النسخ ليست صحيحة، والراجح عدم النسخ، وكلام الشيخ القطان سليم، إلا أنه لم يذكر هذا الخلاف الواقع في هذه الآية.

---

(1) أنظر: الزرقاني، **"مناهل العرفان في علوم القرآن"**، مصدر سابق، ج٢، ص٢٣٤

(2) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ١٧٨

(3) الزرقاني، **"مناهل العرفان في علوم القرآن"**، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٣٧

يقول الشيخ الزرقاني: (نقل أبو جعفر النحاس إجماع العلماء- ما عدا عطاء[1]- على القول بهذا النسخ، ووجه ذلك أن آية ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾ التوبة: ٣٦ ،أفادت الإذن بقتال المشركين عموما، والعموم في الأشخاص يستلزم العموم في الأزمان، وأيدوا ذلك بأن رسول - صلى الله عليه وسلم - قاتل هوازن بحنين، وثقيفا بالطائف في شوال وذي القعدة سنة ثمان من الهجرة، ولا ريب أن ذا القعدة شهر حرام، وقيل إن النسخ لم يقع بهذه الآية إنما وقع بقوله سبحانه: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ التوبة: ٥ ،فإن عموم الأمكنة يستلزم عموم الأزمنة.

ذلك رأي الجمهور، وهو محجوج بما ذهب إليه عطاء وغيره، من أن عموم الأشخاص في الآية الأولى وعموم الأمكنة في الآية الثانية، لا يستلزم واحد منهما عموم الأزمنة، إذن لا تعارض ولا نسخ، بل الآية الأولى نبهت على العموم في الأشخاص، والثانية نبهت على العموم في الأمكنة، وكلاهما غير مناف لحرمة القتال في الشهر الحرام، لأن عموم الأشخاص وعموم الأمكنة يتحققان في بعض الأزمان بما عدا الأشهر الحرم، ويؤيد ذلك أن حرمة القتال في الشهر الحرام لا تزال باقية، اللهم إلا إذا كان جزاء لما هو أشد منه، فإنه يجوز حينئذ لهذا العارض، كما دل عليه قول الله في الآية نفسها: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾البقرة: ٢١٧.[2])

(1) لا إجماع مع مخالفة عطاء.

(2) الزرقاني، **"مناهل العرفان في علوم القرآن"**، مصدر سابق، ج٢، ص٢٣٨

المطلب الثالث: القراءات القرآنية

تعتبر القراءات من العلوم المهمة في التفسير بكل أنواعها، سواء كانت سبعية أم عشرية أم شاذة، وهذا لما لها من دور في فهم المعاني، وتقريب التفسير، ولقد اهتم بها العلماء منذ القدم، فألفوا فيها الكتب، واعتنوا بها، خدمة للقرآن الكريم والتفسير.

ولعلم القراءات تعريفات عديدة، أحسنها تعريف ابن الجزري: (هو علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها، معزواً لناقله).[1]

وموضوع هذا العلم هو كلمات القرآن، من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها، وتكون مستمدة من الرواية الصحيحة والمتواترة عند علماء القراءات، و المتصلة بالرسول - صلى الله عليه وسلم -، وهذا بالنسبة للقراءة الصحيحة أما الشاذة فلا.

والقرآن واحد، ولكن القراءات تختلف، لأن القرآن نزل على سبعة أحرف، وتلقاه الصحابة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذا الاختلاف، ثم انتشر القراء من الصحابة - رضوان الله عليهم - في شتى الأقطار الإسلامية بعد الفتوحات، وأصبح لكل جهة قراءة خاصة بها كقراءة أهل العراق، وأهل الشام تبعاً للصحابي الذي نزل بها،كعبد الله بن مسعود في العراق، وأبي الدرداء في الشام، وغيرهم، وأخذها التابعون عن الصحابة بهذا الاختلاف، وكذلك تابعو التابعين، إلى أن وصل الأمر إلى الأئمة القراء المشهورين، الذين تخصصوا بالقراءات، وانقطعوا لها ينشرونها ويضبطونها، وهكذا ظهر علم القراءات.[2]

وقد اشترط العلماء ثلاثة شروط للقراءة الصحيحة:

١-صحة السند.

٢-موافقة الرسم العثماني

٣-موافقتها لوجه من وجوه اللغة العربية.

وقد جمع هذه الشروط ابن الجزري بقوله:[3]

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ ... وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي
وَصَحَّ إِسْنَاداً: هُوَ الْقُرْآنُ ... فَهَذِهِ الثَّلاَثَةُ الأَرْكَانُ
وَحَيْثُمَا يَخْتَلَّ رُكْنٌ، أَثْبِتِ ... شُذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبْعَةِ

وكلما اختل شرط من هذه الشروط تصبح القراءة شاذة، وهذا هو الفرق بين الشاذة والصحيحة.

---

(1) ابن الجزري: أبو الخير محمد بن محمد بن علي بن يوسف **"منجد المقرئين ومرشد الطالبين"**، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٠هـ، ص٣

(2) ملخص من دروس أخذناها عند الدكتورأحمد البشايرة في القراءات، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

(3) ابن الجزري: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، **"طيبة النشر في القراءات العشر"**، قدم له، وضبط نصوصه، عادل عبد المنعم أبو العباس، مكتبة القرآن، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص١٢.

والقراءة الشاذة لا تعتبر قرآناً، وإن كانت صحيحة في نفسها، ولا تجوز قراءتها في الصلاة، ولا التعبد بتلاوتها، ولكن يجوز تعلمها والاستعانة بها في التفسير واللغة والإعراب وتوجيه القراءة الصحيحة، مثل قراءة عبد الله بن مسعود(أو يكون لك بيت من ذهب)، وتساعدنا في فهم معنى الأحرف السبعة، و كذلك استنباط الأحكام الفقهية، وهي حجة عند الأصوليين في استنباط الحكم الشرعي.(١)

والشيخ القطان اهتم بالقراءات الموجودة في بعض الآيات، أما توجيه القراءة فكان قليلاً في تفسيره، لأن التفسير كما هو معروف مختصر لا يدخل في اختلاف القراءات، وثمرة هذا الاختلاف، وتوجيه القراءات من الشواهد النحوية واللغوية والفقهية والتفسيرية، لأنه عندما تختلف القراءات، ينتج عن هذا الاختلاف اختلاف معنى الآية، ويعتبر توجيه القراءات فناً من الفنون، يقول الزركشي: (وهو فن جليل، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتنى الأئمة به وأفردوا فيه كتبا، منها كتاب الحجة لأبي على الفارسي(٢)، وكتاب الكشف لمكي(٣)، وكتاب الهداية للمهدوي(٤)، وكل منها قد اشتمل على فوائد، وقد صنفوا أيضا في توجيه القراءات الشاذة، ومن أحسنها كتاب المحتسب لابن جني(٥)،

---

(1) القضاة: احمد مفلح، وأحمد خالد شكري و محمد خالد منصور **" مقدمات في علم القراءات "**، الطبعة الاولى ٢٠٠١، دار عمار، عمان، ص ٧٥

(2) أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، إمام النحو في زمانه، انتهت إليه الرياسة في اللغة والنحو، وله عدة مؤلفات، من بينها: كتاب التذكرة، وكتاب الحجة في القراءات، وكتاب الأغفال، وكتاب الإيضاح، والتكملة، وغير ذلك، وهو شيخ العالم اللغوي الشهير،أبي الفتح عثمان بن جني، القادم تعريفه، وكان معتزلياً، ولد سنة ٢٨٨ه وتوفي سنة ٣٧٧ه، أنظر: الذهبي: **"سير أعلام النبلاء"**، مصدر سابق،ج١٦،ص٣٧٩

(3) هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ يكنى أبا محمد، وأصله من القيروان، كثير التأليف في علوم القرآن والعربية، له كتاب في (الناسخ والمنسوخ) سكن قرطبة، ورحل إلى مصر مرتين، توفي سنة ٤٣٧ هجرية.أنظر: ابن خلكان ، **"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"**، مصدر سابق، ج٥، ص٢٧٧

(4) أحمد بن عمار بن أبي العباس الإمام أبو العباس المهدوي، نسبه إلى المهدية بالمغرب أستاذ مشهور، رحل وقرأ على محمد بن سفيان وعلى جده لأمه مهدي بن إبراهيم وأبي الحسن أحمد بن محمد القنطري بمكة وذكر الحافظ أبو عبد الله الذهبي أنه قرأ على أبي بكر أحمد بن محمد البراثي، وألف التواليف منها التفسير المشهور والهداية في القراءات السبع وقد قرأت بها وشرحها في شرح لطيف وهو الذي ذكره الشاطبي في باب الاستعاذة، قال الذهبي توفي بعد الثلاثين وأربعمائة.أنظر: ابن الجزري: أبو الخير محمد بن محمد، **"غاية النهاية في طبقات القراء"**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، ج١، ص ٩٢

(5) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي المشهور؛ كان إماماً في علم العربية، قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي المقدم ذكره، ولازمه دهرا طويلاً، وله تصانيف عديدة، من بينها (الخصائص)و(سر الصناعة) ولد قبل الثلاثين وثلاث مائة، وتوفي سنة اثنتين وتسعين وثلاث مائة للهجرة.أنظر: الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك، **"الوافي بالوفيات"**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م، ج١٩، ص٣١١

وكتاب أبي البقاء([1])، وغيرهما.

وفائدته كما قال الكواشي ([2]):(أن يكون دليلا على حسب المدلول عليه، أو مرجحا، إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء؛ وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يسقط القراءة الأخرى وهذا غير مرضي، لأن كلتيهما متواترة)).([3])

والشيخ القطان اعتمد على قراءة عاصم الكوفي، لأن قراءة عاصم الكوفي هي المنتشرة في المشرق العربي والإسلامي، وهي قراءة عاصم برواية حفص، وقد صرح الشيخ بهذا في مقدمته، بقوله: (وقد أحصيت آيات القرآن الكريم في المصحف الذي بين أيدينا بقراءة(حفص)، فوجدتها ستة آلاف آية ومائتين بالضبط([4]))،([5]) علماً أن القراءة المنتشرة في المغرب، قراءةنافع برواية ورش.

فالشيخ القطان يعتمد على قراءة عاصم في تفسيره، ويذكر القراءات التي تخالفها، مع التوجيه أحياناً، وسأذكر أمثلة من تفسيره على ذكره للقراءات الصحيحة وتوجيهها.

١ – عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ النور: ٣٥، قال الشيخ عن القراءات الموجودة في هذه الآية:(قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم:(دُرِّيٌّ)بضم الدال وتشديد الراء بدون همز، وقرأ أبو عمرو والكسائي: (دِريءٍ) بكسر الدال والهمزة، وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم: (دُرِّيءٌ)بضم الدال وتشديد الراء وبالهمزة المضمومة في آخره.

---

(1) أبو البقاء العكبري عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين، الإمام العلامة محب الدين أبو البقاء العكبري البغدادي الأزجي الضرير النحوي الفرضي الحنبلي، قرأ بالروايات على: علي بن عساكر البطائحي، والعربية على: ابن الخشاب، وأبي البركات بن نجاح، وبرع في الفقه والأصول، وحاز على السبق في العربية، وسمع من: أبي الفتح ابن البطي، وأبي زرعة المقدسي، وأبي بكر بن النقور، وجماعة، وتخرج به أئمة،له مصنفات عديدة، من بينها:(تفسير القرآن)، وكتاب (إعراب القرآن)، وكتاب (إعراب الشواذ)، وكتاب (متشابه القرآن)، ولد سنة ثمان وثلاثين وتوفي سنة ست عشرة وستمائة للهجرة، أنظر: الذهبي: **"سير أعلام النبلاء"**، مصدر سابق،ج٢٢،ص ٩٣

(2) أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع بن حسين بن سودان الشيباني، الإمام العلامة، الزاهد الكبير، موفق الدين، أبو العباس الكواشي، المفسر، نزيل الموصل. ولد بكواشة، وهي قلعة من أعمال الموصل، سنة تسعين أو إحدى وتسعين وخمسمائة، قرأ القرآن على والده، واشتغل وبرع في القراءات والتفسير والعربية والفضائل، وكانت وفاته في سنة اثنتين وثمانين وستمائة.أنظر ترجمته في: الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **"تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"**، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج٥٠، ص٣٤٣، وانظر: الأدرنوي: أحمد بن محمد **"طبقات المفسرين"**، مصدر سابق، ص٢٥٢.

(3) الزركشي، **"البرهان في علوم القرآن"**، مصدر سابق، ج ٢ ، ص ١٥٧.

(4) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص١٢

(5) هي بالعد الكوفي ٦٢٣٦آية.

وقرأ ابن كثير وابو عمرو: (تَوقَّدَ) بفتح التاء والقاف المشددة وفتح الدال على أنه فعل ماض، وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم: (يُوقَدُ) بضم الياء وفتح القاف وضم الدال، فعل مضارع مبني للمجهول كما هو في المصحف، وقرأ حمزة وأبو بكرعن عاصم: (تُوقدُ) بضم التاء والدال).([1])

نلاحظ أن الشيخ قد ذكر أوجه القراءات في هذه الآية، ولم يوجهها، ولم يذكر المعاني التي تنتج عن هذا الاختلاف.

يقول ابن زنجلة في الآية: (قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم (كأنها كوكب دُرِّيٌّ) بضم الدال مشددة الياء بغير همز)، ووجه ذلك قائلاً: (يحتمل قوله تعالى (دُريّ) أمرين: أحدهما أن يكون نسبة إلى الدر، لفرط ضيائه وبهائه ونوره، كما أن الدر كذلك، وحجتهم حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - (إنكم لترون أهل عليين في عليين، كما ترون الكوكب الدُّرِّيَّ في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما)([2])، هكذا جاء في الحديث. ويجوز أن يكون فعيلا من الدَّرْءِ، وهو الدفع، وهو أن يدفع بنوره من أن ينظر الناظر إليه، فخففت الهمزة، فانقلبت ياء كما تنقلب من النبيء، ثم أدغمت الياء في الياء.

والراجح في نظري، الرأي الأول لأنه موافق للآية والسياق اللغوي، والله أعلم.

وقرأ حمزة وأبو بكر (دُرِّيءٌ) بضم الدال مهموزا فعيلا من الدرء وهو الدفع، وقد فُسرت: حكى سيبويه عن أبي الخطاب (كوكب دُرِّيءٌ) من الصفات، ومن الأسماء المريق وهو العصفر.

وقرأ أبو عمرو والكسائي (دِرِّيءٌ) مهموزا بكسر الدال، فعيلا من الدَّرء، مثل السِّكير والفِّسيق والمعنى: أن الخفاء يُدفَعُ عنه، لتلألئه في ظهوره، فلم يخف كما خفي نحو السُّها.

قال الكسائي (كوكب دِرِّيءٌ) أي مضيء، تقول دَرَأَ النجم يدرأُ درءا، إذا أضاء، وقال آخرون منهم أبو عمرو أخذوه من دَرَأَتِ النجوم، إذا اندفعت، أي اندفعت الشياطين بها.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو(توَقَّدَ)بالتاء وفتح الواو والدال، فعل ماض، وفاعل (تَوقَّدَ) المصباح، ويكون المعنى: المصباح في زجاجة توقِّدُ المصباح، ويجوز أن يكون التوقد للكوكب، لأن الكوكب يوصف كثيرا بالتوقد، لما يعرض فيها من الحركات التي تشبه توقد النيران.

وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم (يُوقدُ) مضمومة الياء والدال ومن قرأ هذا كمن قرأ (توقَّدَ) في أنه جعل فاعل يوقد المصباح أو الكوكب.

وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم (تُوقَدُ) بالتاء ،جعلوا الإيقاد للزجاجة، لأنه جاء في سياق وصفها، وقرب منها، فجعلوا الخبر عنها لقربها منه وبعده من المصباح، فإن قيل كيف

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص ٢٦٠

(2) القسم الأول من الحديث صحيح، والجملة الأخيرة (وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما) ضعيفة أنظر: الألباني، **" ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)"**،مرجع سابق، رقم الحديث ٤٦٥٠، ص ٢٦٦

وصفت الزجاجة بأنها توقد وإنما يكون الاتقاد للنار، قيل لما كان الاتقاد فيها جاز أن يوصف به، لارتفاع اللبس عن وهم السامعين، وعلمهم بالمراد من الكلام، والعرب قد تسند الأفعال كثيرا إلى ما لا فعل له في الحقيقة، إذا كان الفعل يقع فيه، فيقولون ليل نائم، لأن النوم فيه يكون كما قال جل وعز ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ إبراهيم: ١٨ ، فالعصوف للريح، وجعله من صفة اليوم، لكونه فيه، وهذا واضح عند أهل العربية).([1])

٢ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩﴾ الحاقة: ٩، قال الشيخ: (قرأ الجمهور (قَبْلَهُ) بفتح القاف وسكون الباء: أي من تقدمه من القرون الماضية، وقرأ أبو عمرو والكسائي: (ومن قِبَلِه) بكسر القاف وفتح الباء أي ومن عنده من أتباعه).([2])
وهذا هو التوجيه الصحيح في هذه الآية.

٣ – عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ البقرة: ٦١، قال الشيخ: (قرىء: (اهبُطوا) بضم الباء وهو جائز لغة([3])، ويقول ابن جرير الطبري: (اهبطوا مصراً)، بالألف والتنوين، هي القراءة التي لا يجوز غيرها، لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين، واتفاق قراءة القراء على ذلك.
وقد جاء في مصحف ابن مسعود (مصر) بدون تنوين، وهذا لا يعتمد، لأن الصحابة أجمعوا على مصحف عثمان وتركوا ماعداه، والفرق في معنى القراءتين واضح)).([4])
فالشيخ قد وجه القراءة هنا، وذكر الأقوال في المسألة، ومصر جاءت منونة لمناسبة اللغة، فكلمة ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ ، فعل أمرمبني على حذف النون، والواوفاعل، و﴿مِصْرًا﴾، مفعول به، هذا بالتنوين، أما بدون تنوين فتكون ممنوعة من الصرف، وهي قراءة شاذة لعبد الله بن مسعود، كما ذكر الشيخ.
وهذه القراءة رغم كونها شاذة، فهناك من العلماء من وجهها، وفرق بينها وبين الصحيحة، يقول الفراء اللغوي الشهير: (وقوله تعالى : ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ البقرة: ٦١،كتبت بالألف، وأسماء البلدان لا تنصرف خفّت أو ثقلت، وأسماء النساء إذا خفّ منها شيء، انصرف إذا كان على

---

(1) ابن زنجلة: أبوزرعة عبد الرحمان بن محمد، **"حجة القراءات"**، تحقيق، سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٤٩٩ ٥٠١
(2) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص٤٢٨
(3) قراءة شاذة، وليست عشرية.
(4) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٨٩

ثلاثة أحرف وأوسطها ساكن مثل (دعْد وهنْد)، واسماء البلدان لا تكاد تعود، فإن شئت جعلت الألف التي فى (مصرا) ألفاً يوقف عليها، فإذا وصلت لم تنوّن فيها، كما كتبوا (سلاسلا) بالألف، وأكثر القراء على ترك الإجراء فيهما، وإن شئت جعلت (مصر) غير المصر التي تعرف، يريد اهبطوا مصرا من الأمصار، فإن الذي سألتم لا يكون إلا فى القرى والأمصار.

والوجه الأوّل أحبّ إلىّ لأنها فى قراءة عبد الله[1]، (اهبطوا مصر) بغير ألف، وفى قراءة أبىّ[2]: (اهبطوا فإنّ لكم ما سألتم واسكنوا مصر)، وتصديق ذلك أنها فى سورة يوسف بغير ألف: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩﴾ يوسف: ٩٩، وقال الأعمش، وسئل عنها فقال: هى مصر التي عليها صالح بن علىّ [3])).[4]

القراءة الصحيحة (مصراً) بالتنوين، ومعناها أي مصر من الأمصار، بغض النظر عن بلد مصر، وأما القراءة الشاذة (مصر) بدون تنوين فمعناه أدخلوا مصر، البلد المعروف، والله أعلم.

وأنا مع الشيخ والإمام الطبري والفراء، في ترجيح القراءة الصحيحة على هذه القراءة الشاذة.

٤ – عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ۝١٦﴾ الإسراء: ١٦، قال الشيخ : (الحياة لها قوانين لا تخلتف، وسنن لا تتبدل، كما بين الله لنا ذلك، والله لا يأمر بالفسق والفحشاء، ولكن إذا كثر الفساد في مجتمع ما، وطغى كبراؤه بالانغماس في اللذات واتباع الشهوات، ولم يوجد من يضع حدا لهذه الفوضى، ويضرب على أيديهم، نزل بلاء الله بهم، وهلكت القرية، ودمرت بمن فيها .

ويوضح هذا قراءة الحسن البصري: (أَمَّرْنا مترفيها)، بتشديد الميم، وبذلك تكون الصورة واضحة تمام الوضوح، والناس دائما تبع للمترفين من السادة والرؤساء، وقراءة الحسن البصري: (أَمَّرنا) بالتشديد، ليست من القراءات السبع المعتمدة[5])).[6]

نلاحظ أن الشيخ قد استشهد بقراءة الحسن البصري الشاذة، واستعان بها في تفسير معنى الآية، ونبه على أن القراءة ليست معتمدة.

---

(1) قصده عبد الله بن مسعود – رضي الله تعالى عنه، وهي شاذة.

(2) قصده أُبَيِّ بن كعب – رضي الله تعالى عنه ، وهي قراءة شاذة، وليست عشرية.

(3) قصده صالح بن على بن عبد الله بن العباس أوّل من ولى مصر من قبل أبى العباس السفاح سنة ١٣٣هـ.

(4) الفراء، **" معاني القرآن "**، مصدر سابق، ج١ ، ص٤٣

(5) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٦٨٢

(6) ولا من القراءات العشر الصحيحة، وهي قراءة شاذة.

وأخيراً نشير إلى أن الشيخ قد عرّج على القراءات في تفسيره، خصوصاً الصحيحة، وكان يذكر القراءات الشاذة أحياناً، ولكنّه كان ينقصه التوجيه، وقد استعمله في بعض القراءات، كما رأينا في الأمثلة السابقة، وهذا نظراً للشرط الذي اشترطه في مقدمته، كما ذكرنا سابقاً، وكان غايته من التفسير، التيسير قدر الإمكان، والقراءات كماهو معروف - علم قائم بذاته - ويحتاج إلى توجيه، واستشهاد من كلام العرب، واستنباط الأحكام.

المطلب الرابع: المكي والمدني

ينقسم القرآن من حيث نزوله إلى مكي ومدني، وهناك خلاف بين العلماء في تعريف المكي والمدني، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يصدر عنه بيان كافٍ شافٍ في هذا الموضوع، وكذلك الصحابة من بعده.

وللعلماء ثلاثة تعاريف في المكي والمدني:

١ – المكي مانزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها ولو بمكة.

٢ – المكي ما نزل بمكة، والمدني مانزل بالمدينة.

٣ – المكي ماكان الخطاب فيه لأهل مكة، والمدني ما كان الخطاب فيه لأهل المدينة.

ونستنتج من هذه التعاريف، أن الذي قال بالأول، راعى ولاحظ الزمان، والذي قال بالثاني نظر إلى المكان، والذي قال بالثالث نظر إلى الخطاب في الآية.

والراجح من هذه التعاريف والذي عليه أكثر العلماء هو الرأي الأول، يقول الشيخ غزلان: (الذي قال بالرأي الأول كان تقسيمه شاملاً لجميع القرآن).(1)

وعلق الزرقاني على القول الأول قائلاً: (وهو المشهور، وهذا التقسيم كما ترى لوحظ فيه زمن النزول، وهوتقسيم صحيح سليم، لأنه ضابط حاصر، و مُطَّرِد لايختلف بخلاف سابقيه، ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم، وعليه فآية﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ المائدة: ٣ ،مدنية مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع، وكذلك آية ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ النساء: ٥٨ فإنها مدنية مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم، وقل مثل ذلك فيما نزل بأسفاره - عليه الصلاة والسلام - كفاتحة سورة الأنفال وقد نزلت ببدر، فإنها مدنية لا مكية على هذا الاصطلاح المشهور).(2)

والمكي والمدني لا مجال فيه للرأي، وإنما طريق النقل الصحيح عن الصحابة، فهومثل أسباب النزول الذي ذكرناه سابقاً.

و لتحديد المكي والمدني فوائد كثيرة، من بينها تمييز الناسخ والمنسوخ، ومعرفة التدرج في التشريع، وهذه سياسة الإسلام في تربية الأفراد والجماعات، ومن فوائدها أيضاً اليقين بسلامة القرآن من التبديل والتحريف، وهو دليل على محبة المسلمين لهذا الكتاب، إلى درجة معرفة ما

---

(1) غزلان، **" البيان في مباحث من علوم القرآن "**، مرجع سابق، ص ١٢٥.

(2) الزرقاني، **"مناهل العرفان في علوم القرآن"**، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٣.

نزل قبل الهجرة، وما نزل بعدها، وما نزل بالشتاء وما نزل بالصيف، وما نزل بالنهار، وما نزل بالليل، إلى غيرذلك، مما يجعله محفوظاً من العبث و التبديل والتغيير.(١)

والشيخ القطان قد ذكر المكي والمدني بالنسبة للسور، حيث كان يذكر السورة المدنية، ويحدد فيها الآيات المكية، ويذكر السور المكية ويحدد فيها الآيات المدنية، وهذا بالنسبة للسور المختلط فيها المكي والمدني، أما السور المدنية والمكية، فيذكرها مباشرة، وكان يذكر الأدلة والخلاف الواقع في بعض الآيات أحياناً.

وسأضع في آخر المبحث جدولاً للمكي والمدني حسب رأي الشيخ القطان، مثل ما فعل ذميلي مصطفى شطة في رسالته (الأعقم الآنسي ومنهجه في التفسير)، وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة العلوم الإسلامية العالمية.

هذا بالنسبة للسور، أما بالنسبة للآيات فقليلاً ونادراً ما يذكر أن هذه الآية مدنية أو مكية، وكان في الغالب يذكر الآيات المختلف فيها، ويوجه الخلاف بالأدلة، وسأذكر عدة أمثلة على ذلك:

١ – قبل البدء بتفسير السورة يبين هل هي مكية أو مدنية، أو إذا كان معظمها مكياً وبعضها مدنياً، وهوقليل في تفسيره.

٢ – كان يذكر أقوال العلماء في تحديد مكية السورة أو مدنيتها، ثم يرجح ما ثبت له بالأدلة، فمثلاً في سورة الرحمن، قال الشيخ:(سورة الرحمن مكية، آياتها ثمان وسبعون، نزلت بعد سورة الرعد، هذا قول الجمهور، ويقول بعض العلماء إنهامدنية هي وسورة الرعد، والقرطبي يرجح أنها مكية، واختلفت المصاحف، فبعضها يذكر أنها مكية، وبعضها يذكر أنهامدنية، وهي بقصر آياتها، ومعالجتها لأصول العقيدة الإسلامية أقرب لأن تكون مكية).(٢)

وبالرجوع إلى تفسير القرطبي نجد أنه قد ذكر آثاراً واردة في مكية هذه السورة، ولم يذكرها الشيخ، واكتفى بترجيح القرطبي، قال القرطبي: (سورة الرحمن مكية كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس: إلا آية منها هي قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ الرحمن: ٢٩، وهي ست وسبعون آية(٣)، وقال ابن مسعود ومقاتل: هي مدنية كلها، والقول الأول أصح، لما روى عروة بن الزبير قال: أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي -صلى الله عليه وسلم-، ابن مسعود، وذلك أن الصحابة قالوا: ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط، فمن رجل يسمعهم؟ فقال ابن مسعود: أنا،

---

(1) أنظر: الزرقاني، **"مناهل العرفان في علوم القرآن"**، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٣،وانظر: غزلان، **" البيان في مباحث من علوم القرآن "**، مرجع سابق، ص١٢٩

(2) القطان، تيسير التفسير، ٤ج، ص٢٥٠.

(3) هي ثمان وسبعون آية، ولا أعرف هل هذا الخطأ مطبعي؟ أو من الإمام القرطبي – رحمه الله .

فقالوا: إنا نخشى عليك، وإنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه، فأبى، ثم قام عند المقام، فقال بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ ﴾ الرحمن: ١ – ٢، ثم تمادى رافعاً بها صوته، وقريش في أنديتها، فتأملوا وقالوا: ما يقول ابن أم عبد؟ قالوا: هو يقول الذي يزعم محمد أنه أنزل عليه، ثم ضربوه حتى أثروا في وجهه([1])).([2])

نلاحظ أن القرطبي قد ذكر أدلة على أن السورة مكية، وأنا مع الشيخ والقرطبي في مكية السورة، وهو ما تطمئن إليه النفس، لأن السورة من أولها إلى آخرها فيها سمات القرآن المكي، الذي يغلب عليه الحديث المفصل عن الأدلة على وحدانية الله وقدرته وعظم نعمه على خلقه، والمقارنة بين حسن عاقبة الأخيار، وسوء عاقبة الأشرار، إلى غير ها من الأمور التي تميز المكي على المدني.

٣ – ضَعَّفَ الشيخ القطان بسبب المكي والمدني، بعض أسباب النزول، والعكس صحيح، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ ﴾ الحج: ٥٢، قال الشيخ: (وجاء في كثير من التفاسير روايةٌ منسوبة إلى ابن عباس، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تلا على قريش سورةَ النجم، ولما بلغ قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ ﴾ النجم: ١٩ - ٢٠ ، ألقى الشيطانُ في تلاوة الرسول: (تِلك الغرانيقُ العُلى، وإنّ شفاعتَهن لتُرتَجى)، فلمّا سمعتْ قريش ذلك فرِحوا به، ولما سجد الرسول سجد المسلمون والمشركون جميعا بسجوده، فنزلت هذه الآية والآياتُ الثلاث التي بعدها.([3])

وهذه الرواية مكذوبة لا أصل لها، ولم تردْ في كتاب من الكتب الموثوقة، وليس لها سند صحيح، بل إنها من وضع الكذّابين المشككين في الدين.

وقد كذّبها العلماء، قال القاضي عياض في الشفاء: (إن هذا لم يُخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقةٌ بسندٍ سليم متصل).

---

(1) الشيباني: أحمد بن حنبل ، " **فضائل الصحابة** "، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٣ – ١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة – بيروت، ج٢، ص٨٣٨، رقم الحديث: ١٥٣٥

(2) القرطبي،"**الجامع لأحكام القرآن**"، مصدر سابق، ج١٧، ص ١٥١

(3) حديث باطل وموضوع من جهة النقل والمعنى، أنظر: الزيلعي: "**تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**"، مصدر سابق،ج٢، ص ٣٩٤.

وقال أبو بكر البزّار: (هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بإسناد متصل).

وقال الفخر الرازي في تفسيره: (هذه الرواية باطلة موضوعة عند أهل التحقيق).

وقال الإمام أبو بكر البَيْهقي: (هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل) .

وهذه السورة مدنية، فكيف نوفق بينها وبين سورة النجم وهي مكية، ومن أوائل ما نزل بمكة! ولا أعتقد صحة ما يقوله بعض المفسرين من أن هذه الآيات ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥ من سورة الحج مكية، فإنهم قالوا إنها مكية حتى توافقَ هذه الروايةَ الباطلة).(١)

وأنا مع الشيخ في بطلان هذه الرواية.

وكذلك استشهد الشيخ بالمكي والمدني على صحة بعض الرويات الواردة في سبب النزول، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف: ٢٨،قال الشيخ: (احتفظ بصحابتك أيها الرسول، الذين يعبدون الله وحده في الصباح والمساء، يطلبون رضوانه، وهم فقراء الصحابة مثل: عمار بن ياسر، وصهيب، وبلال وغيرهم، فقد روي أن عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس وغيرهم، جاءوا إلى الرسول الكريم، وطلبوا منه أن يبعد هؤلاء الفقراء من الصحابة ليحادثوه ويسلموا، فنزلت، ويقال إن أشراف قريش هم الذين طلبوا ذلك من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأمره الله تعالى أن لا يتخلى عن أصحابه، ولا يلتفت إلى هؤلاء وما عندهم من قوة وجاه ورجال، فالله أكبر من كل ما عندهم، وهذا الأصح لأن السورة مكية).(٢)

٤– كان يذكر أحياناً الحكمة من جعل الآيات المكية مع الآيات المدنية في السورة، والعكس صحيح، ففي السور المكية، قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ الأعراف: ١٧١، (هذه الآية، مدنية نزلت في المدينة، وقد ضمت إلى هذه السورة المكية في هذا الموضع، تكملة للحديث عما ورد فيها من قصة بني إسرائيل).(٣)

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص١٩٢ – ١٩٣.
(2) المرجع السابق، ج٣، ص١٩.
(3) المرجع السابق، ج٢، ص ٢١٤.

وفي السور المدنية، قال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ المائدة: ٦٧، (يا أيها الرسول، بلّغ الناس جميعاً بكل ما أوحي الله إليك، ولا تخشَ في ذلك أحداً ولا تخفْ مكروهاً، فإن لم تقم بالتبليغ تكن قد خالفت أمر ربك، وإن الله يحفظك من مكائد الناس، ويمنعك من أذاهم وفتكهم .

وهذه الآية مكيَّة نزلت في مكة، ولكنها وضعت في السورة المدنية لحكمة دوام التبليغ، فقد روى الترمذي وأبو الشيخ والحاكم وأبو نعيم والبيهقي عن عدد من الصحابة: (إن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - كان يُحرَس في مكة قبل نزول هذه الآية، وكان العبّاس ممن يحرسه، فلمّا نزلت ترك رسول الله الحرس).(1)

(وروى أن أبا طالب كان يبعث مع رسول الله من يحرسه إذا خرج حتى نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ المائدة: ٦٧ فذهب ليبعث معه، فقال الرسول: يا عم، أن الله حفظني، لا حاجةَ لي إلى من تبعث(2))).(3)

٥ – الاستشهاد بالمكي والمدني في إثبات حقائق تاريخية، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ ﴾ الفيل: ٣ – ٤، قال الشيخ: (وقد فسر بعض العلماء أن الطير الأبابيل هو وباء الجدري والحصبة، وما أشبه ذلك، وهذا غير وارد، فلقد نزلت هذه السورة في مكة، وكان كثير من رجالات قريش ممن شهدوا الحادث لا يزالون أحياء عند نزول هذه السورة ولم يعترضوا عليها، فهي من خوارق العادات والمعجزات، المتقدمة بين يدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام).(4)

٦ – الاستفادة من المكي والمدني في الوقوف على التدرج في التشريع، وملائمة الطبيعة البشرية، وهذا ما نجده في تحريم الخمر، قال الشيخ: (وأول ما ذكرت الخمر في سورة النحل، وهي مكية، في قوله تعالى : ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

---

(1) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه عطية العوفي وهو ضعيف، أنظر: الهيثمي: أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان،**" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد "**، المحقق: حسام الدين القدسي، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ج٧، ص١٧

(2) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص٥٠٥.

(3) رواه الطبراني، وفيه النضر بن عبد الرحمن وهو ضعيف، أنظر: الهيثمي،**" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد "**، مصدر سابق، ج٧، ص١٧

(4) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ٦٣٠.

لَأٓيَةً لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ النحل: ٦٧، ثم نزل في المدينة وفي سورة البقرة: ﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ ﴾ البقرة: ٢١٩ ، فالمنافع في الربح والتجارة، والإثم في الشر والمفاسد التي تنجم عنهما، وقد تركها بعض الصحابة، واستمر آخرون.

ثم نزل قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ النساء: ٤٣ ،كذلك تركها البعض واستمر عليها آخرون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دائما يقول: اللهم بين لنا في الخمر، وقد حدثت حوادث بين بعض الأنصار ونفر من قريش، وهم على الشراب، وكان من جملة الذين لحقهم أذى سعد ابن أبي وقاص حيث ضربه أحد الأنصار ففزر له أنفه، وحين نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ المائدة: ٩٠ ، كانت الحاسمة في تحريم الخمر تحريما قاطعا([1])).([2])

٧ – رد الشيخ القطان على بعض العلماء في تحديد المكي والمدني حسب رأيه في الآية، وهذا الرد نجده في سورتي الأنفال والعنكبوت المختلف فيهما، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنفال: ٣٦، قال الشيخ: (قال بعض العلماء إن الآيات من رقم ٣٠ إلى ٣٦ مكية، وذلك لأنها تتحدث عن الهجرة وما كان يجري بمكة من أفعال مشركي قريش، وهذا وهمٌ غير صحيح، إذ أن سورة الأنفال كلها مدنية، أما ما جاء في هذه الآيات فهو لتسلية الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم -، وللعبرة والذكرى).([3])

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٥٢٤.

(2) حديث غريب، والشيخ قد جاء به بالمعنى فقط، أنظر: الزيلعي: **"تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"**، مصدر سابق،ج١، ص ١٣١.

(3) القطان، تيسير التفسير، ج٢،ص٢٥٤.

وفي تفسيرة للآية: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ العنكبوت: ٦، قال الشيخ: (لقد ظن بعض المفسرين أن هذه الآية مدنية لأن فيها ﴿ وَمَن جَٰهَدَ ﴾ العنكبوت: ٦، والصواب أن الآية مكية والمراد هنا بالجهاد جهاد النفس والصبر على الأذى).(1)

٨ – الاستدلال على تشريع الأحكام بالمكي والمدني، وهذا ما نراه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾ فصلت: ٧،قال الشيخ: (وينكرون البعث والجزاء ، ونرى أن منع الزكاة مقرون بالكفر لأن أحب شيء إلى الإنسان هو المال، وهو شقيق الروح، ولذلك شدد الله تعالى في هذا الموضوع، وأمر بالبذل والعطاء، والزكاة كانت معروفة قبل الهجرة، وهذه الآية مكية، ولم تكن محددة، وإنما فرضت وحددت في المدينة في السنة الثانية من الهجرة).(2)

٩ – الرد على العلماء فيما يراه يخالف الصواب، في الترجيح بين الآيات المكية والمدنية، مثل قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ الإسراء: ٧٧، قال الشيخ: (وهكذا مضت سنتنا مع الرسل الذين أرسلناهم قبلك، و أهلكنا أقوامهم الذين أخرجوهم، إن سنتنا في هذه الحياة لا تتبدل، وقد أُخرج الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة، ولم يمض على إخراجه سنة ونصف حتى كانت وقعة بدر، وقتل فيها صناديد قريش وأهلكهم الله.

وبعض المفسرين يقولون إن هذه الآية مدنية، واليهود هم الذين ضايقوه وهمَّ بترك المدينة، ولكن هذا بعيد).(3)

١٠ – كان يستعين بالآيات المدنية في تفسير الآيات المكية، وتقريب معناها، لأن الآيات المكية سابقة على الآيات المدنية في النزول، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ النجم: ٣٢، قال الشيخ: (يعني أن المحسنين هم الذين يبتعدون عن كبائر المعاصي والفواحش، فإذا وقعوا في معصية وتابوا ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾

---

(1) القطان، تيسير التفيسر، ج٣، ص ٣٩٠.

(2) المرجع السابق، ج٤، ص٣٨.

(3) المرجع السابق، ج٢، ص ٧٠٥.

النجم: ٣٢ يغفر كل ذنب كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣ وعلى هذا يكون اللمم هو الإتيان بالمعصية (من أي نوع) ثم التوبة عنها.

ولذلك ختم الآية بأن هذا الجزاء، بالسوء أو الحسنى، مستندٌ إلى علم الله بحقيقة دخائل الناس فقال تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ النجم: ٣٢ فهو أعلم بأحوالكم، وعنده الميزان الدقيق، وجزاؤه العدل، وإليه المرجع والمآل.

ويرى كثير من المفسرين أن الآية تعني أن الذي يجتنب الكبائر يكفر الله عنه الصغائر، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ النساء: ٣١ ، وهذه الآية مدنية، وعلى كل حال فالله تعالى واسع المغفرة، رؤوف بعباده حليم كريم).[١]

والذي ذكره الشيخ القطان في تحديد السور المكية والمدنية، والمستثنى منها، كان دقيقاً نوعاً ما، وكان يذكر القول الراجح في السورة، ولا يذكر الروايات المخالفة، لأن هذه الروايات في معظمها باطلة وغير دقيقة، وموجودة في كتب التفسير القديمة، وقد رد عليها العلماء في كتبهم، خصوصاً الدكتور فضل عباس في كتابه (إتقان البرهان).[٢]

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص٢٣٣.

(2) أنظر: عباس: فضل حسن، **"إتقان البرهان في علوم القرآن"** دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ٣٩٦ ــ ٤٠٥

جداول توضيحية للمكي والمدني حسب رأي الشيخ القطان:

الجدول (١): المدني الخالص

البقرة	آل عمران	الأنفال	الفتح	الصف	النصر	الحج
الحديد	النساء	النور	الحجرات	الطلاق	التوبة	محمد
المجادلة	المائدة	الأحزاب	الحشر	التحريم	الزلزلة	الإنسان
الممتحنة	الجمعة	المنافقون	التغابن			

الجدول (٢): المكي الخالص

الفاتحة	الحجر	طه	المؤمنون	الروم	الصافات	الشعراء	البلد	المرسلات
الأنعام	العلق	الأنبياء	النحل	السجدة	ص	النمل	العلق	المدثر
يوسف	مريم	الحج	العنكبوت	فاطر	فصلت	القصص	العصر	الدخان
الجاثية	الداريات	الطور	العلق	الملك	الحاقة	لقمان	الماعون	الأحقاف
المعارج	نوح	الجن	المزمل	القيامة	النبأ	سبأ	الكوثر	ق
النازعات	عبس	التكوير	الانفطار	الانشقاق	البروج	يس	الكافرون	النجم
الطارق	الأعلى	الغاشية	الشمس	الليل	الضحى	الزمر	الفلق	القمر
الشرح	التين	القدر	البينة	العاديات	القارعة	غافر	الناس	الرحمان
التكاثر	الهمزة	الفيل	الرعد	المسد	الإخلاص	الشورى	الفجر	الواقعة
قريش	يونس	هود	إبراهيم	الفرقان	الزخرف	المطففين	القلم	

الجدول(٣): المكي و بعضه مدني

الأعراف	ثماني آيات من الآية: ١٦٣ إلى الآية:١٧١
النحل	غير ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ﴾ النحل: ١٢٦
الإسراء	إلا ثماني آيات أو إثنتي عشر آية

المطلب الخامس: القصص القرآني

لقد ذكر القرآن الكريم عدة قصص، مرتبطة بالأمم السابقة والأنبياء، من آدم إلى النبي عيسى- عليهم السلام - وكان الغرض الأول والأخير من هذه القصص العبرة والاتعاظ، وليس مجرد الإخبار، حيث قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ يوسف: ١١١، وانطلاقاً من هذه الآية الكريمة، ينبغي للمسلم أن يتدبر هذه القصص الكثيرة، ويأخذ منها العبرة، ويتعظ بها، ولأهميتها فقد أفردها العلماء بالتأليف والتدريس منذ القدم.

كذلك جاءت هذه القصص لتثبيت قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - لما كان يتعرض له من الأذى من قومه، حيث قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هود: ١٢٠، وكأن الله سبحانه وتعالى، يخبره ويقص عليه، بأن الأنبياء السابقين قد تعرضوا للأذى وصبروا، وكانت نهايتهم النصر على أقوامهم، وإعلان كلمة الله، وهو ما حصل فعلاً للرسول - صلى الله عليه وسلم - بأن نصره الله على قومة، ودخل قومه وغيرهم أفواجاً في الإسلام، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ ﴾ النصر: ١-٢.

وتعتبر هذه القصص دليلاً على أن القرآن ليس من عند الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وإنما هو كلام الله، ووحي يوحى، وقصة أهل الكهف خير شاهد على هذا، وغيرها كثير.

وقد تعرض الشيخ للقصص القرآني في تفسيره، ولكن بطريقة مختصرة بعيدة عن الإطناب والحشو، ودون الخوض في تفاصيل القصة، وإيراد الروايات الإسرائيلية الموجودة في كتب التفسير القديمة، بل يحاول ذكر الغرض، والزبدة من القصة فقط، وكان كثيراً ما يتوقف عند بعض القصص، ولا يتعدى النظم القرآني.

وسأذكر أمثلة من تفسيره لتوضيح منهجه في القصص القرآني وما يتعلق به.

١ – الوقوف عند ظاهر القصة، وعدم البحث في المبهمات التي لم يذكرها القرآن ولا السنة، وهذا مانجده عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾البقرة: ١٠٢، قال الشيخ بعد تفسيره للقصة: (أما من هما الملكان: هاروت وماروت؟ وهل هما رجلان حقيقة؟ فلا يوجد خبر صحيح يثبت شخصيتهما أو حقيقة جنسهما([1])، وإنما كانت قصتهما

(1) القرآن صريح في أنهما ملكان وليس رجلين، والإبهام ليس في جنسهما، بل في تفاصيل قصتهما.

معروفة مشهورة، ووردت في القرآن إشارات مجملة عنها، ولسنا مكلفين بالاستقصاء عنهما، والأفضل عدم البحث في ذلك).([1])

٢ – كان يذكر أقوال بعض العلماء والمفسرين الواردة في القصص القرآني بدون دليل ويرجحها أحياناً، ويرد عليهم فيما يراه غير مناسب في نظره، وهذا ما نجده في تفسيره لقوله تعالى في قصةآدم: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ البقرة: ٣٥، قال الشيخ: (والجنة المرادة هنا أمر اختلف فيه المفسرون، فقال بعضهم إنها جنة الخلد، أي دار الثواب التي أعدها الله للمؤمنين يوم القيامة، قال ابن تيمية (وهذا قول أهل السنة والجماعة، ومن قال غير ذلك فهو من الملحدة)، ولا أدري كيف يجرؤ غفر الله له على هذا القول، ويجعل من قال به ملحداً، وعلى رأس القائلين بذلك إمامان جليلان هما أبو حنيفة والماتريدي، وكثيرون غيرهم.([2])

وقال كثيرون إن تلك الجنة بستان في الأرض، وليست هي جنة الخلد، وعلى هذا جرى أبو حنيفة وتبعه أبو منصور الماتريدي في تفسيره حيث قال: (نحن نعتقد أن هذه الجنة بستان من البساتين، كان آدم وزوجته منعمين فيها، وليس علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها).

وقال الآلوسي في تفسيره: روح المعاني، ومما يؤيد هذا الرأي:

١ - أن الله خلق آدم في الارض ليكون خليفة فيها هو وذريته.

٢ - أنه تعالى لم يذكر أنه بعد خلق آدم في الأرض عرج به إلى السماء، ولو حصل لذكر، لأنه أمر عظيم.

٣ - أن الجنة الموعود بها لا يدخلها إلا المتقون المؤمنون، فكيف دخلها الشيطان الكافر للوسوسة!

٤ - أنها دار للنعيم والراحة، لا دار تكليف، وقد كلف آدم وزوجه ألا يأكلا من الشجرة.

٥ - أنه لا يمنع من في الجنة من التمتع بما يريد منها.

٦ - أنه لا يقع فيها العصيان والمخالفة لأنها دار طهر، لا دار رجس.

وعلى الجملة، فالأوصاف التي وصفت بها الجنة الموعود بها لا تنطبق على هذه الجنة التي سكنها آدم وطرد منها.

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ١٠٨.

(2) نلاحظ أن الشيخ، ينتقد الإمام ابن تيمية، وقد قال هذا القول – رحمه الله – في فتاواه عندما سئل: هل كانت الجنة التي سكنها جنة الخلد الموجودة ؟ أم جنة في الأرض خلقها الله له؟ ولما أهبط، هل أهبط من السماء إلى الأرض؟ أم من أرض إلى أرض مثل بني إسرائيل؟ فكان رده بهذا القول، أنظر: ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني **" مجموع الفتاوى "**، تحقيق: أنور الباز عامر الجزار، الطبعة:الثالثة ، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م دار الوفاء، المملكة العربية السعودية، ج٤، ص٣٤٧

أما الشجرة التي نُهِيَّ آدم وزوجته أن يأكلا منها فلم يبين الله في كتابه نوعها، ولم يرد في السنة الصحيحة تعيينها، فلا نستطيع أن نعينها من تلقاء أنفسنا بلا دليل قاطع).(١)

نلاحظ أن الشيخ قد رد على ابن تيمية وأيد الآلوسي، وذكر رأيه في الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام، والشجرة التي نهي عن الأكل منها، ولم يذكرها القرآن، ولو كان تعيين الشجرة مهماً لذكره القرآن أو السنة، وهذا القول من الشيخ حسن، أما بالنسبة للجنة، فلست معه فيما ذهب إليه، من أنها جنة على الأرض، والراجح أنها جنة الخلد، وما جرى لآدم فيها، أمر خاص به، والله أعلم.

وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ طه: ٨٥،

قال الشيخ:(وتكلم المفسرون في السامري كلاما طويلا، عن أصله، واسمه وهل هو من بني إسرائيل أو هو قبطي ؟ وهذا كلّه كلام طويل لا طائل تحته، والسامري يهودي من بني إسرائيل دجال).(٢)

٣ – بيان أن من أهم أغراض القصة تقوية قلب النبي - صلى الله عليه وسلم -وتثبيته، وأخذ العبرة منها، وهذا ما نجده في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هود: ١٢٠، قال الشيخ: (إننا نقص عليك أيها النبي كل نبأ من أنباء الرسل المتقدمين مع أممهم، كما نقوي قلبك على تحمل أعباء الرسالة، وقد جاءك في هذه الأنباء بيان الحق الذي تدعو إليه، مثلما دعا إليه السابقون من الرسل، وفيها موعظة وذكرى وعبرة ينتفع بها المؤمنون).(٣)

وكذلك عند تفسيره لقصة قارون في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ القصص: ٧٦،قال الشيخ: (كان قارون من قوم موسى، ويقول بعض المفسرين إنه تكبر على قومه غروراً بنفسه وماله، حيث أعطاه الله من الأموال قدراً كبيراً، بلغت مفاتيح خزائنها من الكثرة بحيث يثقل حملها على الجماعة الأقوياء من الرجال، وحين اغتر وكفر بنعمة الله عليه

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٧٢.
(2) المرجع السابق، ج٣، ص ١٠٦.
(3) المرجع السابق، ج٢، ص ٤٨٨.

نصحه قومه قائلين: لا تغتر بمالك، ولا يفتنك الفرح به عن شكر الله، إن الله لا يرض عن المغرورين المفتونين.

وقد أورد القرآن هذه القصة حتى يعتبر قوم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، إذ أنهم اغتروا بأموالهم([1])، فبين لهم أن أموالهم بجانب مال قارون ليست شيئا مذكورا).([2])

وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ يوسف: ١١١، قال الشيخ: (يتناول القرآن الكريم قصص الأنبياء والمرسلين، ويذكر طرفا من أخبارهم ومعجزاتهم، وليس الغرض من هذا القصص التأريخ ولا استقراء الوقائع، وإنما الغرض منه الهداية والعبرة والعظة).([3])

٤ – رده للروايات الإسرائيلية الواردة في كتب التفسير القديمة، وعدم الخوض فيها، وهذا ما نجده في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ص: ٣٤،قال الشيخ: (لقد امتحنا سليمان فابتليناه بمرض شديد فألقيناه جسدا على كرسيه لا يستطيع تدبير الأمور([4])، فتنبه إلى هذا الامتحان، فرجع إلى الله تعالى، وتاب ثم أناب، ودعا ربه بقوله ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ ص: ٣٥، إنك أنت كثير العطاء.

وهنا عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ص: ٣٤ تكلم المفسرون كلاماً كثيراً وكله من الإسرائيليات لا صحة له، فأعرضنا عنه).([5])

وأنا مع الشيخ في إنكاره للروايات الإسرائيلية، و الأمر كما قال في فتنة سليمان، فالذي يرجع إلى كتب التفسير القديمة يجد عدة قصص، أغلبها من الإسرائيليات، ولكن التفسير الذي ذهب إليه الشيخ مخالف تماماً لسياق الآية، وللشيخ الشنقيطي كلام سديد في هذه المسألة ولأهميته سأنقله هنا، قال الشيخ الشنقيطي في فتنة سليمان: (فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة - وفي رواية تسعين امرأة-، وفي رواية

---

(1) متى اغتر المسلمون في مكة بأموالهم؟ وقد كانوا فيها فقراء!

(2) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص٣٨١

(3) المرجع السابق، ج٢، ص٥٢٧

(4) فالله سبحانه وتعالى ألقى على كرسيه جسداً، ولم يقل: ألقيناه على كرسيه جسدا، فكلام الشيخ رحمه الله غيرسليم في تفسير هذه الآية.

(5) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص٦٠٣.

- مائة امرأة - تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله)، فقيل له – (قل إن شاء الله) فلم يقل، فطاف بهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته)، وفي رواية: (ولقاتلوا في سبيل الله فرسانا أجمعون).([1])

فإذا علمت هذا، فاعلم أن هذا الحديث الصحيح، يبين معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ص: ٣٤ ، وأن فتنة سليمان كانت بسبب تركه قوله (إن شاء الله)، وأنه لم يلد من تلك النساء إلا واحدة نصف إنسان، وأن ذلك الجسد الذي هو نصف إنسان هو الذي ألقي على كرسيه بعد موته في قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ص: ٣٤ ، فما يذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ص: ٣٤ ، من قصة الشيطان الذي أخذ الخاتم وجلس على كرسي سليمان، وطرد سليمان عن ملكه؛ حتى وجد الخاتم في بطن السمكة التي أعطاها له من كان يعمل عنده بأجر مطرودا عن ملكه، إلى آخر القصة، لا يخفى أنه باطل لا أصل له، وأنه لا يليق بمقام النبوة، فهي من الإسرائيليات التي لا يخفى أنها باطلة.

والظاهر في معنى الآية هو ما ذكرنا، وقد دلت عليه السنة الصحيحة، واختاره بعض المحققين، والعلم عند الله تعالى).([2])

وأنا مع الشيخ الشنقيطي فيما ذهب إليه، لأن هذه الرواية صحيحة، وموجودة في صحيح البخاري ومسلم، وهي أحسن من الروايات الإسرئيلية في فتنة سليمان، وقد حدث للنبي سليمان - عليه السلام - مثل ما حدث للرسول- صلى الله عليه وسلم - عندما سأله كفار قريش عن: أهل الكهف، والروح، وذو القرنين، فقال: غداً أُجيبكم، ولم يقل إن شاء الله، فتأخر عنه الوحي بسببها، والله أعلم.

وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ

---

(1) رواه البخاري ومسلم، أنظر: الزيلعي: **"تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"**، مصدر سابق،ج٣، ص١٩١

(2) الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، **"أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"** ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، طبعة ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م، بيروت – لبنان، ج٣، ص٢٥٤

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٩، قال الشيخ بعد تفسير الآية: (وهناك بعض الروايات المأخوذة من الإسرائيليات تنسب هذه القصة لآدم وحواء وهذا خلط وتخريف).([1])

٥ – رده لبعض الخرافات التي تقال عن بعض القصص، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ الكهف: ٦٥، قال الشيخ: (وهذا العبد الصالح اختلف العلماء فيه، هل هو الخضر([2])، كما هو شائع بين أكثر المفسرين، أو هو رجل آخر، وهل هو نبي، أو ملك من الملائكة، أو ولي؟ وهذا قول كثير من العلماء، واختلف فيه: هل هو لا يزال حيا إلى اليوم أو أنه مات؟ فقد أنكر البخاري أن يكون حيا، وعلماء السنة يقولون إنه ميت بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾الأنبياء: ٣٤،وبذلك جزم ابن المناوي وإبراهيم الحربي وأبو طاهر العبادي، وأبو يعلى الحنبلي، وأبو الفضل بن تامر، والقاضي أبو بكر بن العربي، وأبو بكر بن النقاش، وابن الجوزي، قال أبو الحسين بن المناوي: بحثت عن الخضر، وهل هو باق أم لا؟ فإذا أكثر المغفلين مغترون بأنه باق، والأحاديث الواردة واهية، والسند إلى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم.

ويقول الصوفيون إنه حي، وإن بعضهم لقيه، وهذا كلام ليس عليه دليل، ويناقض نصوص القرآن، وبما أنه لم يرد نص معتمد في القرآن أو الحديث فإننا نكتفي بالعبرة من القصة، ولا يهمنا معرفة الأسماء والأشخاص.

وقد كتب الحافظ ابن حجر في (الاصابة) بحثاً طويلاً في نحو عشرين صفحة، قال فيه: وقد جمعت من أخباره ما انتهى إليّ علمه، مع بيان ما يصح من ذلك وما لا يصح).([3])

وأنا مع الشيخ فيما ذهب إليه من وفاة الخضر قبل النبي – صلى الله عليه وسلم- ولوكان الخضر موجوداً، لكان التقى مع الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - أو الصحابة رضوان الله عليهم.

٦ – رفضه وجود تكرار للقصة في القرآن الكريم، فعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ الحجر: ٢٨،قال الشيخ: (وقد عرضت هذه القصة في سورة البقرة، وفي سورة الأعراف، وفي كل مرة لها عرض مخلتف، وجو

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٢٢٧.

(2) هو الخضر، بدليل حديث البخاري، أنظر: البخاري، **"الجامع الصحيح"**، مصدر سابق، ج٤، ص١٥٤، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، حديث رقم٣٤٠٠

(3) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص٣٤.

خاص، يلائم السياق ويتمشى مع الغرض المطلوب، وهنا يركز سبحانه على سر التكوين في آدم، وسر الهدى والضلال، وعواملهما الأصلية في كيان الانسان).([1])

٧ – يقارن أحياناً بين القصة الموجودة في القرآن و القصة نفسها في الكتب المقدسة، ويبيّن تحريفها، ويردها بالقرآن، وهذا النوع من التفسير جديد، وكأنّ الشيخ متأثر بالشيخ محمد رشيد رضا، فقد استعمله كثيراً في تفسيره (المنار)، خصوصاً في القصص المشتركة بين القرآن والإنجيل والتوراة، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾ الأعراف: ١٥٠ - ١٥١ ، قال الشيخ:

(قال موسى: رب اغفر لي ما صنعت بأخي، واغفر لأخي إن كان قصّر، وأدخلنا جميعاً في رحمتك، التي وسعت كل شيء، فأنت أرحم الراحمين، بل وأرحم بنا منا على أنفسنا، والآية صريحة في براءة هارون من جريمة اتخاذ العجل، في القرآن الكريم، أما التوراة ففيها أن هارون هو الذي صنعه، وهذا أحد مواضع التحريف الذي جرى فيها، كما نص عليه القرآن الكريم).([2])

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٥٩٩.

(2) المرجع السابق، ج٢، ص ٢٠٦.

المبحث الثالث: الاتجاهات التفسيرية في تفسير الشيخ القطان

المطلب الأول: الاتجاه اللغوي

المطلب الثاني: الاتجاه الفقهي

المطلب الثالث: الاتجاه العقدي

المطلب الرابع: الاتجاه العلمي

المطلب الخامس: تنزيل آيات القرآن على الواقع المعاصر

المطلب السادس: أخذه من الكتب المقدسة

المبحث الثالث:

الاتجاهات التفسيرية في تفسير الشيخ القطان

يطلق الرأي على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس، ومنه: أصحاب الرأي: أي أصحاب القياس، والمراد بالرأي هنا الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي هو الذي يعتمد فيه المفسر على مدى فهمه من الآيات القرآنية، واستنباط المعاني منها، ويكون على معرفة بكلام العرب ومناحيهم في القول، والألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر.(١)

والتفسير بالرأي نوعان: محمود ومذموم؛ فالرأي المحمود هوالذي يستند إلى اللغة والسياق والمأثور، والرأي المذموم لا يستند إلى شيء من هذه الأسس؛ بل يعتمد على الهوى الناشئ من جهل أو نحلة باطلة.(٢)

ولا أنوي الدخول في الخلاف الموجود بين العلماء في مسألة التفسير بالرأي، لأن الكلام يطول، ونكتفي بهذا القدر.

إن تفسير الشيخ القطان من التفاسير المعاصرة، والمتأثرة بمدرسة الشيخ محمد عبده، وأثرها في التفسير، فإنه لم يتعرض في تفسيره، إلى التوسع والمناقشة، وإبداء رأيه في القضايا اللغوية والفقهية، وغيرها من الأمور التي تحتاج إلى إبداء الرأي والتوسع، فكثيراً ما كان يتعرض إلى تفسير موجز للكلمات الصعبة في الآيات، وتفسيرها تفسيراً موجزاً، وبدون ذكر المصادر التي رجع إليها، والوقوف عند ظاهر النص، وعدم الرجوع إلى كلام المفسرين والفقهاء في المسائل المختلفة التي اهتم بها العلماء، وأعدوا لها مباحث خاصة بها في التوسع والبحث، كآيات الأحكام، وغيرها من الأمور التي ذكرها القرآن، إلا أنني بعد مراجعتي لتفسيره، وجدته قد ذكر بعض المسائل، وشرحها شرحاً موجزاً، مراعياً سهولة العبارة ويسرها، وتقريب المعنى من القاريء، دون الخوض في الجدل والخلافات التي لا تهم القاريء، وليست ضرورية في التفسير، وسأذكر بعض الموضوعات التي تعرض لها الشيخ، وأطال النفس فيها، وكيف كانت طريقته في هذا النوع من التفسير، أما المباحث التي لم يهتم بها الشيخ، فلا أتعرض لها، ولا أذكرها، ولا أخصص لها مباحث خاصة بها.

---

(1) أنظر: الذهبي،**"التفسير والمفسرون"**،مرجع سابق، ص ٢٦٥

(2) عباس فضل،**"التفسير أساسياته واتجاهاته"**، مرجع سابق، ص ١٩٦

المطلب الأول: الاتجاه اللغوي

تعتبر اللغة من أهم الاساسيات للمفسر في تفسير القرآن،لأنه نزل بلسان عربي، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾ يوسف: ٢، وقال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ١١٣ ﴾ طه: ١١٣، وقال تعالى:﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ١٢ ﴾ الأحقاف: ١٢،ويعتبر قمة في البلاغة والفصاحة، وقد أعجز العرب والإنس والجن، وتحداهم على أن يأتوا بشيء من مثله، قال تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨ ﴾ الإسراء: ٨٨، وكل من أراد فهم وتدبر القرآن وتفسيره، لابد له من العلم والمعرفة بالعلوم اللغوية المختلفة، كالنحو والبلاغة وفنون اللغة، وبدونها لا يستطيع المفسر معرفة دقائق النظم الشريف، وقد اهتم العلماء بلغة العرب، منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعين من بعدهم، إلى يومنا هذا، فحفظوا دواوين شعرائهم، وألموا بخطبهم وحكمهم وأمثالهم، خدمة للقرآن الكريم، وقد عدها العلماء من شروط المفسر.

والشيخ كعادته، وكشرطه في مقدمة تفسيره، لم يتوسع في المباحث اللغوية مثل التفاسير القديمة، وإنما كان يتعرض إلى كلام العرب وشعرهم في شرحه بعض المفردات الصعبة، وذكر من أوجه البلاغة الكناية فقط، اما الأوجه المختلفة لها كالاستعارة والبيان والبديع فإنه لم يتعرض له، والمسائل النحوية، لم يذكرها إلا في معرض حديثه عن أوجه القراءات، وأحياناً فقط، وذلك عندما تختلف القراءات من ناحية اللغة، وبالتالي يتغير معناها، فيشير الشيخ إلى هذا الاختلاف، وكان قليلاً ما يذكر المصادر التي رجع لها.

ولأهمية هذا المطلب، سأذكر أمثلة متنوعة من تفسيره، وسنرى كيف استعان باللغة ووظفها في التفسير.

١ – عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ ﴾ الحديد: ٢٠، قال الشيخ: (متاع الغرور: المتاع كل ما يُنتفع به ويتمتع به، الغرور: الخداع والغفلة وكل زخرف باطل، وما حياتنا هذه التي نتمتع بلذاتها، من مأكل ومشرب أو جاه ومنصب وسيادة، إلا متاع الغرور،

لأنها تخدع صاحبها، وتشغله كل حين، بجلْبِ لذاتها ورفع آلامها، ومهما عاش الانسان وجمع من مالٍ أو حصل على منصب فانه مفارق هذا كله في نهاية الأمر، وما الحياة الدنيا الا كما قال الشاعر:(١)

فَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَانَتَهُ   وَلَا انْتَهَى أَرَبٌ إِلَّا إِلَى أَرَبِ)(٢)

نلاحظ أن الشيخ قد استشهد بكلام الشاعر على شرح وتوضيح معنى الآية القرآنية.

٢ – عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ الصافات: ٤٨ – ٤٩،قال الشيخ: (ولديهم زوجاتٌ عفيفات لا ينظرن الى غير أزواجهن، وهن في غاية الجمال، بيضٌ كأنهن البيض النقيّ المصون، والعرب يشبّهون النساء البيض الخُود باللؤلؤ، قال الشاعر: وبيضةِ خودٍ لا يرام خباؤها(٣)

وقال الشاعر:

وهي بيضاء مثل لؤلؤة الغوّا   ص ميزت من جوهرٍ مكنون(٤)).(٥)

نلاحظ أن القرآن جاء موافقاً لكلام العرب، وقد فسر الشيخ الآية، ونبه على هذا في استشهاده بهذه الأبيات الشعرية التي توضح معنى (البيض المكنون)، مع العلم أن الآية فيها صورة بلاغية كما هو واضح، لم يذكرها الشيخ، و هي التشبيه المرسل، حيث شبه بياض النساء ببياض البيض.

٣ – عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤، قال الشيخ: (وإبليس: أشهر اسم للشيطان الأكبر، وقد تقدم أن

---

(1) هذا البيت ذكره محمد رشيد رضا مرتين في المنار، ولم ينسبه إلى أحد، وكذلك الشيخ أحمد المراغي، والبيت لشاعر قديم لأن الغزالي ذكره ايضاً في إحياء علوم الدين، ولم ينسبه لأحد، وقد رجعت لكتب اللغة والآداب ودواوين الشعر، ولم أقف له على قائل.

(2) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ٢٨٦

(3) هذا صدر بيت من معلقة الشاعر الجاهلي امرؤ القيس التي مطلعها: قفا نبك، والبيت في الغزل الصريح، ووصف محاسن المرأة، والبيت نقله الشيخ وفيه خطأ في (خدر) لأن البيت في ديوانه:

وَبَيْضَةِ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤُهَا   تَمَتَّعْتُ من لَهْوٍ بها غيرَ مُعْجَلِ

أنظر: ديوان المصطاوي: عبد الرحمن ، **" ديوان امرؤ القيس بن حجر "**، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠م، دار المعرفة – بيروت، ص ١٥

(4) هذا البيت نقله الشيخ من التفاسير القديمة، فذكره الإمام الطبري وابن كثير والقرطبي وغيرهم في تفاسيرهم ، ولكن عبارتهم تختلف عن عبارة الشيخ:

وَهْيَ زَهْرَاء مثْلَ لؤلؤة الغوّ   اص مُيِّزَتْ مِن جوهر مكْنُون

وهو من شواهد ابي عبيدة في مجاز القرآن، ولم يصرح باسم القائل، ويقول عنه المحقق: من الأبيات المختلف فى عزوها قديما وكانوا يرونها تارة لأبى دهبل وتارة أخرى لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت فى خبر مع ابنة معاوية يطول ذكره انظره فى الأغانى، أنظر : أبو عبيدة: معمر بن المثنى ، **" مجاز القرآن "**، تحقيق: محمد فواد سزگين، طبعة ١٣٨١ه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٢، ص ١٧٠

(5) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص ٥٧٩

الشيطانَ كل عاتٍ ومتمرد من الجن والإنس والدواب(وكل شيء[1]))، وهذه الأسماء تمثل قوةَ الشر الكبرى في العالم في وقوفها أمام عوامل الخير والكمال.

والشيطان كلمةٌ عربية أصيلة، لأن اللغة اشتملت على كل أصل يمكن أن يتفرع منه لفظ الشيطان، ففيها مادة شط وشاط وشطَنَ وشَوَط، وكل هذه الألفاظ تدل على البُعد والضلال والتلهُّب و الاحتراق، وهي تستوعب أصول المعاني التي تُفهم من كلمة شيطان[2]، وقد كان العرب يسمّون الثعبان الكبير شيطاناً، وبذلك فسّر بعض المفسّرين قوله تعالى:﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ الصافات: ٦٥، أي الأفاعي[3]، وورد كثيراً في الشعر العربي.

ويرى بعضهم أن (إبليس) مأخوذ من الإبلاس، ومعناه النَّدم والحُزن واليأس من الخير، فيما يقول بعضهم إنه أعجمي، لكنه على كل حال يدل على الفتنة والفساد[4])).[5]

نلاحظ أن الشيخ قد ذكر المعاني المتعددة للفظ (الشيطان) و (إبليس)، وهذا ما يسهل علينا معرفة المعاني المختلفة للكلمات، وقد يصرح الشيخ بهذا، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ الفاتحة: ٢، قال الشيخ: (الحمد والمدحُ أخَوانِ لفظاً، ومعناهما الثناء الجميل، وهما هنا بقصد التعظيم والتبجيل في الضّراء والسراء على السواء، وبعضهم يفرق بينهما، فيقول: الحمد يكون بعد الإحسان وهو جائز، أما المدح فيكون قبل الاحسان وبعده، وهو منهيٌّ عنه، لحديث (احثُوا في وجوه المدّاحين التراب).[6]

والربّ في كلام العرب له معان ثلاثة: السيد المطاع، والرجل المصْلح للشيء، والمالك للشيء. فربُّنا جل ثناؤه: السيد المطاع في خلقه، والمصلح أمْرَ خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخَلْق والأمر، (العالمين): جميع الكائنات في هذا الوجود.

---

(1) هذه الجملة غير دقيقة، فلا يمكننا أن نطلق على أي شيء كلمة: شيطان.

(2) والراجح أن شيطان من شطن أي بَعُد من البعد.

(3) الأفاعي ليست شياطين.

(4) والراجح أن إبليس اسم علم أعجمي.

(5) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٧٠

(6) رواه الوليد بن عباد: عن الفضل بن صالح، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو. والوليد هذا ليس بمستقيم الحديث، أنظر: المقدسي: محمد بن طاهر، **" ذخيرة الحفاظ "**، تحقيق: د.عبد الرحمن الفريوائي دار السلف، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م، الرياض، ج١، ص ٢٤٤

فمعنى (الحمد لله رب العالمين) الحمد لله الذي له الخلق كله، السماوات والأرض، ومن فيهن وما بينهن، مما يُعلم وما لا يُعلم، فالثناء المطلق الذي لا يُحَدّ لله سبحانه إنما كان لأنه هو رب العالمين).([1])

نلاحظ أن الشيخ قد شرح كلمات الآية وبين أن للرب معاني ثلاثة في كلام العرب.

٤ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت: ٤٤، قال الشيخ: (ثم مثّل حالهم، باعتبار عدم فهمهم له، بحال من ينادَى من مكان بعيد فهو لا يسمع من يناديه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت: ٤٤، قال أهل اللغة: تقول العرب للرجل الذي لا يفهم كلامك: أنت تنادَى من مكان بعيد، وللفهيم ثاقب الرأي: إنك لتأخذ الأمور من مكان قريب).([2])

يستشهد الشيخ بكلام العرب لفهم معنى الآية، والذي بدونه لا يمكن فهمه، ولكن بدون نسبة هذا الكلام إلى مصدر معين، وبعد رجوعي للتفاسير، وجدت أن هذا الكلام قد نقله الواحدي في تفسيره، عن الفراء اللغوي المشهور.([3])

٥ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ ﴾ المدثر: ١١، قال الشيخ: (اتركني واياه ولا تشغل قلبك به، وهذا الفعل لا يستعمل منه إلا فعل الأمر والمضارع، فلم تستعمل العرب منه الفعل الماضي، ذرني وفلانا: كِلْه إليّ).([4])

نلاحظ أن الشيخ قد ذكر لنا خصائص الفعل (وذر) وهي فائدة لغوية جليلة، وبعد رجوعي إلى كتب اللغة، وجدت أن الفعل يمتاز بما قال الشيخ، إضافة أن العرب لا تستعمل منه الماضي والمصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول.

يقول الأزهري: (تقول العرب: هَبْنِي ذَاك، أي احسُبْني ذاك واعدُدْني، ولا يقال هَبْ أَنِّي فعلتُ ذاك، ولا يقال في الواجب: قد وَهبْتُك، كأنها كلمة وُضِعتْ للأمر، كما يقال ذَرْني ودَعْني، ولا يقال: وذَرْتُك .

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٤٠

(2) المرجع السابق، ج٤، ص ٤٩

(3) أنظر: الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، **" الوسيط في تفسير القرآن المجيد"**، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج٤، ص ٣٨

(4) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ٤٧٠

وأَخْبرني المُنذريّ، عن الحَرَاني، عن ابن السّكيت: قال: يُقال: ذَرْ ذَا، ودَعْ ذا، ولا يُقال: وذَرْتُه، ولا وَدَعْتَه، وأَمّا في الحاضر فيُقال: يَذَرُه ويَدَعُه، ولا يُقال: وَاذرٌ، ولا وَادِعٌ، ولكن يُقال: تَرَكْتُه فأَنا تَارِكٌ.

وقال اللَّيْثُ: العربُ قد أَماتت المَصْدر من (يَذر) والفِعْل الماضي، واسْتَعْملته في الحاضر والأمْر، فإذا أَرَادُوا المَصْدر قالوا: ذَرْه تَرْكاً، وثَريدةكثيرة الوَذْرِ، أَي كَثيرة قِطع اللَّحم.

وقوله: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ المدثر: ١١ ، أَي كِلْه إليَّ فإنِّي أُجَازِيه وأَكفيك أَمْره).(1)

جاء في باب الفعل المضارع وأبوابه، في شرح شافية ابن الحاجب: (اعلم أنهم استعملوا الفعل المضارع من هذه المادة فقالوا: يذر، ومنه قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ آل عمران: ١٧٩، واستعملوا منه الأمر فقالوا: ذر، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ المدثر: ١١ ، وقوله: ﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ ﴾ المزمل: ١١ ، ولم يستعملوا منه اسم فاعل ولا اسم مفعول ولا مصدرا ولا فعلاً ماضيا).(2)

٦ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ البقرة: ٢ ، قال الشيخ:

(ذلك: اسم إشارة للبعيد كنايةً عن الإجلال والرفعة، ولذا لم يقل سبحانه(هذا هو الكتاب)، المعنى: هذا هو الكتاب الكامل، القرآن، الذي أنزلناه على عبدنا، لا يرتاب في ذلك عاقل منصف، ولا في صدق ما اشتمل عليه من حقائق وأحكام، وقد جعلنا فيه الهداية الكاملة للَّذين يخافون الله ويعملون بطاعته، قد سمت نفوسهم فاهتدت إلى نور الحق والسعي في مرضاة الله، و(فيه) هنا لا تفيد الحصر، بل الشمول، لكنه ليس كتاب علم، بالمعنى الحديث، وإنما هو كتاب كامل في الدين، أما قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ الأنعام: ٣٨، (3)، فانها تعني: من شيء متعلق بالدين، لا بالعلوم الطبيعية التي يستجدّ منها في كل عصر نصيب).(4)

---

(1) الهروي: أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر،**"تهذيب اللغة"**، تحقيق أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ج١٥، ص ١١

(2) الإسترباذي: نجم الدين محمد بن الحسن الرضي **" شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده، للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب "**، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: محمد نور الحسن محمد الزفزاف محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

(3) المراد بالكتاب هنا علم الله، وليس القرآن.

(4) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٥٢

نلاحظ أن الشيخ قد فسر الآية الكريمة بالرجوع إلى معنى اسم الإشارة (ذلك) في اللغة، وأشار إلى الكناية الموجودة في الآية، بقوله وهي كناية عن الإجلال والرفعة، ولا يمكن تفسير هذه الآية بدون توظيف معاني وأسرار اللغة، والذي ذهب اليه الشيخ قريب مما ذكره أبوعبيدة في مجاز القرآن، والإمام الطبري.

قال أبوعبيدة:(﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ البقرة: ٢، معناه: هذا القرآن، وقد تخاطب العرب الشاهد فتظهر له مخاطبة الغائب، قال خفاف بن ندبة السلميّ، وهى أمه، كانت سوداء، حبشية وكان من غربان العرب فى الجاهلية:(1)

فَإن تَكُ خَيْلي قد أُصِيبَ صَمِيمُها فَعَمْدًا على عَيْنٍ تَيَمَّمْتُ مَالِكَا

أقولُ له، والرُّمحُ يأطِرُ مَتْنَهُ تأمَّل خُفافًا، إنني أنا ذلِكَا

يعنى مالك بن حمّاد الشمخىّ، وصميم خيله: معاوية أخو خنساء، قتله دريد وهاشم ابنا حرمله المريّان).(2)

قال الإمام الطبري في تفسيره: (وقد يحتمل قوله جل ذكره(ذلك الكتاب) أن يكون معنيًّا به السُّوَرُ التي نزلت قبل سورة البقرة بمكة والمدينة، فكأنه قال جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد، اعلم أنّ ما تضمَّنتْه سُوَرُ الكتاب التي قد أنزلتها إليك، هو الكتابُ الذي لا ريبَ فيه، ثم ترجمه المفسرون بأن معنى (ذلك)، (هذا الكتاب)، إذْ كانت تلك السُّور التي نزلت قبل سورة البقرة، من جملة جميع كتابنا هذا، الذي أنزله الله عز وجل على نبينا محمد -صلى الله عليه و سلم- وكان التأويل الأول أولى بما قاله المفسرون، لأنّ ذلك أظهرُ معاني قولهم الذي قالوه في(ذلك).

وقد وَجَّه معنى (ذلك) بعضُهم، إلى نظير معنى بيت خُفاف بن نُدبة السُّلميّ:

فَإن تَكُ خَيْلي قد أُصِيبَ صَمِيمُها فَعَمْدًا على عَيْنٍ تَيَمَّمْتُ مَالِكَا (3)

أقولُ له، والرُّمحُ يأطِرُ مَتْنَهُ: تأمَّل خُفافًا، إنني أنا ذلِكَا (1)

---

(1) خفاف : هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد بن رياح، وهو أحد فرسان قيس وشعرائها المذكورين، مخضرم، نشأ فى الجاهلية وأدرك الإسلام وشهد فتح مكة، وكان معه لواء بنى سليم واللواء الآخر مع العباس بن مرداس وشهد حنينا والطائف وثبت على إسلامه فى الردة وبقي إلى زمن عمر بن الخطاب، وأما ندبة: فهى أمه كان سباها الحارث بن الشريد حين أغار على بنى الحارث بن كعب فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافا، وكانت امرأة سوداء، أنظر حاشية المحقق، في مجاز القرآن لأبي عبيدة.

(2) أبو عبيدة ، **" مجاز القرآن "**، مصدر سابق، ج١، ص٩٩

(3) يقول الشعر في مقتل ابن عمه معاوية بن عمرو أخى الخنساء، ومالك: هو مالك بن حِمَار الشمخي الفزاري، والخيل هنا: هم فرسان الغارة، وكان معاوية وخفاف غزوَا بني مرة وفزارة. والصميم: الخالص المحض من كل شيء، وأراد معاوية و مقتله يومئذ. ويقال: "فعلت هذا الأمر عمد عين ، وعمدًا على عين" ، إذا تعمدته مواجهة بجد ويقين، وتيمم: قصد وأمَّ، أنظر حاشية المحقق على تفسير الإمام الطبري: الطبري، **"جامع البيان "**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٧

كأنه أراد: تأملني أنا ذلك، فزعم أنّ (ذلك الكتاب) بمعنى(هذا)، نظيرُه، أظهر خفافٌ من اسمه على وجه الخبر عن الغائب، وهو مخبر عن نفسه، فكذلك أظهر (ذلك) بمعنى الخبر عن الغائب، والمعنى فيه الإشارة إلى الحاضر المشاهَد.

والقول الأول أولى بتأويل الكتاب، لما ذكرنا من العلل، وقد قال بعضهم: (ذلك الكتاب)، يعني به التوراة والإنجيل، وإذا وُجّه تأويل (ذلك) إلى هذا الوجه، فلا مؤونة فيه على متأوِّله كذلك، لأن(ذلك) يكون حينئذ إخبارًا عن غائب على صحة).(٢)

٧ – عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ الرعد: ٣٣، قال الشيخ: (أفمن هو قائمٌ حفيظٌ على كلّ نفسٍ، لا يخفى عليه شيء من ما كسبت، كَمَن ليس كذلك! فالجواب محذوف وهو: كمن ليس كذلك، وهذا من بلاغة القرآن).(٣)

نبه الشيخ إلى روعة الحذف في الآية الكريمة، واكتفى بقوله (وهذا من بلاغة القرآن)، ولكن باختصار، وبعد رجوعي إلى المصادر اللغوية، وجدت أن الآية تحتوي على فنون عديدة من البلاغة، لأنها وردت في معرض الاحتجاج على الكفار لشركهم بالله سبحانه وتعالى، فالآية فيها استفهام إنكاري في قوله (أفمن) وحذف خبره تصريحا، وذلك للتوبيخ والزراية عليهم، على القياس الفاسد، لفقد الجهة الجامعة لهما، وهذا ما يسميه علماء البيان: الإضمار على شريطة التفسير، وهو أن يحذف من صدر الكلام ما يؤتى به في آخره فيكون الآخر دليلا على الأول.(٤)

٨ – رجع الشيخ إلى بعض المصادر اللغوية في تفسيره، وإن كان رجوعه مختصراً جداً، وبدون توسع، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الأعراف: ٥٧، قال الشيخ: (الريح: الهواء اذا تحرك، قال الراغب: كلُّ موضع ذكَر الله فيه إرسال الريح بلفظ الواحد كان للعذاب، وكل موضع ذكَر فيه الرياح بلفظ

---

(1) أقول له: يعني لمالك بن حِمَار، وأطر الشيء يأطره أطرًا: هو أن تقبض على أحد طرفي الشيء ثم تعوجه وتعطفه وتثنيه، وأراد أن حر الطعنة جعله يتثنى من ألمها، ثم ينحني ليهوى صريعًا إذ أصاب الرمح مقتله، أنظر حاشية المحقق على تفسير الإمام الطبري: الطبري، **"جامع البيان "**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٧

(2) الطبري، **"جامع البيان "**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٧

(3) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٥٥٥

(4) أنظر: درويش: محي الدين بن أحمد مصطفى، **" إعراب القرآن وبيانه"** ، دار اليمامة الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ، دمشق – بيروت، ج٥، ص ١٢٨.

الجمع كان للرحمة، وأظن أن هذا في الغالب، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ يونس: ٢٢ ، وفي سورة يوسف: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ يوسف: ٩٤).[1]

وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ البقرة: ١٢٠، قال الشيخ: (الملة: الطريقة، الدين، الشريعة، جمعها ملل، والأهواء: جمع هوى، وأهل الأهواء أهل البدع، قال السيد الجرجاني: (الهوى ميلان النفس إلى ما تستلذ من الشهوات من غير داعية للشرع)، ولا يستعمل في الغالب إلا فيما ليس بحق وفيما لا خير فيه).[2]

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ١٦٦
(2) المرجع السابق، ج١، ١١٦

المطلب الثاني: الاتجاه الفقهي

يعتبر الفقه من أهم العلوم الشرعية التي اهتم بها العلماء قديماً وحديثاً، منذ عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى يومنا هذا، فالصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا يسألون الرسول – صلى الله عليه وسلم – في ما أشكل عليهم في القرآن وفي الدين عامة، وتعلم الفقه فرض كفاية على كل مسلم ومسلمة، لقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ التوبة: ١٢٢.

ويعتبر القرآن من أهم المصادر وأولها في الأدلة الفقهية، وقد خصص العلماء منذ القدم مباحث خاصة بآيات الأحكام، وجمعوها، وجعلوا لها تفاسير خاصة بها، كأحكام القرآن لابن العربي المالكي، وأحكام القرآن للجصاص الحنفي.

وقد وقف الشيخ عند الآيات التي تناولت الأحكام الفقهية، وذكر آراء العلماء وشرح الأحكام بإيجاز، وبطريقته الخاصة، وكان قليلاً ما يرجع إلى آراء أئمة المذاهب الأربعة ومصادرهم، وأحيانا يذكر آراء الشيعة في بعض المسائل الفقهية، أما بالنسبة للترجيح فقد كان يرجح رأيه في بعض المسائل الفقهية، ويترك الترجيح في بعضها، وبالجملة فإن تفسير الشيخ لم يشتمل على أبحاث فقهية موسعة مثل التفاسير القديمة([١])، كما أن تفسيره خلا من الخلافات والردود بين الفقهاء كما هو مشهور في كتب الفقه، وذلك أن الخلافات الفقهية، قد أفردت لها مؤلفات خاصة بها، فمن أراد التوسع، فيمكنه الرجوع إليها.

والواقع أن الشيخ حينما يتجنب الخوض في مثل هذه الأبحاث الفقهية بشكل موسع، كي لا يحول التفسير عن وظيفته الأساسية،كما أشار إلى هذا محمد عبده وتلاميذه من بعده، وهي بيان معاني الكلمات، والوقوف عند ظاهر النص، وكانت مدرسته ثورة على القديم، ودعوة إلى التجديد، فمثلاً تفسير الإمام القرطبي يعتبره العلماء مرجعاً مهماً في الفقه، ويغني عن كثير من كتب الفقه، لكثرة المسائل الفقهية التي بحثها في تفسيره، وذكره لمعظم الآراء الفقهية.

وانطلاقاً من هذه القاعدة، يعتبر الشيخ من تلاميذ محمد عبده، لأنه تتلمذ على محمد رشيد رضا، رائد هذه المدرسة، وكذلك على الشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ محمود شلتوت([٢])، ولهذا تجنب الاطناب و الحشو في المسائل الفقهية، ولم يتعصب إلى مذهب فقهي معين، مما أضفى على تفسيره نوعاً من الوضوح والسهولة، فلا يصطدم القاريء لتفسيره

---

(1) إلا في الميراث فقد كان له بحث موسع فيه، أنظر: القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٣٥٤

(2) أنظر الرسالة، ص١٩

بآراء فقهية، وخلافات أصولية قد يفهمها، وقد لا يفهمها، وسأذكر أمثلة من تفسيره، لتتضح لنا طريقته في تفسير آيات الأحكام.

١ – اعتراف بأن القرآن لم تأت فيه كل الآحكام، ورد على بعض المخالفين، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المائدة: ٩١ ، قال الشيخ بعد ذكره سنة التدرج في تحريم الخمر، وسبب نزول هذه الآية: (بعد أن أمر الله تعالى باجتناب الخمر والميسر ذكر أن فيهما مفسدتين: أحدهما دنيوية، هي إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس، والثانية دينية هي الصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة التي هي عماد الدين، ثم أكد ذلك بهذا الاستفهام بقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ المائدة: ٩١ ، أي انْتَهُوا عن هذه الأشياء.

وأسمعُ بعض الناس يقولون: إن الخمر غير محرّمة، ولم يقل الله إنها حرام صراحةً بل قال: اجتنبوه، وقولهم هذا، كلام فيه الهوى والتذرّع والتلاعب بالألفاظ، لتعليل الأمور التي يحبونها، فالقرآن ليس كتاب فقه، حتى ينصّ على كل شيء بأنه حرام أو حلال، وإنما هو قرآن كريم، له أسلوب عربي فريد لا يدانيه أسلوب، وأكبر دليل على تحريم الخمر تحريما نهائياً، أن الله تعالى قرن الخمر بالميسر، الذي هو القمار، وبالأزلام والأنصاب، وقد جاء تحريم الأزلام والأنصاب صريحاً بقوله تعالى في أول هذه السورة: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ﴾ المائدة: ٣ ، وإذا كانت عبادة الأصنام والذبحُ عندها تقرّباً لها حراماً، فإن الخمر تكون حراماً، وإذا كانت الأزلام والاستقسام بها حراماً، فإن الخمر تكون كذلك، وإذا كان الميسر والمقامرة حراماً، فإن الخمر كذلك تكون حراماً، و الذين يقولون بتحليلها أناس يتّبعون أهواءهم، ولا يخشَون الله فيما يقولون).(1)

٢ – كان يذكر بعض الأحكام الفقهية بصورة عامة، ويحيل القاريء على كتب الفقه للتوسع في الحكم والمعرفة، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الجمعة: ٩، قال

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٥٢٣

الشيخ: (الحديثُ في هذه الآيات الكريمة عن صلاةِ الجمعة، وهي ركعتان بعد خطبتين يلقيهما الإمام، وهي فرضُ عَين، وقد ثبتت فرضيتها بالكتاب والسنّة والاجماع.

وتجب صلاةُ الجمعة على المسلم الحرّ العاقلِ البالغ المقيمِ، القادرِ على السعي إليها، ولا تجب على المرأة والصبيّ، والمريضِ والمسافر، وكلِّ معذور مرخَّص له في ترك الجماعة، كعذر المطر والوحل والبرد ونحو ذلك، ولا تصحّ إلا جماعة، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل يوم الجمعة، وفضل الصلاة فيها، والحثّ عليها والاستعداد لها بالغسل والثياب النظيفة والطِّيب، ويجوز للنساء والصبية أن يحضروا الجمعة، فقد كانت النساء تحضر المسجدَ على عهد رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وتصلّي معه، ومن صلى الجمعةَ سقطت عنه فريضة الظهر، ومن أراد زيادة فليرجع الى كتب الفقه).(1)

٣ – عند تفسير الشيخ لآيات الأحكام لم يكن يتعصب إلى مذهب معين، مثل المفسرين القدماء، فالقاريء لأحكام القرآن لابن العربي والجصاص، يلاحظ هذا واضحاً في تفسيرهما لآيات الأحكام، ولكن الشيخ من خلال تفسيره لم ألاحظ عليه هذا التعصب، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ النساء: ١٠٢ ، قال الشيخ: (إذا كنت أيها الرسول في جماعتك وقامت صلاة الجماعة فلا تنسوا الحذر من الأعداء، ودع طائفة منهم تصلي معك، فيما تقف الطائفةُ الأخرى قبالة العدو، يحرسون إخوانهم المصلّين، وعلى المصلّين أن يكونوا يقظين، ويحملوا أسلحتهم، ولا يتركوها وقت الصلاة، يفعلون ذلك استعداداً لمواجهة الخطر، والحيطة من الغدر، وإذا سجد المصلّون معك، فليكنْ الّذين يحرسونكم من خلفكم، لأن الساجد أحوجُ ما يكون للحراسة حين السجود، فإذا انقضت الركعة الأولى، تقوم الجماعة التي صلّت، وتقف مكان الجماعة الحارسة، وعند ذلك تأتي الجماعة الأخيرة فتصلي معك ركعة كذلك، وهنا يكون الإمام قد أتم صلاته فيسلّم وعندئذ تأتي الطائفة الأولى فتصلّي الركعة الثانية وتسلّم، بينما تحرسها الجماعة الثانية، ثم تجيء الجماعة الثانية فتصلّي الركعة الثانية وتسلم، بذلك يكون الجميع قد صلّوا بإمامة الرسول – صلى الله عليه وسلم - وهكذا يفعل كل إمام وقائد عند الخطر.

وقد قال بالصلاة على الصفة التي أوردناها عدد كبير من فقهاء الصحابة منهم: علي، وابن عباس، وابن مسعود، وابن عمرو، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة، وأبو موسى الأشعري. ومن

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ٣٥٤

فقهاء الأمصار: مالك، والشافعي وغيرهما، وفي كتب الفقه خلاف كبير في صفة هذه الصلاة، لا مجال لذكره هنا).(1)

٤ – إن تفسير الشيخ من التفاسير المختصرة، ولكنَّه مع هذا نجده قد ذكر بعض الخلافات الفقهية، ورجح رأيه فيها، بدون تعصب وانحياز، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ الأنعام: ١٢١، قال الشيخ: (وإذا كانت الأنعام حلالاً لكم بذبحها، فلا تأكلوا مما لم يُذكر اسم الله تعالى عليه عند ذبحه، إن ذلك فسقٌ وخروج عن حكم الله، وإن المفسدين من شياطين الإنس والجن ليُوَسْوِسون في عقول من استولوا عليهم، ليجادلوكم بالباطل، علّهم يُقنعونكم بأكل الذبائح التي يذكرون عليها اسم آلهتهم، أو ينحرونها للميسر، ومثل ذلك شأن الميتة، فقد كان المشركون يجادلون المسلمين في تحريمها، ويقولون إن الله ذبحها، فكيف يأكل المسلمون مما ذبحوا بأيديهم، ولا يأكلون مما ذبح الله؟ أن هذا من السخف، فإن قبلتموه وأطعتموهم كنتم مثلهم في الشرك بالله .

ونجد الأئمة رحمهم الله قد اختلفوا في هذه المسألة على ثلاثة اقوال:

بعضهم يقول: إنَّ كل ذبيحة لم يُذكر اسم الله عليها، عمداً أو سهواً، لا يحِلُّ أكلها مطلقا، وهذا القول مرويٌّ عن ابنِ عُمَرَ ومولاه نافع، ورواية عن مالك، وعن أحمد بن حنبل ومذهب أبي ثور، وداود الظاهري.

والقول الثاني: إنَّ التسمية على الذبيحة ليست شرطاً بل هي مستحبة، فإن تركَها عمداً أو نسياناً لا يضر، وهذا مذهب الإمام الشافعي وجميع أصحابه، وروي ذلك عن ابن عباس وأبي هريرة، وعطاء بن رباح، وقالوا: إن النهي كان عن الذبائح التي تذبحها قريش لآلهتهم، أما ترك التسمية فلا يضر.

والقول الثالث: إنْ تَرَكَ التسمية سهواً لا يضر، وإن تركها عمداً لم تحل، وهذا هو المشهور من مذهب مالك وأحمد بن حنبل، وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه، وهو مروي عن سيدنا عليّ وابن عباس والحسن البصري وغيرهم.(2)

قال ابن جرير في تفسيره: اختلف أهل العلم في هذه الآية، هل نُسخ من حكمها شيء أم لا؟ فقال بعضهم: إنها مُحكَمة ولم يُنسخ منها شيء، وقال بعضهم: إنها نُسخت بقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٤١٩

(2) نلاحظ أن الشيخ قد رجح هذا الرأي بدون تعصب، لأنه معقول، ويبدوا أنه هو الراجح.

لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ ﴾ المائدة: ٥ ، ثم قال ابن جرير: والصواب: أنّه لا تعارُضَ بين حِل طعام أهل الكتاب وبين تحريم ما لم يُذكر اسم الله عليه، وهذا هو الصحيح.([1])

وبعض العلماء يرى أن ما يُذبح عند استقبال مَلِك أو أمير حرامٌ، ولا يجوز أكلُه، وفي هذا تشديد وتزمُّت، فإن مثل هذه الذبائح حلال، وليست محرّمة، لأن الناس لا يعبدون هؤلاء الذين ذبحوا لهم عند قدومهم، وليس هذا الاستبشار بقدومهم إلا كذبح العقيقةِ للمولود وغير ذلك([2])).([3])

٥ – ذكر الشيخ أثناء تفسيره لآيات الأحكام، بعض القواعد والنظريات الفقهية والأصولية، التي بنى عليها العلماء عدة أحكام، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ النساء: ١١، قال الشيخ بعد تفسيره المطول لآية الميراث: (جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل، ليحفظ التوازن بين أعباء الرجل وأعباء الأنثى في التكوين العائلي، فالرجل يتزوج امرأة، ويكلَّف بإعالتها هي وأبنائها منه، كما أنه مكلف أيضا بإخوانه ووالدته وغيرهما من الأرحام، أما المرأة فانها تقوم بنفسها فقط، والقاعدة تقول: (الغُنم بالغرم([4]))، ومن ثم يبدو التناسق في التكوين العائلي والتوزيع الحكيم في النظام الاسلامي).([5])

وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ النساء: ٥٨،قال الشيخ: (خطاب عام لجميع الناس، وفي مقدّمتهم المؤمنون، وقد وردت عدة أحاديث في نزول هذه الآية، منها قضية عثمان بن طلحة، ووجوب ردِّ مفتاح الكعبة إليه، لكن (العبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب([6]))، والمعنى: أيها المؤمنون، إن الله يأمركم أن توصلوا جميع ما أنتم مؤتمنون عليه، وهو نفوسكم أولاً، وذلك أن تؤمنوا به إيمانا حقيقيا، وتطيعوا أوامره، وتتجنبوا نواهيه، وتعملوا عملاً صالحا يرضاه، هذه هي الأمانة الكبرى التي كُلّف الانسان بحملها، وتقاعست عن ذلك الجبال، ومنها تنبثقُ سائر الأمانات التي يأمر الله بها أن تؤدّى، ثم أمانةُ العبد مع الناس، من ذلك ردُّ الودائع إلى أربابها، وعدم الغش، وحِفظ السر، ونحو ذلك مما

---

(1) وقد رجح الشيخ هذا الرأي بقوله : وهو الصحيح.

(2) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص٩٧

(3) وأنا مع الشيخ فيما ذهب إليه، لأنها فعلاً تشبه العقيقة، وللبشرى فقط، وبعيدة كل البعد عن حكم هذه الآية، اللهم إن كان القصد منها المباهاة، أو الذبح لغير الله كعادة الجاهلية، فإنها لا تقبل، أما إذا ذكر اسم الله عليها، وكانت خالصة لوجه الله تعالى، فأنها تقبل.

(4) معناها: أن من ينال نفع شيء يتحمل ضرره.

(5) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص٣٥٤

(6) معناها: العبرة باللفظ العام، وليس بالواقعة أو السبب الذي جاء الحكم لأجله.

يجب للأهل والأقربين وعامة الناس والحكام، ويدخل في ذلك عدل الحاكمين مع الرعية، بألاّ يستأثروا بثرواتها، ولا يتحكموا في رقابها، وأن يختاروا خير الناس لتولّي شئونهم، كما يدخل عدل العلماء مع الناس، بأن يرشدوهم إلى دينهم الصحيح، ويعلّموهم الأعمال التي تنفعهم في دنياهم وأخراهم، من أمور التربية وكسب الحلال، لا أن يتخذوا الدينَ تجارة، يبيعون منه القراريط، لقاء رضا الحكام، وملء جيوبهم هم، ويدخل فيها كذلك أمانة الرجل مع زوجته في النفقة والعشرة، ومع أولاده وسائر أهل بيته المسئول عنهم.

ثمّ يدخل عدل الانسان مع نفسه، بأن يختار لها ما هو الأصلح فلا يُقدم على عمل يضرّه في دنياه أو آخرته، ويتجنب تعاطي الأشياء التي تضر بصحته، ويبتعد ما أمكن عن جميع المغريات).([1])

وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ البقرة: ١٧٣، قال الشيخ: (ثم يضع قاعدة جليلة في اباحة هذه الممنوعات عند الضرورة، فالضرورات تبيح المحظورات([2])، فمن أُلجيء إلى أكل شيء مما حرم الله، بأن لم يجد غيره، وخاف على نفسه الهلاك جوعاً، ولم يكن راغباً فيه لذاته، ولم يتجاوز قدر الحاجة، ﴿ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ البقرة: ١٧٣).([3])

٦ – نجد الشيخ في تفسيره لبعض آيات الآحكام، يأتي بآراء الفقهاء، دون مناقشتها، أو التعليق عليها، أو ذكر الرأي الراجح منها في نظره، وإن كان يشير إلى رأي الجمهور بقوله: (وجمهور العلماء)، (وهم الأغلب) ولكن لا نعرف القصد من هذا؟ هل هو الراجح في نظره أم لا؟ فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾ البقرة: ١٧٨، قال الشيخ: (لقد كان القصاص في الجاهلية خاضعاً لقوة القبائل وضعفها، فبعضهم كان لا يكتفي بقتل القاتل الفرد، بل يطلبون قتل رئيس القبيلة، وبعضهم كان يطلب قتل عدد من الأشخاص بدل المقتول، وهذا ظلم كبير، فجاء الإسلام بالعدل والمساوة، وفرض قتل القاتل فقط، ثم خصّصت الآية، فنصّت على بعض الجزئيات ﴿ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص٣٩٠

(2) معناها: لا مُحَرَّم مع اضطرار، ولكن بقدر الحاجة.

(3) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص١٤٦

﴿بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ﴾ البقرة: ١٧٨ ، تأكيداً لإبطال ما كانوا عليه في الجاهلية، من فرض عدم التساوي في الدماء، أما الحكم في الإسلام فهو أن يُقتَل القاتل، سواء كان حراً قتل عبدا أو بالعكس، وذلك لأن هذا جاء واضحاً في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ المائدة: ٤٥ ،كما جاء في سورة المائدة.

ولكن، إذا قتل رجل ولده، اختلف العلماء في ذلك: فمنهم من رأى قتل الوالد، كالإمام مالك، وذلك في حالة ما إذا أضجعه وذبحه بالسكين، ومنهم من قال لا يُقتل به، وهم الأغلب، وكذلك إذا قتل جماعة رجلاً واحداً، فجمهور العلماء أنهم يقتلون به، كذلك فعل عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، واختلفوا في قتل المسلم ذميا، فبعضهم قال لا يقتل به وهم الأغلب، وقال البعض يقتل به([1])).([2])

٧ – كان يذكر آراء الشيعة مع آراء السنة في المسائل الفقهية، وهذا كثيرٌ في تفسيره، ولا أعرف ما الفائدة من ذكرها، مع أنها فرقة من الفرق الضالة، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾ النحل: ٨ ، قال الشيخ: (ولحومُ الخيل محرَّمةٌ عند أبي حنيفة، وحلالٌ عند مالكٍ والشافعيِّ وابن حنبل، أما لحومُ البغال والحمير فهي محرَّمة عند أبي حنيفة والشافعيّ وابنِ حنبل، ومكروهةٌ عند مالِك، وجميعُها حلال عند الشِّيعة الإمامية مع الكراهة).([3])

وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾ النساء: ١١،

قال الشيخ: (يأمركم الله تعالى في شأن توريث أولادكم أن يكون: للذَّكر مثلُ حظ الأنثَيين، وإذا كان المولود انثى واحدة فنصيبها النصف، والباقي لأقارب المتوفى، واذا انعدم الأقارب رُدَّت التركة إلى بيت المسلمين، وإذا كانت الوارثات بنتَين فأكثر فمن حقهنّ أن يأخذنَ ثلثي التركة، ويكون الباقي للأقارب أو بيت المال، ولا يرث الكافر، ولا القاتل عمداً، ولا العبد الرقيق...

(1) نلاحظ أن الشيخ قد ذكر آراء العلماء في قتل الرجل لولده، وقتل الجماعة للواحد، وقتل المسلم للذمي، ولم يبين الراجح منها، أو رأيه فيها، والخلاف في هذه المسائل يطول، ولا يمكن الرجوع إليه إلا في كتب الفقه، ولا مجال لذكره هنا.

(2) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ١٥١

(3) المرجع السابق، ج٢، ص ٦٢١

وعند الشيعة الإمامية: تأخذ البنت أو البنتان فأكثر جميع التركة، ونصيب كل من الأبوين السدس إذا كان الميت له ولد، وإذا كان لم يخلّف الميت أولادا وورثه أبواه أخذت الأم الثلث، وكان الباقي للأب).[1]

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٣٥٦

المطلب الثالث: الاتجاه العقدي

إن العقيدة الصحيحة هي أساس الدين، وكان الرُّسل – عليهم السلام – أول ما يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ الشرك والخرافات، وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يدعو قومه إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام والجهل الذي كان منتشراً في ذلك العصر، وهناك عدة آيات جاءت لتصحيح العقيدة، فجُل الآيات المكية أهتمت بها، وشدد الله سبحانه وتعالى على التخلي عن الشرك واعتبره ظلماً عظيماً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ النساء: ١١٦، وقد شدّد العلماء على العلم بالعقيدة، وجعلوها من أهم شروط المفسر، فإذا كانت سليمة كان التفسير سليما، وإذا كانت باطلة كان التفسير من أوله باطلاً، لأننا نجدعدة فرق كالمعتزلة والشيعة والخوارج وغيرهم، قد اهتموا بتفسير القرآن دفاعاً عن عقيدتهم، وانتصاراً لمذهبهم، ويعد الإمام الذهبي – رحمه الله - محقاً في كتابه التفسير والمفسرون، حينما جعل هذا النوع من التفاسير ضمن التفسير بالرأي المذموم، لأن الانطلاقة عند المفسر خطأ، حيث إننا نجد أن المفسر عنده مبدأ، ويريد الانتصار والبرهان له من القرآن، بالتأويل وتحريف معاني الآيات، وغيرها من الأمور التي تساعد المفسر على الانتصار لمذهبه والدفاع عنه، وعلماء السنة يجعلون القرآن هو الأساس في تقرير العقيدة، وليس العكس، ولهذا نجد معظم مفسري الفرق الضالة، قد ظهرت عقائدهم واضحة جلية من خلال تفاسيرهم، والناظر في كتب المعتزلة والشيعة وغيرهم من الفرق، يلاحظ هذا جيداً، فإنهم قد بنوا كافة تفاسيرهم على أصولهم العقائدية نصرة لمذاهبهم، وتأييداً لها، فمثلاً الشيخ محمد أَطفيِّشْ الإباضي الخارجي، نجده دائماً يشيد بمذهب الإباضية في تفسيره، ويدعو له من المقدمة إلى الخاتمة، ويرى أنهم أهل الحق والاستقامة، وأن سبب تفرق المسلمين، واستهانة أعدائهم بهم، هو عدم اعتناقهم لمباديء الإباضية، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ الأنفال: ٤٦ ، قال الشيخ: (فلو رجعوا – يعني المسلمين – إلى مذهبنا في الأصول، أو أعرضوا عن مسائل الخلاف كأن لم تكن، وكانوا يداً واحدة، لغلبوا على أهل الشرك).(١)

---

(1) أنظر: الخواجا: محمد مصطفى**" منهج الشيخ محمد أطفيش، في تفسيره تيسير التفسير(هميان الزاد إلى دار الميعاد)"**، رسالة ماجستير ١٩٩٤م، الجامعة الأردنية، ص١٦٥

أما بالنسبة لعقيدة الشيخ، فمن خلال دراستي لتفسيره، وجدت أنه أشعري العقيدة، وهذا واضح من خلال تفسيره لآيات العقائد، وكان لا ينوي الدخول في الخلاف بين المدرستين، وقد صرح بهذا، في معرض حديثه عن المحكم والمتشابه بقوله: (ولا يعلم تأويل هذه الآيات المتشابهات الا الله والذين تثبتوا في العلم وتمكنوا منه، وهؤلاء يقولون: إننا نؤمن بالقرآن كاملاً، لا نفرق بين مُحكمه ومتشابهه، وما يعقل ذلك ويفقه حكمته الا ذوو البصائر المستنيرة، والعقول الراجحة.

هذا وقد استفاض الحديث حول أن في القرآن محكماً ومشابهاً، وأن العلماء أمام هذا المتشابه فريقان: فريق السلف الذي يرى التفويض وعدم الخوض في معناه، وفريق الخلف الذي يرى التأويل وصرف اللفظ عن دلالته المعروفة، إلى معنى يتفق مع ما دل عليه المحكم، ويعتبرون من ذلك أمثال قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه: ٥ ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ الفتح: ١٠ ، ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ المائدة: ٦٤ ، ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ الزمر: ٦٧ ، فيقولون: إن معنى الاستواء هو الاستيلاء، واليد بمعنى القدرة، واليمين بمعنى القوة، وبسطُ اليد بمعنى كثرة المنح والعطاء، إلى غير ذلك، وهناك أقوال كثيرة واختلافات كبيرة في هذا الموضوع لا طائل منها ولا فائدة).(1)

من خلال ماذكرت، نلاحظ أن الشيخ، لا ينوي الدخول في الخلاف بين السلف والخلف في العقيدة، وإن كان أشعري العقيدة، فمعظم آيات الأسماء و الصفات فسرها حسب رأي الأشاعرة، وسأضرب أمثلة من تفسيره على ما قلته:

١ – أحياناً كان يذكر بعض الخلافات الموجودة بين المدرستين – مدرسة السلف والخلف – مثل المثال السابق، وكذلك في الكلام الذي دار في قصة خلق أدم بين الله سبحانه وتعالى، وبين الملائكة – عليهم السلام - فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠﴾ البقرة: ٣٠ ، قال الشيخ: (إن أمر الخليقة، وكيفية تكوين هذا الكون على هذه الصورة، وخلق الحياة فيه، لهي من الشؤون الإلَهية التي حيّرت العقول، والتي يعزّ الوقوف عليها كما هي ، وقد قص الله علينا في هذه الآيات خبر النشأة الانسانية بطريقة لطيفة، ومثّل لنا المعاني في صور محسوسة، وأبرز لنا الحِكَم والأسرار بأسلوب المناظرة والحوار،

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٢٤١

ويعتبر بعض العلماء هذا النوع من القصص في القرآن من المتشابه، الذي لا يمكن حمله على ظاهره، ذلك أن هذه الآيات بحسب قانون التخاطب، إما أن تكون استشارة، وذلك محال على الله تعالى، وإما أن يكون إخباراً منه سبحانه وتعالى للملائكة واعتراضاً منهم ومحاجّة وجدالاً، وذلك لا يليق بجلال الله ولا بملائكته الذين ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦، وللعلماء في هذا النوع من المتشابه طريقتان:

الأولى: طريقة السلَف وهي التنزيه كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ الشورى: ١١ ، وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الصافات: ١٨٠ ، وتفويض الأمر إلى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك، مع العلم بأن الله يعلّمنا بمضمون كلامه ما نستفيد به من أعمالنا، ويأتينا في ذلك بما يقرّب المعاني من عقولنا ويصورها لمخيّلاتنا.

الثانية: طريقة الخلَف وهي التأويل، يقولون: إن قواعد الدين الإسلامي وُضعت على أساس العقل، فمن ثمَ لا يخرج شيء منها عن المعقول، فإذا ورد في القرآن أو الحديث شيء يخالف العقل حسُن تأويله حتى يقرب إلى الأذهان، وعلى هذا قالوا: إن قصة الخلق إنماوردت مورد التمثيل لتقريبها من أذهان الناس، ولفهم حالة خَلق الانسان وحال النشأة الأولى، لذا بيّن الله سبحانه أنه هو الذي أحيا الانسان ومكّن له في الأرض، ثم بين بعد ذلك أصل تكوين الانسان وما أودع فيه من عِلم الأشياء وذكّره به ... فاذكر يا محمد نعمةً أخرى من ربك على الانسان، وهي أنه قال للملائكة: إني جاعل في الأرض من أمكّنه فيها واجعله صاحب سلطان، وهو آدم وذريته، وإنها لمنزلة عظيمة وتكريم كبير لهذا الانسان.)([1])

ويفهم من كلام الشيخ، أنه يرجح مذهب الخلف، القائلين بالتأويل وعدم حمل النص على ظاهره، وهناك من العلماء من يرجح مذهب السلف، وحمل الآيات على الحقيقة، وعدم التأويل، وكلٌّ عنده أدلته وبراهينه، ولا أنوي الدخول في الخلاف بين المدرستين المنتميتين إلى أهل السنة والجماعة.

٢ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ الأعراف: ٥٤، قال الشيخ: (استوى على العرش: استولى عليه وملكه).([2])

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٦٦
(2) المرجع السابق، ج٢، ص ١٦٣

لقد وردت في القرآن ستة آيات فيها عبارة(استوى على العرش([1]))، بالإضافة إلى قوله تعالى في سورة طه: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ طه: ٥، وهي بنفس المعنى تقريباً، وكان الشيخ دائماً يفسرها بقوله: (استولى عليه)، وهو مذهب الأشاعرة، وهذا ما يرجح كون الشيخ أشعري العقيدة.

أما السلف فلا يقولون بهذا، بل يثبتونها كما جاءت من غير تأويل، قال الإمام ابن كثير - وهو من تلاميذ ابن تيمية، وابن تيمية كما هو معروف عقيدته سلفية - في تفسيره لهذه الآية: وأما قوله تعالى: (﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ الأعراف: ٥٤ ، فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١، بل الأمر كما قال الأئمة -منهم نُعَيْم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري -: (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر)، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى).([2])

٣ – كان الشيخ – رحمه الله – يشرح آيات العقائد حسب أصول وقواعد الأشاعرة، ويرد فيها عن المشركين، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ الإخلاص: ٣ - ٤،قال الشيخ: (لم يتَّخِذ ولداً ولا زوجة، ولم يولَد من أبٍ ولا أُم، فهو قَديمٌ ليس بحادِثٍ، ولو كان مولُوداً لكان حادِثا، إنه ليس له بدايةٌ ولا نهاية، و ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ الإخلاص: ٤، ليس له نِدٌّ ولا مماثِل، ولا شَبيه، ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ

(1) وردت في سورة الأعراف في الآية ٥٤، وفي سورة يونس في الآية ٣، وفي سورة الرعد في الآية ٢، وفي سورة الفرقان في الآية ٥٩، وفي سورة السجدة في الآية ٤، وفي سورة الحديد في الآية ٤.

(2) ابن كثير،"**تفسير القرآن العظيم**"، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٢٧

شَىۡءٌ﴾ الشورى: ١١ ، فهذه السورةُ الكريمة إثباتٌ وتقريرٌ لعقيدة التوحيد الإسلامية، كما أن سورةَ (الكافرون) نفيٌ لأيّ تشابُهٍ أو التقاء بين عقيدةِ التوحيد وعقيدةِ الشِرك).(1)

٤ – كان الشيخ يستعين باللغة في تفسير وشرح آيات العقائد، مع الانتصار لمذهب الأشاعرة، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢﴾ القلم: ٤٢، قال الشيخ: (يومَ يُكشف عن ساق: يوم الشدة، والعرب تكنّي بكشف الساق عن الشدة:

قد شمّرتْ عن ساقِها فشدّوا   وجدّت الحربُ بكم فجِدّوا)(2)

نجد الشيخ في تفسيره لهذه الآية لم يذكر الخلاف الواقع فيها، فهناك من المفسرين من يعدها في آيات الصفات، والبعض الآخر غير ذلك، فمن عدها في الصفات، أثبت الساق لله سبحانه وتعالى، على رأي المدرسة السلفية، فهي في نظرهم، مثل آيات الصفات كاليد والوجه وغيرها، ولكن في إطار﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَىۡءٌ﴾ الشورى: ١١، والأشاعرة يفسرونها بما قال الشيخ، أما العلماء الذين لا يعدون هذه الآية من الصفات، فإنهم يفسرونها بكلام العرب، بغض النظر عن رأي الأشاعرة.(3)

٥ – الشيخ ينفي رؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا ويثبتها في الآخرة، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِىۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ الأعراف: ١٤٣، قال الشيخ: (ولما جاء موسى في الموعد الذي وقّته له ربه لمناجاته، كلّمه ربه، لكن موسى قال: رب أرني ذاتك، لأتمتع بها وأحصل على فضيلتَي الكلام والرؤية، وأزداد شرفاً، فقال له ربّه: لن تطيق رؤيتي يا موسى، ثم أراد الله سبحانه أن يبين لموسى أنه لا يطيق رؤية ما يطلب، فقال: أنظر إلى الجبل الذي هو أقوى منك، فإن ثبت في مكانه عند التجلّي فسوف تراني اذا تجلّيت لك، فلما تجلى الله للجبل انهدّ ذلك الجبل، وبات أرضا مستوية، عند ذاك سقط موسى مغشياً عليه لهول ما رأى، فلما افاق من غشيته، قال: سبحانك، إنني أُنزّهك يا رب تنزيهاً عظيما عما لا ينبغي في شأنك مما سألت، إني

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ٦٤٦

(2) المرجع السابق، ج٤، ص ٤١٩

(3) أنظر: العثيمين: محمد بن صالح بن محمد ، **" شرح العقيدة الواسطية "**، تحقيق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الطبعة: الخامسة، ١٤١٩هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص٣٠٤

تُبْت إليك من الإقدام على السؤال بغير إذن، وأنا أول المؤمنين من قومي، بجلالك وعظمتك...ولما منع الله موسى من رؤيته، عدَّد عليه نعمه ليتسلى بها فقال: يا موسى، لقد اخترتك مفضّلاً إياك على أهل زمانك، بتبليغ التوراة، وبتكليمي إياك من غير واسطة، فخذ ما فضّلتك به، واشكرني كما يجب.

وقد وردت أحاديث كثيرة فيها إمكان رؤية الله عن اكثر من عشرين صحابياً([1])، لكنه ورد عن السيدة عائشة خلافُ ذلك، فقد رُوي عن مسروق قال: قلت لعائشة، يا أمّاه، هل رأى محمد - صلى الله عليه وسلم - ربَّه ليلة المعراج؟ فقالت: لقد قفّ شعري مما قلتَ، ثلاث من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ومن حدثك أنه يعلم ما في غدٍ فقد كذب، ومن حدثك أنه كتم شيئاً من الدين فقد كذب، قال مسروق: وكنت متكئا فجلست وقلت: الم يقل الله: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ النجم: ١٣، فقالت: أنا أول من سأل رسول الله عن ذلك فقال: (إنما هو جبريل).([2])

وهذه الرؤية هي في الدنيا، أما الآخرة فانها تختلف عن هذه الدنيا، وكل ما في الحياة الآخرة يختلف اختلافا كلياً عن حياتنا الدنيا، وترى جمهرة المسلمين أن رؤية العباد لربهم في الآخرة حق.([3])

نلاحظ أن الشيخ - رحمه الله - قد تعرض لقضية عويصة بين علماء السلف، وهي رؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا، وانطلاقاً من هذه الآية، وهي عدم قدرة موسى على رؤية الله سبحانه وتعالى، وقع خلاف بين السيدة عائشة وعبد الله ابن عباس في رؤية الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وكلاهما له وزن في العلم والصلة بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وكلاهما في الصحيحين، فالسيدة عائشة كما ذكر الشيخ تنفي الرؤية، وعبد الله بن عباس يثبت رؤية الرسول - صلى الله عليه وسلم- لربه، فقد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (رأيت ربي تبارك وتعالى([4]))،ولم يذكر الشيخ قول عبد الله بن عباس، وكونه ذكر قول السيدة عائشة، فإنه يرجح عدم الرؤية في نظري، وقصة سيدنا موسى شاهدة على ذلك، لأن الله سبحانه وتعالى قال:﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ الأعراف: ١٤٣.

---

(1) لا يوجد حديث صريح عن رؤية الله في الدنيا، فإنها مستحيلة، والرسول لم ير ربه ليلة المعراج، والمعتمد حديث عائشة في الصحيح.

(2) سبق تخريجه، أنظر الرسالة، ص ٩٨

(3) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص٢٠٢

(4) سبق تخريجه، أنظر الرسالة، ص ١٠٠

قال ابن عطية في هذه المسألة: (قال أهل التأويل ومنهم ابن عباس وأبو صالح: (رأى محمد الله تعالى بفؤاده([1]))، وقال آخرون من المتأولين المعنى: ما رأى بعينه لم يكذب ذلك قلبه، بل صدقه وتحققه، ويحتمل أن يكون التقدير فيما رأى، وقال ابن عباس فيما روي عنه وعكرمة وكعب الأحبار إن محمدا -صلى الله عليه وسلم -رأى ربه بعيني رأسه، وأبت ذلك عائشة، وقالت: أنا سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن هذه الآيات، فقال لي: (هو جبريل فيها كلها)، وقال الحسن المعنى: ما رأى من مقدورات الله وملكوته، وسأل أبو ذر رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: هل رأيت ربك؟ قال:(هو نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ ([2]))، وهذا قول الجمهور، وحديث عائشة عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قاطع بكل تأويل في اللفظ، لأن قول غيرها إنما هو منتزع من ألفاظ القرآن([3])، وقال كعب الأحبار: إن الله تعالى قسم الكلام والرؤية بين موسى ومحمد، فكلم موسى مرتين، ورآه محمد مرتين، وقالت عائشة رضي الله عنها: لقد وقف شعري من سماع هذا وتلت: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ الأنعام: ١٠٣، وذهبت هي وابن مسعود وقتادة وجمهور العلماء إلى أن المرئي هو جبريل عليه السلام في المرتين: في الأرض وعند سدرة المنتهى ليلة الإسراء، وقد ذكرتها في سورة (سبحان) وهي مشهورة في الكتب الصحاح([4])).([5])

أما في الآخرة فليس هناك خلاف بين علماء السنة في رؤية الله سبحانه وتعالى، خلافاً للمعتزلة([6])، لقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة: ٢٢ – ٢٣.

ونستنتج من كلام الشيخ أنه ينفي الرؤية في الدنيا ويثبتها في الآخرة، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، فإنهم لا يثبتون الرؤية لله في الدنيا، أما في الأخرة، فيرى المؤمنون الله سبحانه

---

(1) ابن حنبل، **"مسند الإمام أحمد"**، مصدر سابق،ج٤، ص ٣٥٢، رقم الحديث٢٥٧٨، وعلق الشيخ شعيب على الحديث، بأنه صحيح.

(2) رواه عمر بن حبيب العمري: عن خالد الحذاء، عن حميد بن هلال، عن عبدالله بن الصامت، عن أبي ذر، وعمر ضعيف الحديث، أنظر: المقدسي، **" ذخيرة الحفاظ "**، مصدر سابق، ج٣، ص ١٧٠٦، حديث رقم:٣٨٤٣

(3) نلاحظ ابن عطية يرجح عدم الرؤية لله سبحانه وتعالى في الدنيا.

(4) ابن عطية: أبو محمد عبد الحق، **"المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،ج٥، ص١٩٨

(5) وهذا الرأي رجحه أبو حيان، وقال: (حديث عائشة قاطع لكل تأويل في اللفظ)، أنظر: الأندلسي: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، **"البحر المحيط"**، دار الفكر، بيروت، لبنان الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/١٩٨٣م، ج١٠، ص١٢

(6) أنظر: ما قال الزمخشري في تفسيره لهذه الآية، الزمخشري، **"الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"**، مصدر سابق،ج٢ ، ص١٥٣

وتعالى، وهذا أحسن جزاء لهم، أما الكفار فلا يرون الله سبحانه وتعالى، وهناك أدلة قطعية من الكتاب والسنة، ولا يسعني المجال لذكرها هنا.(1)

وفي ختام هذا المطلب، أشير إلى أن العالم الإسلامي في عصرنا الحاضر، منقسم في العقيدة، فهناك بعض الجماعات تأخذ بالفهم السلفي للعقيدة، وبعض الجماعات تأخذ بالفهم الأشعري للعقيدة، مع العلم أن الفرق الإسلامية الضالة في العقيدة، كالمعتزلة والجبرية والجهمية وغيرهم، قد انتهت الآن، ولم يبق لها أثر، فنحن نلاحظ أن عقيدة الاعتزال، كانت في يومٍ ما، هي عقيدة الدولة الإسلامية، وكانت تفرض على الناس أيام المأمون الخليفة العباسي السابع، ولا ننسى ما حدث في مسألة خلق القرآن، وكيف أراد المأمون فرضها على كافة أقطار الدولة الإسلامية، وامتحن فيها الإمام أحمد بن حنبل، وأدخل السجن من أجلها، ولكن اليوم والحمد لله، انتهت هذه الفرق، وأصبحت من الماضي، ولم يبق إلا السلفيون والأشاعرة، وكلاهما من أهل السنة والجماعة، ومن المفروض أن نزيل الخلاف الواقع بينهما، وأن نوفق بينهما، لأن كليهما على حق، وكل هذا الخلاف والجدل الواقع بينهما، غرضه واحد، وهو تنزيه الله سبحانه وتعالى عن التشبيه والتجسيم.

---

(1) أنظر: العثيمين ، **" شرح العقيدة الواسطية "**، مرجع سابق، ص ٤٤٨

المطلب الرابع: الاتجاه العلمي

التفسير العلمي هو التفسير الذى يستخدم الاصطلاحات العلمية فى تفسير القرآن، ويجتهد فى استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها([1])، وهو التفسير الذي يفسر الآيات، وفق مقررات وحقائق العلم الحديث، ويذكر ما في الآيات من الموضوعات العلمية.

ويعتبر هذا النوع من التفسير من المسائل الخلافية بين العلماء، قديماً وحديثاً، وليس في عصرنا الحاضر فقط، وقد أجازه من العلماء قديماً، الإمام الغزالي، والإمام الرازي، والإمام السيوطي، وعارضه الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات، وهو عالم من علماء الأندلس.

أما في العصر الحديث، فقد اختلف العلماء فيه أيضاً، بين مثبت ومانع له، فمن المجيزين له الإمام محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، والأستاذ مصطفى صادق الرافعي، والدكتور محمد عبد الله دراز، وعبد الوهاب حمودة، والأستاذ محمد أحمد الغمراوي... ومن المانعين له، الشيخ أمين الخولي زوج الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) – رحمهما الله – والشيخ محمود شلتوت، شيخ الأزهر الأسبق، ومن المفسرين الذين أطنبوا في التفسير العلمي في هذا العصر، الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره الجواهر، فقد أكثر من هذا النوع من التفسير، حتى أخرج معاني الآيات، عن المعنى المراد والمقصود، وانتقده كثيرٌ من العلماء فيما ذهب إليه، وقد بحث مسألة التفسير العلمي بالتفصيل، أستاذنا الدكتور فضل عباس في كتابين له – (إعجاز القرآن الكريم)، و(التفسير أساسياته واتجاهاته) – وخلص إلى نتائج، ووفق بين المانعين والمجيزين له، بشروط، وأعطى رأيه في المسألة، ولأهمية كلامه سأورده هنا، يقول الدكتور فضل:

١ – إن التفسير العلمي ضرورة تتطلبها هذه الفترة الزمنية التي نعيشها، شريطة أن يتهيأ لذلك ذوو الاختصاص.

٢ – موافقة اللغة موافقة تامة بحيث يطابق المعنى المفسر المعنى اللغوي.

٣ – عدم مخالفة صحيح المأثور عن الرسول عليه وآله الصلاة والسلام، أو ما له حكم المرفوع.

٤ – موافقة سياق الآيات بحيث لا يكون التفسير نافراً عن السياق.

٥ - التحذير من أن يتعرض التفسير العلمي لأخبار وشؤون المعجزات.

٦ – أن لايكون التفسير حسب نظريات وهمية متداعية، بل لا بد أن يكون حسب الحقائق العلمية الثابتة.

---

(1) الذهبي، **"التفسير والمفسرون"**، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٤٩

ويختم بقوله: ونحن نرى أن الخروج عن هذه الشروط، يعرض المفسر لخطر وخطل لا تحمد عقباهما.(1)

وأنا مع الدكتور في ما ذهب إليه، لأن القرآن دستور الأمة في كل زمان ومكان، ومن إعجازه أنه يتماشى مع كل تطورات العصور وعجائبها.

أما الشيخ القطان فقد تعرض إلى هذا النوع من التفسير في تفسيره، لأن هناك عدة أمور جاء بها العلم في العصر الحديث، وأشار إليها القرآن قبل مئات السنين، ولا يخفى علينا أن عدة علماء غربيين أسلموا بعدما توصلوا إلى نتائج في العلم، وتبين لهم أن القرآن قد ذكرها منذ أمد طويل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ سبأ: ٦ ، وقصة البروفيسور (كيث مور) من أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم معروفة، ويعرفه تقريباً كل أطباء العالم، وله كتاب يُدَرَّس في معظم كليات الطب في العالم، وقد ترجم هذا الكتاب لأكثر من ٢٥ لغة، فهو صاحب الكتاب الشهير (The Human Developing)، وقد دخل في الإسلام، وصرح قائلاً: (إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار الجنين في القرآن الكريم، ولست أعتقد أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - أو أي شخص آخر، يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين، لأن هذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين، وأريد أن أؤكد على أن كل شيء قرأته في القرآن الكريم عن نشأة الجنين وتطوره في داخل الرحم، ينطبق على كل ما أعرفه كعالم من علماء الأجنة، علماً أن مراحل خلق الإنسان، التي ذكرها القرآن هي سبع مراحل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٢ - ١٤ ، وقد أثبت علم الأجنة هذه المراحل وصحتها وتطابقها مع المراحل المذكورة في القرآن، وهذه المراحل هي: (أصل الإنسان (سلالة من طين)، ثم النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، ثم العظام، ثم الإكساء باللحم، ثم النشأة).(2)

---

(1) أنظر: عباس فضل،**"التفسير أساسياته واتجاهاته"**، مرجع سابق، ص٦٢٣، وانظر: عباس: فضل حسن، سناء فضل عباس، **" إعجاز القرآن الكريم "** الطبعة السابعة، دار النفائس عمان، الأردن، ص ٢٦٠.

(2) أنظر: موقع منتديات (اذكر الله) على شبكة الانترنات http://forums.ozkorallah.com

وكذلك بعد اكتشاف مرض الإيدز الخطير والقاتل([1]) في العصر الحديث، حيث علم علماء الغرب أسبابه([2])، وأن الإسلام قد حرمها منذ فترة طويلة، فأعلن عدة علماء منهم إسلامهم، ونرى أن العلماء في الغرب كلما اكتشفوا أشياء في العلم، واتضح لهم أن القرآن قد نبه لها، فيكون هذا من أكبر الاسباب في دخولهم للإسلام، والإقبال عليه، ومن هؤلاء: أستاذ علم التشريح الأمريكي بيرسود، والفلكي الياباني يوشيهيدي كوزاي، والعالم البحري الأمريكي وليام دبليو، وعالم الجيولوجية الألماني ألفريد كرونير، وغيرهم كثير، وكلٌّ له قصته مع الإسلام، ولا يمكن عرضها هنا لخصوصية هذا البحث.([3])

والشيخ قد عاش في هذه الفترة، وتطرق إلى عدة موضوعات من التفسير العلمي في تفسيره، وسأذكر أمثلة على ما قلته:

١ – ذكر الشيخ المفاسد التي تنتج عن الجماع أثناء الحيض ، وكيف أشار القرآن إلى هذا قبل الطب،وتأكيد هذا الأخير على المفاسد التي تنتج عن هذا الجماع، والتحذير منه، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٢، قال الشيخ بعد تفسيره لهذه الآية: (وقد أثبت العلم الحديث أن الحيض فيه أذى، إذ يكون المهبل آنذاك ميداناً مفتوحاً للجراثيم، فالاتصال الجنسي في الحيض يعمل على وصول هذه الجراثيم إلى المهبل، فتصيبه بمختلف الالتهابات، التي قد تمتد إلى الجهاز التناسلي، فتتولد مضاعفات، قد تؤدي إلى العقم، وتعود العدوى إلى الرجل عن طريق قناته البولية، وقد تمتد الاصابة إلى المثانة والحالبين بل إلى قاعدة الكليتين، حتى تصاب البروستات والخصيتان، بما قد ينتج عنه الضعف الجنسي أو العقم، والمرأة أثناء الحيض تكون راغبة عن الرجل، فالاتصال الجنسي بها في ذلك الوقت قد يؤثر في أعصابها من هذه الناحية، لذلك علّمنا القرآنُ الكريم أن نعتزل المرأة في وقت الحيض، أما مخالطتها ومسها، والأكل معها، والنوم في فراشها، فكل هذا جائز وغير ممنوع).([4])

---

(1) وهوعبارة عن نقص المناعة المكتسبة، وهو مرض العصر، و ينتشر بسبب العلاقات الجنسية المحرمة، وأخطاره عظيمة جداً، ويؤدى إلى الوفاة ويصيب الجنسين، ولم يجد له الطب الحديث علاجا حتى الآن.

(2) له أسباب عديدة ، ولكن ٩٠% من حالته بسبب العلاقات الجنسية المحرمة بأنواعها، كالزنى واللواط والسحاق، وغيرها.

(3) موقع اللجنة العالمية لنصرة خاتم الانبياء – صلى الله عليه وسلم – على شبكة الانترنات، تحت عنوان(القرآن معجزة المعجزات لايعرفه إلا أولى العلم) http://www.nusrah.tv

(4) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص١٨٤

٢ – ذكرحقائق علمية تتعلق بخلق الإنسان، وذكرها القرآن قبل مئات السنين، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ الطارق: ٥ – ٧، قال الشيخ: (فلينظر الانسانُ ويفكّر في مبدأ خلْقه، لقد خلقه الله من ماءٍ متدفق، من مَنِيٍّ فيه ملايينُ المخلوقات التي لا تُرى بالعين المجردة، ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ الطارق: ٧ ، أيْ من الصُّلب وعظم الصدر، من الرجل والمرأة، فإذا دخَل المنيُّ رحِمَ المرأة وكانت مهيَّأةً للحمل، التقى بالبويضة التي في الرحم، وكوّنت معه جرثومة الجَنين، وقد بينت الدراسات الحديثة أن نواةَ الجهاز التناسلي والجهاز البولي في الجَنين تظهر بين الخلايا الغضروفية المكوِّنةِ لعظام العَمودِ الفَقري، وبين الخلايا المكونةِ لعظام الصدر، وتبقَى الكُلى في مكانها وتنزل الخَصيةُ إلى مكانها الطبيعي في الصَفَنِ عند الولادة،كما أن العصب الذي ينقل الإحساسَ إليها ويساعدها على إنتاج الحيوانات المنوية وما يصاحب ذلك من سوائل، متفرعٌ من العصَب الصدريّ العاشر، الذي يغادر النخاعَ الشوكيَّ بين الضِلعَين العاشر والحادي عشر، وواضح من ذلك أن الأعضاءَ التناسلية وما يغذّيها من أعصابٍ وأوعية تنشأ من موضع في الجسم بين الصُّلب والترائب، (العمود الفقري والقفص الصدري)، وهذه الأمور الدقيقة لم يكتشِفها العِلم إلا حديثاً بعد هذه القرون الطويلة، ومن هذه يتبين بوضوحٍ أن الانسانَ يُخْلَق وينشأ من ماءِ الرجل الدافق، وأهمُّ ما فيه الحيوانُ المنوي؛ وماء المرأة وأهم ما فيه البُوَيضة، ونشوؤهما وغذاؤهما وأعصابُهما كلُّها من بين الصلب والترائب).(1)

٣ – انتقد الشيخ العلماء الذين فسروا آيات القرآن، بتفسير علمي غير منطقي، وبعيد عن المعنى المراد والمقصود، فرد عليهم الشيخ وانتقدهم، ووضح معنى الآيات، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥ ﴾ الفيل: ٣ – ٥، قال الشيخ: (لقد سلّط عليهم من جنوده طيراً أتتهم جماعاتٍ متتابعة، وأحاطتْ بهم من كلّ ناحية، وجعلت تقذفهم بحجارةٍ من طينٍ متحجّر، كانت تخترقهم كالرّصاص، وتقتل من تصيبُه حالاً، وهكذا جعلهم كورقِ الشجرِ الذي عَصَفَتْ به الريح، وهذه معجزةٌ عظيمة، تدلّ على حُرمة البيت الحرام، وقد فسّر بعض العلماء أن الطيرَ الأبابيلَ هو وباءُ الجدري والحصبة، وما أشبه ذلك، وهذا غيرُ وارد، فلقد نزلت هذه السورة في مكة، وكان كثيرٌ من رجالات قريش ممن شهدوا الحادثَ لا يزالون أحياء عند نزول هذه السورة، ولم يعترضوا

(1) القطان، تيسير التفسير،ج٤ ، ص ٥٦٩

عليها، فهي من خوارق العادات والمعجِزات المتقدمة بين يدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام([1])).([2])

٤ – ذكر بعض الحقائق التي أثبتها العلم، وذكرها القرآن، وبين أن هذا نوعٌ من الإعجاز، ويدل على أن القرآن معجزة إلهية، وأنه من عند الله، وليس من عند الرسول – صلى الله عليه وسلم- فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ النور: ٤٠،

قال الشيخ: (وهذه صورة أخرى من صور حال الكفار الجاحدين ، فأعمالُ الكافرين في الدنيا كمثل السراب الذي ليس بشيء، أو كهذه الظلمات في البحر العميق، تتلاطم أمواجُه، ويتراكم بعضها فوق بعض، ومن فوقِ ذلك كله سحابٌ كثيف مظلم، لو رفع الإنسان يدَه إلى وجهه لما رآها من شدة الظلام، إن قلوب الكافرين وأعمالَهم مثلُ هذه الظلمات المتراكمة، تراكمت عليها الضلالات، فهي مظلمة، في صدور مظلمة، في أجساد مظلمة، ولقد جمع الله تعالى في هذا الوصف بينَ الليل المظلم، وتراكُب الأمواج في البحر بعضها فوق بعض، ومن فوقها السحاب الكثيف، وهذا أشدُّ ما يكون من الظلمات.

وتجمع هذه الآية الكريمة أهم ظواهر عواصف المحيطات العظيمة، وهذا من أكبرِ الأدلة على أن القرآن من عند الله، لأن الرسول الكريم لم يركب المحيطاتِ وكان يعيش في بلاد صحراوية، فورودُ هذه الدقائق العلمية دليل على أنه وحي من عند الله).([3])

---

(1) القطان، تيسير التفسير،ج٤، ص ٦٣٠

(2) وهو بهذا يوافق الدكتور فضل، في شروطه التي اشترطها في التفسير العلمي، وقد أشرنا إليها سابقاً، وهي أن المعجزة لا تفسر تفسيراً علمياً.

(3) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص ٢٦٢

المطلب الخامس: تنزيل آيات القرآن على الواقع المعاصر

إن الأحداث التي عاشتها الأمة الإسلامية في العصر الحديث كانت خطيرة، ابتداءاً من انتهاء فترة الاستعمار، وتقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة، وإقامة دولة يهودية في فلسطين، وهي قلب العالم الإسلامي، وفيها أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ووقوع معظم العالم الإسلامي في ركود علمي واقتصادي واجتماعي، وتقدم العالم الغربي في شتى الميادين، والشيخ القطان قد عاش في هذه الفترة، وتأثر بمعظم الأحداث، وكلامه في تفسيره لآيات القرآن واضح جلي، ومن خلال قراءتي له، وجدته لا يمر بمشكلة من مشكلات العصر إلا ويتكلم عنها ويحاول علاجها، وإيجاد الحلول الممكنة لها من القرآن، وبهذا يكون الشيخ القطان قد أراد من تفسيره أن يكون مناسباً للعصر، ومرآة له وعلاجاً لمشكلاته، فهو يغتنم كل فرصة في تفسيره لآيات القرآن، ويربطها بواقع الأمة، ويوجه القرآن لإصلاح المجتمع، وقد تأثر الشيخ في هذه الاتجاه بمدرسة الشيخ محمد عبده في التفسير، والتي من أهم شروطها، معالجة مشكلات العصر وواقع الأمة بالقرآن الكريم، وهذا ما فعله محمد رشيد رضا في تفسيره المنار، ويعتبر الشيخ من تلاميذه كما ذكرنا سابقاً، وسأذكر أمثلة من تفسير الشيخ في معالجته لمشكلات العصر وواقع الأمة.

١ – زار الشيخ عدة بلدان عربية وأجنبية، كونه كان سفيراً ووزيراً ومفتشاً، وقد قارن المجتمع العربي بالمجتمع الأجنبي، وحاول الاستفادة من العادات الحسنة عندهم، ونقد أحوال المجتمع العربي والإسلامي ودعا إلى إصلاحه، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ التغابن: ١٦، قال الشيخ: (والسعيدُ منكم أيها الناس هو الذي يتغلب على نفسه، ويتقي بُخْلَها الشديد، فينفق في سبيل الله، وفي سبيل وطنه وأمته، فيكون من المفلحين في الدنيا والآخرة، أيها الناس، إن الاغنياء في الغرب يُنفقون معظم ثرواتهم على عمل الخير، وعلى البحث العلمي الذي هو مفقود عندنا، وعلى المستشفيات والجامعات والمصالح الخيرية، والأغنياء عندنا ينفقون على أنفسِهم، ويبذّرون أموالهم في الأعراس والحفلات التي تُغضب الله، وعلى ملذاتهم وشهواتهم، ومقامراتهم ومغامراتهم مما لا يجدي نفعا، ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ ﴾ الإسراء: ٢٧).[1]

٢ – كان الشيخ دائماً يتعرض للقضية الفلسطينية في تفسيره، ووجود دولة لليهود في فلسطين الحبيبة، ويحاول شرح أسباب وجودها وقرب زوالها بإذن الله، فعند تفسيره لقوله تعالى:

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ٣٧٥

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

الإسراء: ٤ – ٨، قال الشيخ في تفسيره لهذه الآيات: (هذا محصل تاريخ اليهود في فلسطين والله أعلم، فاذا تأملنا في الآيات الكريمة نجد النصَّ الصريحَ على أن بني اسرائيل إذا حكموا وسيطروا طغوا وبغوا وأفسدوا في الأرض، وعلَوا علواً كبيرا، وإذا لم يحكموا أفسدوا وسيطروا على المال، وهذا ما نراه اليوم من طغيانهم وبيغهم وتسلطهم في فلسطين، وهم في بقية انحاء العالم أيضا مفسِدون مسيطرون، يسيِّرون الحكام والزعماء على أهوائهم وحسب ما يريدون، وينشرون الفساد في كل أرجاء العالم، وسيظلون على هذا الحال، ولا يمكن أن يغيروا من طباعهم، وتعاليم دينهم المحرَّف، والله تعالى يقول: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ الإسراء: ٨،فالمفهوم أن اليهود عادوا وسيعودون إلى الإفساد ما دام لهم سيطرة، وفيهم بقية، فلهم جهنم تحصرهم، فلا يفلت منهم أحد، وتتسع لهم فلا يند عنها أحد، فالمفسرون على اختلاف طبقاتهم اعتبروا المرَّتين مضى زمانُهما، الأولى في عهد نبوخذ نصر، والأخير في عهد تيطس الروماني، حيث زال الهيكل وزال حكمهم، وفي عصرنا هذا وبعد وجود كيان اليهود الجديد، كتب بعض المفكرين يقول: إن الفترة الثانية هي هذه بوجود دولة إسرائيل، (ودار نقاشٌ طويل في الصحف والمجالس، وشهدتُ بعض هذا النقاش في المغرب لما كنتُ هناك) وأن الله سيبعث عليهم من يدمرهم.

والواقع أن وجود اسرائيل تقوّى وتتمركز، بتفككنا نحن العرب والمسلمين، وبعدنا عن ديننا، ونحن الذين جعلناهم أقوياء بخلافاتنا، ومحاربة بعضنا، وواقعهم غير صحيح، ودولتهم تعتمد على شيئين: أمريكا تمدها بالمال والسلاح، وضعفنا وانشقاقنا وخلافاتنا، فمتى وحّدنا كلمتنا

وجمعنا صفوفنا وعزمنا على استراداد مقدساتنا فإن إسرائيل تزول ولا يبقى لها وجود، والله تعالى يقول: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ محمد: ٧).[1]

٣ – تطرق الشيخ من خلال تفسيره إلى قضية التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع، من خلال الرجوع إلى قيم وتعاليم ديننا الحنيف، واتباع سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – والسلف الصالح، فعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧ ﴾ الماعون: ٧، قال الشيخ: (ويمنعون عن الناس معروفَهم ومعونَتَهم، وهؤلاء موجودون في كل زمانٍ وكل مكان، وتنطبق هذه الآية الكريمة على معظم العرب والمسلمين، ولا يمكن أن ننهضَ ونصيرَ أمةً ذاتَ كرامةٍ وسيادة إلا إذا أصلحْنا أنفسَنا، وأعدْنا النظر في تربية النَّشْءِ تربيةً صالحة، وسِرنا على تعاليم ديننا الحنيف، مُقْتَدين بسيرةِ سيّدنا محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - وأصحابِه وسَلَفِنا الصالح، وأخذْنا بالعلم الصحيح).[2]

٤ – تناول الشيخ في تفسيره، المشكلات التي تتخبط فيها الشعوب العربية، مثل غلاء الأسعار، ونهب ثرواتها، وسيطرة الشركات الأجنبية على خيراتها، واعتبر ذلك بلاءاً من الله، وعقاباً لها، لابتعادها عن تعاليم دينها الحنيف، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ۝٣٩ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٤٠﴾ العنكبوت: ٣٩ - ٤٠ ، قال الشيخ: (وأهلك الله فرعون وقارون وهامان، الذين جاءهم موسى بالمعجزات الواضحة، فاستكبروا وكفروا، فما استطاعوا أن ينجوا من عذاب الله الأليم، بل أخذَهم الله بذنوبهم، فعادٌ أخذهم حاصبٌ، وهو الريحُ الصرصر، التي تتطاير معها حصباء الأرض، فتضربهم وتقتلهم، وثمود أخذتهم الرَّجفة والصيحة، وقارون خَسف به وبداره الأرض، وفرعون وهامان غرقا في اليمّ، وذهبوا جميعا مأخوذين بظلمهم، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٤٠﴾ العنكبوت: ٤٠ .

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٦٧٩، بتصرف

(2) المرجع السابق، ج٤، ص ٦٣٤

وإذا نظرنا إلى أحوال الأمم الآن في معظم أقطار الأرض، نجد الفتنَ والحروب والمشكلات التي لا تنتهي، وغلاء الأسعار المتزايدَ في جميع أقطار الأرض، أليسَ هذا كلّه من أنواع العذاب والبلاء! لكن فرعون اليوم هو أمريكا وأوروبا من دول الاستعمار، وهامان هو بعض الحكّام الذين لا يخلصون لشعوبهم، أما نحن المسلمين، فقد حِدنا عن جادة الصواب، وانحرفنا عن ديننا، واتبعنا أهواءنا فضعُفنا وتخاذلنا وتأخرنا، وصرنا نهباً للأمم، تنهب شركاتها خيراتنا، حتى التي في باطن الأرض، وتغتصب أراضينا بتواطؤ بعضنا في ذلك، أليس هذا من العذاب)!(1)

---

(1) القطان، تيسير التفسير،ج٣ ، ٣٩٩

المطلب السادس: أخذه من الكتب المقدسة

إن ثقافة الشيخ الواسعة، وشغله لعدة مناصب سيادية، وزيراً ومفتشاً وسفيراً، أهله أن يكون مطلعاً على ثقافات دينية مختلفة، وإن كان قصده من التفسير كما ذكرنا سابقاً التيسير، وتقريب التفسير من القاريء، وبهذا يبتعد عن التعقيد، والخوض في الإسرئيليات، وغيرها من الأمور التي تجعل التفسير جامداً، وهو من المتأثرين بمدرسة محمد عبده ومنهجه في التفسير، لكننا نجده يقع فيما هو أغرب من هذا! فكان يأخذ من الكتب المقدسة، ويقارنها بالقرآن الكريم، وهذا المنهج جديد في التفسير، ومستحسن في هذا العصر، لظهور ما يسمى بفكرة التقريب بين الأديان، وحوار الأديان، ومقارنة الأديان، وغيرها من الدعوات الجديدة في هذا العصر، وكأن الشيخ يقتدي بالشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار، والشيخ أبوزهرة في تفسيره زهرة التفاسير، فهناك عدة مفسرين اطلعوا على الكتب المقدسة، وقارنوا بينها وبين القرآن، خصوصاً في الموضوعات المشتركة بين القرآن والأناجيل والتوراة، ولم يسهب الشيخ في ذكر المعلومات من كتبهم إلا بقدر الحاجة إليها في التفسير، وكان في الأغلب يرد عليهم، ويبين التحريف والكذب، ومن المعلوم أن هناك موضوعات مشتركة بين الكتب المقدسة – رغم تحريفها - وبين القرآن، كقصة المائدة، وعرضها لبعض القصص التي ذكرها القرآن بشيء من التفصيل، والقرآن قد رد عليهم في عدة آيات، كبيان بطلان عقيدة التثليث، وبيان أن عيسى رسول كغيره من الرسل، وليس هو بابن الله، وغيرها من الموضوعات التي بين بطلانها، وموجودة في كتبهم، وبهذا يكون الإنسان مطلعاً على ما عندهم من أفكار، ونجد في عصرنا الحاضر، كثيراً من النصارى واليهود يدرسون القرآن والسنة، وغيرها من مصادر الإسلام، بقصد إثارة الشبهات، ولا يخفى علينا مافعله المستشرقون، في نقد القرآن والسنة والوحي وغيرها، وهناك علماء درسوا الكتب المقدسة - القرآن والتوراة والأنجيل - وقارنوا بينها، مثل ما فعل الدكتور موريس بوكاي([1]) في كتابه (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، الذي قادته هذه الدراسة إلى الدخول في الإسلام.

أما الشيخ في تفسيره فقد رجع إلى الكتب المقدسة، وسأذكر أمثلة في أخذه من هذا الكتب، وكيف كانت طريقته في الأخذ:

١ – نقل الشيخ كلاماً عن الدكتور موريس بوكاي، في بيانه لكذب التوراة، في ذكرها لقصة نوح والطوفان الذي أهلك الله به قومه، ومقارناً بينها وبين رواية القرآن، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن

---

(1) سبق التعريف به، انظر الرسالة، ص٣٠

كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ

﴿٢٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٧، قال الشيخ: (وقد مرّت قصةُ نوح في سورة هود بتفصيلٍ أوسعَ في الآيات ٢٥ الى ٤٩ ومر شرحها([1])، فلا داعي لتكرار ذلك، وإنما أذكر موجَزا لبحثٍ قيّم أورده الدكتور موريس بوكاي في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) إذ يقول ما ملخصه: (الاصحاحات ٦ ، ٧ ، ٨ ، من سفر التكوين مكرَّسةٌ لرواية الطوفان، والحقيقة أن في هذه الإصحاحات الثلاثة تناقضاتٍ صارخة، تقول الرواية: إن الأرض تغطّت حتى قمم الجبال وأعلى منها بالماء، وتدمَّرت الحياة كلها، وبعد سنةٍ خرجَ نوح من السفينة التي رست على جبلِ أراراط بعد الانحسار، وتقول الرواية اليهودية إن مدة الطوفان أربعون يوماً، وتقول الرواية الكهنوتية أن المدة مئةً وخمسون يوماً، ومعنى هذا أن البشريَّة قد أعادت تكوينها ابتداءً من أولاد نوح وزوجاتهم! أما المعطيات التاريخية فإنها تثبت استحالَة اتفاق هذه الرواية مع المعارفِ الحديثة، فإذا كان الطوفان قد حدث قبل ثلاثة قرون من زمن إبراهيم، كما يوحي بذلك نصٌّ سِفر التكوين في الانساب، فإن الطوفان يكون قد وقع في القرن ٢١ أو ٢٢ قبل الميلاد.

وفي العصر الحديث لا يمكن تصديق هذا التاريخ، إذ من المعلوم بأن حضاراتٍ متقدمةً بقيت آثارها خالدة قد نمت في هذه الفترة في بلاد ما بين النهرين وفي مصر، فكيف يكون الطوفان قد عمّ الأرضَ جميعها! فالنصوص التوراتية إذنْ في تعارضٍ صريح مع المعارف الحديثة، وأن وجود روايتين لنفس الحدَث، هذا بالإضافة إلى التضارب الذي تحويانه، يوضح بصورةٍ قطعية أن أيدي البشَر قد حوّرت الكتب التوراتية.

أما القرآن الكريم فإن رواية الطوفان فيه كما يبسطها تختلف تماماً عن رواية التوراة، ولا تثير أيّ نقدٍ من وجهة النظر التاريخية، وذلك لأسباب بسيطة جداً، فالقرآن لا يحدد الطوفان بزمان، ولا يذكر كارثةً حلّت بالأرض قاطبة، ولكنه يذكر عقاباً سُلِّط على قومِ نوح دون سواهم، وهذا يدل دلالةً قاطعة على أن القرآن أُنزل بوحي من عند الله).([2])

ونحن نرى كيف توصل هذا العالم الأجنبي إلى الحقيقة، بعد مقارنة القرآن بالتوراة، وتبين له بطلان وتحريف التوراة، وأن القرآن مختلف عنها، لأنه لم يتعرض إلى تحريف مثلها، وإنه منزل من عند الله، ووحي يوحى.

٢ – كان الشيخ يُعرِّفُ بمعظم الأناجيل الموجودة عند النصارى، ويبين أنواعها، والفرق بينها، ومن هي الأقرب إلى القرآن، وكيف يتعامل النصارى معها عندما يجدون فيها شيئاً موافقاً

---

(1) يسمى تفسيراً، وليس شرحاً للآيات.

(2) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص ٢١٥

للقرآن، كالتبشير بنبوة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وكان يذكر هذا في معرض الآيات التي تتحدث عن المسيح بن مريم وقصته ومعجزاته، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ آل عمران: ٤٧ – ٤٨، قال الشيخ: الإنجيل: (كلمة يونانية وردت في القرآن الكريم، معناه (البشرى)، وتطلق اليوم على كل من الأناجيل التي تترجِم للمسيح في مجموعة (العهد الجديد)، وهي أربعة: متّى ومرقص ولوقا ويوحنا، والأناجيل المتوازية هي الأناجيل الثلاثة (متى ومرقص ولوقا)، سُميت كذلك لتقاربها من بعضها أكثر من تقاربها مع الإنجيل الرابع، إنجيل يوحنا، الذي يختلف عنها في غايته، وتسمى مشكلة صلة هذه الأناجيل الثلاثة بعضها ببعض (المشكلة المتوازية)، ومؤداها أن إنجيلي متّى ولوقا يحويان عناصر غير موجودة في إنجيل مرقص، وتتفق هذه الأناجيل الثلاثة في أنها تترجم للمسيح رغم وقوف كل منها في ترجمته عند حد معين، وتوضيح مزية خاصة من مزاياه، مع بعض الاختلاف في بعض الحوادث والتواريخ، أما إنجيل يوحنا فهو تأمل لاهوتي في تعاليم المسيح، مع الاحتفاظ بالإطار التاريخي الأساسي، وإنجيل متّى هو أول كتب العهد الجديد، يعزى إلى متّى تلميذ المسيح، وقد وصلنا في الثلث الثاني من القرن الأول للمسيح قبل سنة سبعين، وإنجيل مرقص هو ثاني كتب العهد الجديد، وأصغر وأبسط الأناجيل الأربعة، وإنجيل لوقا الكتاب الثالث من العهد الجديد، وقد دُوّن في أواخر القرن الأول، وهو الإنجيل الوحيد الذي يتكلم عن ولادة المسيح، كما يعرض لصَلبه وبعثه، وفيه نصوص لم ترد في الأناجيل الأخرى، وإنجيل يوحنا هو الكتاب الرابع في العهد الجديد، وضعه الرسول يوحنا، وهو يختلف عن الأناجيل الثلاثة المذكورة في مادته وتعاليمه، وقد أورد الدكتور محمد وصفي في كتابه: (المسيح والتثليث) أسماءً لسبعة وثلاثين إنجيلاً، منها إنجيل برنابا، وهو مطبوع في مصر، وحديثاً في طبعة أنيقة في بيروت، وقد أقتنيته، وفيه نصوص كثيرة تخالف الأناجيل الأربعة مخالفة جوهرية، وفيه بشارة صريحة بسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- ولكن المسيحين لا يعترفون به، ويقولون إنه مزيف، وفي كتاب الدكتور محمد وصفي (المسيح والتثليث) نصوص صريحة في مخالفة الأناجيل الأربعة لبعضها البعض واضحة جدا، وكذلك هنا اختلاف بين طبعات الكاثوليك وطبعات البروتستانت، وقد قال (فاستس) في القرن الرابع وهو من علماء (ماني كيز): إن الانجيل المنسوب إلى متّى ليس من تصنيفه، وقال: (اشلاير ماخر) في كتابه (الأبحاث عن إنجيل لوقا): ليس إنجيل لوقا إلا كتباً مختلفة كتبت في أزمنة غير معينة، على أيدي قوم

مجهولين، وبعض الفرق المسيحية كالفرقة الموسونية والفرقة الابيونية وفرقة يوني تيرن أسقطت البابين الأول والثاني من إنجيل لوقا، مع وجود الاختلاف الكبير بين كتابيهما وكتاب لوقا الحالي كذلك، وقال العلامة الألماني رويس: أن إنجيل يوحنا مجرد رأي لأحد المسيحين نَزَعَ فيه إلى بيان رأيه الخاص فيما أتى به المسيح عليه السلام، ولقد أكد (استاولن) إن إنجيل يوحنا ليس إلا كتاباً كتبه بعض الطلبة من مدرسة الاسكندرية، وقد استبعد (مسيو موريس فرن) في دائرة المعارف البريطانية، كون الأناجيل الثلاثة المعزوة إلى متى ومرقص ولوقا من تصنيفهم، وحين وصل إلى الكلام عن إنجيل يوحنا قال: لا شك أنه كتابٌ دخيل مزوَّر، أراد أن يوجد تناقضاً بين أقوال القديسَين متى ويوحنا، ومن أراد الاستزادة فعليه أن يرجع إلى كتاب الدكتور محمد وصفي (المسيح والتثليث) وكتاب (إظهار الحق) للشيخ رحمة الله الهندي، وكل هذه الأقوال والانتقادات من علماء المسيحية أنفسهم، ونحن نعتقد أن هذه الأناجيل كلها محرَّفة، مؤلفوها مجهولون، وأن الإنجيل الصحيح الكامل مفقود كما جاء في القرآن الكريم).(1)

لقد أوردت كلام الشيخ بكامله، لأهميته، ونحن نعلم أن الأناجيل الموجودة عند النصارى قديماً وحديثاً كثيرة، وليست واحدة مثل القرآن عندنا، ولا يوجد نصراني على وجه الأرض يستطيع حفظ واحد منها، بينما نحن عندنا الذين يحفظون القرآن بالملايين، وكل هذا الكلام من الشيخ، للتعريف بها، وبيان تحريفها، وأنها من صنع البشر.

٣ – كان الشيخ يذكر بعض قصص الأنبياء، ويقارن بين ما قاله القرآن و قالته الكتب المقدسة، ويذكر أوجه الشبه والاختلاف بينهما، فمثلاً عند تفسيره لقصة أيوب في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٣ – ٨٤، قال الشيخ: (اذكر أيها النبي قصة أيوب حين دعا ربه وقد أضناه المرض، ومسّه البلاء، فقال: يا رب، قد أصابني الضر وأنت الكريم الجواد، وأنت أرحم الراحمين، فاستجبنا له دعاءه، وعافيناه ورفعنا عنه الضر، وأعطيناه أولاداً بقدْر من مات من أولاده، وزدناه مثلهم، رحمةً به من فضلنا، وتذكرة لغيره من العابدين.

وقصة أيوب من القصص الرائعة، والنصوصُ القرآنية تشير إلى مجملها دون تفصيل، وقد ذُكر صاحبها في القرآن أربع مرات: في سورة النساء، والأنعام، والأنبياء، وص، وله سِفر خاص به في العهد القديم يحتوى على ٤٢ إصحاحا في خمسة فصول كبيرة:

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٢٥٩

الأول: يتضمن تقوى أيوب وأملاكه وأقاربه وصفاته.

الثاني: يتضمن ما جرى بينه وبين أصحابه من الجدال.

الثالث: يذكر أقوال الحكمة التي نطق بها (الياهو) أصغر أصحاب أيوب.

الرابع: يذكر مخاطبة الله إياه من العاصفة.

الخامس: يتضمن خضوعه وشفاءه وتعويض ما فقده من المال والأهل.

وأيوب من أنبياء العرب كان يسكن أرض (عُوص) في شرق فلسطين أو في حوران([1])، وهو من بني إبراهيم كما جاء في سورة الأنعام ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الأنعام: ٨٤ ، وسِفرأيوب عربي الأصل، بما فيه من أسماء للأشخاص والأماكن، ومن وصف لبادية الشام وحيواناتها ونباتاتها، يقول الأب لويس شيخو في كتابه: النصرانية وآدابها، وهو يذكر علم النجوم: (ولنا شاهدٌ في سِفر أيوب على معرفة العرب لأسماء النجوم وحركاتها في الفلك، إذ كان أيوب النبي عربي الأصل، عاش غربي الجزيرة حيث امتحن الله صبره)، ويقول الدكتور جواد علي في كتابه: تاريخ العرب قبل الإسلام: (من القائلين بأن سفر أيوب عربي الأصل والمتحمسين في الدفاع عن هذا الرأي المستشرقُ (مرجليوث)، وقد عالج هذا الموضوع بطريقة المقابلات اللغوية ودراسة الأسماء الواردة في سفر أيوب، وقد أكد هذا الرأي كثير من المؤرخين).

وخلاصة قصته أنه كان صاحب أموال كثيرة، وابتلاه الله بأن أذهبَ أموالَه حتى صار فقيراً، وابتلاه بجسده حتى نفر عنه أقاربه، وبقي طريحاً مدة من الزمن، وهو صابر مستمرٌّ على عبادته وشكره لربه، ثم إن الله تعالى عافاه ورزقه، وردّ له أحسن مما ذهب عنه من المال والولد).([2])

٤ – كان الشيخ يأتي بأدلة للنصارى، من كتبهم المقدسة، ويذكر رأي القرآن إلى جانب آراء الكتب المقدسة، ويرجح دائماً رأي القرآن، وهذا مانراه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟

(1) هذا الكلام من الشيخ، ليس عليه دليل من الأحاديث الصحيحة، والأولى التوقف فيه بدون نفي أو إثبات.

(2) القطان، تيسير التفسير، ج٣، ص١٥٦

إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ المائدة: ٧٢ – ٧٣، قال الشيخ: (شرع هنا يفصّل ما عمله النصارى من تحريف في عقيدتهم، إن الذين ادّعوا أن الله هو المسيح بن مريم قد كفروا وضلُّوا ضلالاً بعيدا، والحق أن عيسى بريء من هذه الدعوى، فقد قال لهم عكس ما ينسبون إليه، لقد أمرهم بعبادة الله وحده، معترفاً بأنه ربه وربهم، وجاء هذا صريحاً في الأناجيل، ففي إنجيل يوحنا (هذه هي الحياةُ الأبدية، أن يعرِفوك أنت الإله الحقيقيَّ وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلتَه)).(١)

نلاحظ كيف يستشهد الشيخ من كتب النصارى على بطلان عقيدتهم.

وكذلك نجد الشيخ في خبر المائدة، يرجح رأي القرآن، ويضرب برأي الكتب المقدسة عرض الحائط، لأنها كتب محرفة، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المائدة: ١١٥، قال الشيخ بعد ذكر اختلاف المفسرين في نزول المائدة: (وقد استدل بعض الكاتبين على عدم نزولها بأن قال: إن النصارى لا يعرفونها، وليس لها ذكر في كتبهم، ونحن نقول: إن كتب النصارى التي بين أيديهم كتب ناقصة، فليست هي كل ما جاء به عيسى، أما الأناجيل الأربعة المتداولة فلا تعدو كونها تراجم سيرةٍ لحياة المسيح، كتبها أُناس مجهولون بعد المسيح بمدة طويلة، وقد كتبت هذه الأناجيل من الذاكرة، وهي ليست إلا قصصاً منقحاً للأناجيل، التي بلغ عددها فوق الخمسين إنجيلا، وقد قرر مجمع نيقية المنعقد في سنة ٣٢٥ ميلادية برئاسة الامبراطور قسطنطين البيزنطي اعتماد هذه الأناجيل الأربعة، وإعدام ما عداها، فالأمر انتقائي وافق هوى نفس الحاكم، ويعلّمنا التاريخ في مثل هذه الحال أن الحاكم لا ينتقي إلا ما يتفق ومصلحته في السيطرة والحكم، دون النظر إلى الصدق أو غيره، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة، ولا يلزم أن يكون كل ما قصّه الله تعالى في القرآن قد قصّه في غيره من الكتب المتقدمة، فليس الأمر تجميل طبعات الكتاب الواحد، كما لا يلزم أن يكون أصحاب الأناجيل عدم ذكرهم لقصة المائدة دليلا على عدم ورودها، يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فيما يختص بنسبة القصص القرآني عامة إلى كتب العهد القديم: (وإذا ورد في كتب أهل المِلل أو المؤرخين ما يخالف بعض هذه القصص، فعلينا أن نجزم بأن ما أوحاه الله إلى نبيه ونُقل إلينا بالتواتر هو الحق، وخَبَره الصادق، وما خالفه هو الباطل، وناقله مخطيء أو كاذب، فلا نعدّه شُبهة على القرآن، ولا نكلف أنفسنا الجواب عنه، فإن حال التاريخ قبل الإسلام كانت مشتبهة الأعلام، حالكة الظلام، فلا رواية يوثق بها في معرفة رجال سندِها،

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٥١٠

وقد انتقل العالَم بعد نزول القرآن من حال إلى حال، فكان بداية تاريخ جديد للبشر، كان يجب عليهم لو أنصفوا أن يؤرخوا به أجمعين)، هذا ونحن نؤمن بما قصه القرآن الكريم من أن الحوارين قد سألوا عيسى أن يُنزل عليهم الله المائدة، فسأل عيسى ربه ذلك، وأجاب الله سؤاله على كيفيةٍ اقنعتهم).(١)

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٥٤١

الفصل الخامس: تفسير الشيخ القطان في الميزان

المبحث الأول: أهم مزايا التفسير

المبحث الثاني: أهم المآخذ على التفسير

تفسير الشيخ القطان في الميزان

إن العلم بحر واسع، ولا يمكن لأي إنسان أن يحيط به من كل جوانبه، دون الوقوع في النقص والخطأ، ومهما أوتي من قوة في الذكاء والعقل، لأن الكمال لله سبحانه وتعالى ولا عصمة إلا للرسل – عليهم السلام - وكل مأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ الإسراء: ٨٥.

وقد أعترف عدة علماء أجلاء بهذا، ومن بينهم الشيخ القطان، فقد قال في خاتمته: (ولو أعدت النظر في كثير مما كتبت، لغيرت وبدلت، وهذا من طبيعة النقص التي ركّبت فينا،كما قال (العماد الأصبهاني) رحمه الله -: إني رأيت أنه لا يكتبُ أحدٌ كتابًا في يومه، إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زِيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر)([1]).

وقال ابن تغري بردي([2]) في سبب تسمية كتابه (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى): تسميتى للتاريخ المذكور: ((والمستوفى بعد الوافى) إشارة لتاريخ الشيخ صلاح الدين الصفدي، لأنه سمّى تاريخه: (الوافى بالوفيات) إشارة على تاريخ ابن خلّكان أنه يوفّى بما أخلّ به ابن خلّكان، فلم يحصل له ذلك، وسكت هو أيضا: عن خلائق فخشيت أنا أيضا أن أقول: (والمستوفى على الوافى)، فيقع لى كما وقع له، فقلت: (والمستوفى بعد الوافى)).([3])

والشيخ رحمه الله قد اعترف بهذا مرات عديدة في مقدماته للتفسير، وأثناء تفسيره للقرآن، وذكرأنه لم يأت بجديد، واعترف بفضل المفسرين القدماء، وكان قصده تيسير التفسير على أي قاريء، مهما كانت درجته في العلم، لأنه وجد تفاسير مثل تفسير الكشاف، لايستطيع فهمه إلا العالم.

ومن خلال هذا الفصل، سأتطرق إلى أهم المزايا والمآخذ على تفسير الشيخ، وأعترف بأنني لست في مستوى الشيخ، حتى أنتقد تفسيره، ولكن سأحاول في ذلك، قدر الإمكان.

---

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ٦٥٤

(2) يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، ولد سنة (٨١٣) وتوفي (٨٧٤ هـ) مؤرخ بحاثة، من أهل القاهرة، مولداً ووفاة، له مؤلفات منها(النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) و (المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي)، ومختصره (الدليل الشافي على المنهل الصافي) أكمل بهما الوافي للصفدي، و (مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة) و غيرها، أنظر: ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين**"النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، طبعة ١٩٦٣م، دار الكتب، مصر، ج١، ص١٧

(3) المصدر السابق، ج١١، ص١٩

المبحث الأول: أهم مزايا التفسير

إن تفسير الشيخ من التفاسير السهلة والميسرة، والمنتمية إلى مدرسة الشيخ محمد عبده في التفسير، ونعلم أن هذه المدرسة أتت بأشياء جديدة في التفسير، وكانت ثورة على القديم، ولابد أن نشير إلى أن هذه المسألة ليست جديدة في التفسير كما قد يظن بعضهم، وقد تنبه لها المفسرون في القديم، قبل الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، حيث كانوا ينادون في تفاسيرهم، إلى تسهيل التفسير، وعدم الخروج عنه، قال أبوحيان في تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ البقرة: ١٠٦، (وقد تكلم المفسرون هنا في حقيقة النسخ الشرعي وأقسامه، وما اتفق عليه منه، وما اختلف فيه، وفي جوازه عقلا، ووقوعه شرعا، وبماذا ينسخ، وغير ذلك من أحكام النسخ ودلائل تلك الأحكام، وطوّلوا في ذلك، وهذا كله موضوعه علم أصول الفقه، فيبحث في ذلك كله فيه، وهكذا جرت عادتنا: أن كل قاعدة في علم من العلوم يرجع في تقريرها إلى ذلك العلم، ونأخذها في علم التفسير مسلمة من ذلك العلم، ولا نطول بذكر ذلك في علم التفسير، فنخرج عن طريقة التفسير، كما فعله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، المعروف بابن خطيب الري، فإنه جمع في كتابه في التفسير أشياء كثيرة طويلة، لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك حكي عن بعض المتطرفين من العلماء أنه قال: فيه كل شيء إلا التفسير، وقد ذكرنا في الخطبة ما يحتاج إليه علم التفسير، فمن زاد على ذلك، فهو فضول في هذا العلم، ونظير ما ذكره الرازي وغيره، أن النحوي مثلاً، يكون قد شرع في وضع كتاب في النحو، فشرع يتكلم في الألف المنقلبة، فذكر أن الألف في (الله)، أهي منقلبة من ياء أو واو؟ ثم استطرد من ذلك إلى الكلام في الله تعالى، فيما يجب له ويجوز عليه ويستحيل، ثم استطرد إلى جواز إرسال الرسل منه تعالى إلى الناس، ثم استطرد إلى أوصاف الرسول - صلّى الله عليه وسلّم -، ثم استطرد من ذلك إلى إعجاز ما جاء به القرآن وصدق ما تضمنه، ثم استطرد إلى أن من مضمونه البعث والجزاء بالثواب والعقاب، ثم المثابون في الجنة لا ينقطع نعيمهم، والمعاقبون في النار لا ينقطع عذابهم، فبينما هو في علمه يبحث في الألف المنقلبة، إذا هو يتكلم في الجنة والنار، ومن هذا سبيله في العلم، فهو من التخليط والتخبيط في أقصى الدرجة، وكان أستاذنا العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي- قدّس الله تربته - يقول ما معناه: (متى رأيت الرجل ينتقل من فن إلى فن في البحث أو التصنيف، فاعلم أن ذلك، إما لقصور علمه بذلك الفن، أو لتخليط ذهنه وعدم إدراكه، حيث يظنّ أن المتغايرات متماثلات).

وإنما أمعنت الكلام في هذا الفصل لينتفع به من يقف عليه، ولئلا يعتقد أنا لم نطلع على ما أودعه الناس في كتبهم في التفسير، بل إنما تركنا ذلك عمداً، واقتصرنا على ما يليق بعلم التفسير، وأسأل الله التوفيق للصواب).[1]

نلاحظ أن أبي حيان دعا إلى هذا النوع من التفسير، قبل مجيء محمد عبده بمئات السنين، وإن كان تفسيره (البحر المحيط) يختلف عن منهج محمد عبده في التفسير، لكنه دعا إلى عدم الخروج في التفسير عن الطريقة المعهودة، ونبه إلى تفسير الإمام الرازي وغيره من العلماء، الذين خرجوا في تفاسيرهم عن الهدف والغاية من التفسير، وبحثوا في مسائل كان المفسر في غنى عنها، وإنما تبحث في الكتب المختصة ككتب أصول الفقه واللغة والعقيدة...ونبه إلى أن قاعدة كل علم يرجع فيها إلى ذلك العلم، وليس للتفسير، ووصف هذا المسلك الذي انتهجه بعض المفسرين، بالفضول والتخليط والتخبيط وقصور العلم - حسب رأيه - وذكر أنه اقتصر في تفسيره على ما يليق بعلم التفسير.

والشيخ القطان قد تتلمذ على تلاميذ محمد عبده، كالشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ المراغي وغيرهم، وهؤلاء من أعيان هذه المدرسة، وكانت هذه أهم ميزة امتاز بها هذا التفسير، وهي ملائمة لطبيعة هذا العصر، كون الإنسان متعوداً على السهولة والإيجاز، وإيصال المعنى المباشر فقط، دون حشو وإطناب، ويختلف عن العصور القديمة، التي كان العالم فيها مستعداً لدراسة أي شيء، فمثلاً الإمام السيوطي – رحمه الله – نجده عالماً في التفسير والحديث وعلوم القرآن واللغة والتاريخ، وغيرها من العلوم، وهناك من العلماء في عصرنا الحاضر من فسر القرآن على الطريقة التقليدية القديمة، مثل تفسير القاسمي، ولكن الشيخ - رحمه الله – لم ينتهج هذا المنهج، وقد صرح بهذا في مقدمته، ولأهمية كلامه سأنقله هنا، قال الشيخ: (وقد نظرت في التفاسير المطبوعة الموجودة بين أيدي الناس، فوجدتها على كثرتها وجلالها تفيد المختصين في الغالب، ويبقى القارئ العادي والمتوسط المعرفة، بحاجة إلى تفسير يضع أمامه المعنى واضحاً جلياً، وبأسلوب سهل، لا تطويل فيه ولا اختصار، بعيدا عن الإصطلاحات العلمية واللغوية، خالٍ من الجدل وتعدد الروايات، والخوض في أمور متعددة لا تعني القارئ، لا من قريب ولا من بعيد، وبعضها مختصر جدا لا يستطيع الإنسان أخذ المعنى الكامل الذي يريده منها، لذلك شرعت في هذا التفسير، وحاولت ما أمكنني أن أجعل عبارته بسيطة واضحة، يفهمها كل قارئ مهما كانت ثقافته، فيأخذ حاجته منها دون عناء).[2]

---

(1) أبو حيان، **"البحر المحيط"**، مصدر سابق، ج١ ، ص ٥٤٩

(2) القطان، تيسير التفسير، ج١ ، ص ٣٣.

ثم ذكر أنه لم يأت بجديد في هذا التفسير فقال: (ولم آت في هذا التفسير بجديد، وإنما اعتمدت على عدد من أمهات التفاسير، ونقلت المعتمد من أقوال المفسرين، وحاولت أن آخذ المعنى بكامله أحيانا، وعندما لم أستطع حاولت توضيحه وتقريبه بعبارة سهلة مبينة، وقد بينت التفاسير والكتب التي اعتمدت عليها في آخر الكتاب).(1)

ثم تواضع –رحمه الله - في عمله فقال: (وكل خطأ أو تقصير في العبارة، أو قصور في التعبير جاء في هذا التفسير فهو مني، وأرجو من كل من اطلع على خطأ أو قصور أن ينبهني إلى ذلك مأجورا مشكورا، والله من وراء القصد هو حسبي ونعم الوكيل).(2)

وقد امتاز تفسير الشيخ القطان بمزايا، أذكرها في النقاط التالية:

١ – كان تفسيره موفقاً بين التفسير بالمأثور والرأي المحمود.

٢ - اعتناء الشيخ القطان ببعض قضايا علوم القرآن في تفسيره، كأسباب النزول والنسخ والقراءات والمكي والمدني والقصص القرآني، وهذا رغم كون التفسير مختصراً، ومتأثراً بمنهج الشيخ محمد عبده في التفسير.

٢ – كان الشيخ، يعزو القراءات إلى القراء، ولم يذكر إلا وجوه القراءات الصحيحة، ونادراً ما يذكر قراءة شاذة مع العزو، كقوله: وفي قراءة عبد الله بن مسعود، وقراءة الحسن البصري...

٣ – كان أسلوب الشيخ في التفسير، سهلاً وميسراً مما يسهل فهمه على العام والخاص، ولم يتعرض فيه إلى الخلافات المذهبية والكلامية، وقد لاحظت ذلك في تفسيره لآيات الأحكام، وآيات العقيدة.

٤ – يدل التفسير، على سعة ثقافته واطلاعه، وبذلك فهو تفسير عصري، لم يهدم القديم، ولم يرفع الجديد، كيف لا وقد شغل الشيخ عدة مناصب عليا، من بينها وزيراً للتربية والتعليم، وسفيراً وقاضياً ومفتشاً وغيرها من المناصب السيادية، مما يدل على غزارة علمه ومعرفته الواسعة.

٥ – فسر القرآن تفسيراً علمياً، معتمداً على ما توصل إليه العلم في العصر الحديث، ورده لبعض المغالين فيه، كالذين فسروا (الطيرَ الأبابيلَ) بوباء الجدري والحصبة، وما أشبه ذلك.(3)

٦ – كان تفسيره، تفسيراً عصرياً، يتمشى مع متطلبات العصر، وتطور العلوم الدينية، كما صرح بذلك في مقدمته التي أشرنا إليها، وأنا مع الشيخ في ما ذهب له في اختلاف العصور، لأن عصر الزمخشري مثلاً ليس كالعصر الحديث، وهكذا، وكل عصر له ما يناسبه على كل حال.

(1) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص٣٤.

(2) المرجع السابق، ج١ ، ص ٣٤.

(3) أنظر الرسالة: ص١٦٥

٧ – أخذ من الكتب المقدسة، واستشهد بأقوال علماء الغرب، لإقامة الحجة، ومقارنتها مع القرآن، وبيان تحريف و بطلان هذه الكتب، ويعد هذا من مزايا التفسير العصري عند بعض العلماء، وهذا المنهج جديد في التفسير، ومستحسن في هذا العصر، لظهور ما يسمى بفكرة التقريب بين الأديان، وحوار الأديان، ومقارنة الأديان، وغيرها من الدعوات الجديدة في هذا العصر، وظهور علماء عند الغرب قاموا بدراسة القرآن والكتب المقدسة، وقارنوا بينها، فمنهم من أسلم مثل: موريس بوكاي، ومنهم من درس بدون موضوعية، وأثار الشبهات والتعصب، وقلب الحقائق، وهذا ما نراه في عمل بعض المشتشرقين في إنكارهم للوحي، وقولهم بأن القرآن من عند الرسول – صلى الله عليه وسلم – وليس من عند الله، وهذا لايمنع أن ندرس كتبهم مثل ما درسوا كتبنا، ونعلم ماعندهم ونرد عليهم، وأنا مع الشيخ في أخذه من الكتب المقدسة ومقارنتها بالقرآن.

٨ – محاربته لبعض الخرافات والبدع المنتشرة في عصرنا الحاضر، كحياة الخضر عليه السلام، كما ذكرنا في تفسيره لقصة موسى والخضر في سورة الكهف.([1])

٩ – كان الشيخ القطان يوظف تفسير القرآن في تشخيص المشكلات والأزمات التي تمر بها الأمة الإسلامية، ويقترح الحلول لها، فمثلاً عند تعرضه للقضية الفلسطينية، قال الشيخ: (والواقع أن وجود اسرائيل تقوّى وتتمركز، بتفككنا نحن العرب والمسلمين، وبعدنا عن ديننا، ونحن الذين جعلناهم أقوياء بخلافاتنا، ومحاربة بعضنا، وواقعهم غير صحيح، ودولتهم تعتمد على شيئين: أمريكا تمدها بالمال والسلاح، وضعفنا وانشقاقنا وخلافاتنا، فمتى وحّدنا كلمتنا وجمعنا صفوفنا وعزمنا على استراداد مقدساتنا فإن إسرائيل تزول ولا يبقى لها وجود، والله تعالى يقول: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ محمد: ٧).([2])

١٠ – كان رأيه معتدلاً في كثير من المسائل، بدون تعصب وانحياز.

(1) أنظر الرسالة: ص ١٣٤

(2) القطان، تيسير التفسير، ج٢، ص ٦٧٩، بتصرف

المبحث الثاني: أهم المآخذ على التفسير

إن وقوع المفسر في أخطاء أمر طبيعي، لأن النقص سمة من سمات البشر، ولا يجوز لنا أن ننزه أي مفسر وأي عالم، مهما كانت درجته من العلم، عن الوقوع في الخطأ، فكل إنسان يؤخذ منه ويرد إلا الرسل – عليهم السلام – المعصومون عن الخطأ، ولابد من عرض نتاج أي مفسر وفكره على قواعد التفسير، ونرى كيف كان تفسيره للقرآن، وما هي المزايا والمآخذ على تفسيره، ونلتمس له العذر فيما أخطأ فيه، خصوصاً إذا كان الباعث والمقصد سليماً، وهي خدمة كتاب الله والعلم، وليس الباعث على تفسيره تأييد فكرة منحرفة، اونصرة فرقة ضالة، أو غيرها من الأمور الباطلة، التي تكون معدة مسبقاً.

والشيخ القطان، كان قصده في التفسير، تيسير كتاب الله وفهمه على القاريء، مهما كانت درجته، وهذا من أهم المقاصد عنده، وكان شغله للمناصب السيادية، وزيراً وسفيراً وقاضياً ومفتشاً وغيرها من المناصب، لا تشغله عن تأليف هذا النوع من التفسير، ولكنني لم أصل إلى ما وصل إليه الشيخ في العلم والمعرفة، حتى أُقيِّمَ هذا التفسير، ولكن انطلاقاً من قاعدة (المسلم مرآة أخيه المسلم)، ومقولة (لكل عالم زلة، ولكل جواد كبوة)، أستعين بالله، وأذكر أهم المآخذ على هذا التفسير:

١ – ميله إلى الإختصار، والذي كان مخلاً بالتفسير أحياناً، وعدم إثراء التفسير باللغة والنحو والبلاغة، والعلوم الأخرى التي يحتاج إليها التفسير، وكان يذكر القول الراجح في المسائل المختلفة، دون ذكره للآراء ومناقشتها، لأن تفسيره كان ثورة على القديم، ومتأثراً بمنهج محمد عبده، وقد أشار الشيخ إلى هذا في مقدمته التي أشرنا لها.

٢ – قلة رجوعه إلى الكتب والتفاسير القديمة، وكان غالباً ما يذكر كلمة (ذهب المفسرون ...) أو (إن أغلب المفسرين ...) أو(اختلف المفسرون..) أو (وفي كتب التفسير...)، دون ذكر الأسماء أو المصدر الذي أخذ منه.

٣ – رجوعه إلى تفاسير الشيعة، والاستشهاد بأقوالهم في الفقه، وهذا ما نراه في قول الشيخ: (وقد تمّسك الشيعة الإمامية بقوله تعالى ﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ النساء: ٢٤ وقالوا إن المراد بذلك هو المتعة، وهي الزواج المؤقت، كما قالوا: إن هذا دليل واضح، ولا تزال المتعة قائمة عندهم، معمولا بها، يقول الطبرسي([1])، وهو من كبار علماء الشيعة الإمامية في تفسيره (مجمع البيان) عن هذه الآية: (قيل المراد به نكاح المتعة، وهو النكاح المنعقد بمهر معين الى أجل معلوم، وهذا عن ابن عباس والسدي وجماعة من التابعين،

---

(1) سبق التعريف به.

وهو مذهب أصحابنا الإمامية الخ) وكذلك يقول شيخ الطائفة العلامة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(1) في تفسيره (التبيان)).(2)

وهنا نلاحظ أن الشيخ قد رجع إلى تفسيرين من تفاسير الشيعة، ولم يعلق أو يرد على علماء الشيعة في مسألة زواج المتعة، وإنما اكتفى بذكر أقوالهم فقط.

٤ – كان التفسير سهلاً وميسراً، وبعيداً عن الإطناب والحشو، والإسرائيليات، ولكن الشيخ وقع فيما هو أكبر من ذلك، برجوعه إلى الكتب المقدسة، والاستشهاد بها في التفسير، ومقارنتها بالقرآن، وقد يلاحظ المرء في هذا نوعاً من الاهتمام بها، ووضعها جنباً إلى جنب مع القرآن، وهناك من العلماء من يعتبر الرجوع إلى الكتب المقدسة في التفسير من المآخذ على المفسر، ولا ننسى ما تعرض له الشيخ محمد رشيد رضا من انتقاد، عندما سلك هذا المسلك في تفسيره المنار.

٥ – كان في بعض الأحيان يستشهد بالحديث دون ذكر الراوي، كأن يقول: قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو: وفي الحديث، ولم يبين درجة الآحاديث من الصحة والضعف، وأحياناً يذكر قولين مختلفين في حكم معين، دون ترجيح.(3)

٦ – ذكره لبعض الشواهد الشعرية والأمثال العربية، دون نسبتها إلى مصدرها أو قائلها، وعدم تدقيقها، وهذا ما نراه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت: ٤٤،قال الشيخ: (قال أهل اللغة: تقول العرب للرجل الذي لا يفهم كلامك: أنت تنادَى من مكان بعيد، وللفهيم ثاقب الرأي: أنك لتأخذ الأمور من مكان قريب).(4)

يستشهد الشيخ بكلام العرب لفهم معنى الآية، ولكن بدون نسبة هذا الكلام إلى مصدر معين.

وهناك أبيات شعرية استشهد بها الشيخ، بدون تدقيق، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾ ﴾ الصافات: ٤٨ – ٤٩،قال الشيخ: (ولديهم زوجاتٌ عفيفات لا ينظرن الى غير أزواجهن، وهن في غاية الجمال، بيضٌ كأنهن البيض النقيّ المصون، والعرب يشبّهون النساء البيض الخُود باللؤلؤ، قال الشاعر: وبيضةِ خودٍ لا يرام خباؤها).(5)

(1) سبق التعريف به.
(2) القطان، تيسير التفسير، ج١، ص ٣٦٩ -٣٧٠
(3) أنظر الرسالة: ص٨٤
(4) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ٤٩
(5) المرجع السابق، ج٣،ص ٥٧٩

وبعد البحث، وجدت أن هذا صدر بيت من معلقة الشاعر الجاهلي امرؤ القيس التي مطلعها: قفا نبك، والبيت في الغزل الصريح، ووصف محاسن المرأة، والبيت نقله الشيخ وفيه خطأ في (خود) لأن البيت في ديوانه:

وَبَيْضَةِ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤُهَا([1])

(1) أنظر: المصطاوي، **" ديوان امرؤ القيس بن حجر "**، مصدر سابق، ص ١٥

الخاتمة

أحمد ربي وأشكره، أن وفقني لإتمام وإنجاز هذا البحث الموسوم بـــــــ: (الشيخ القطان ومنهجه في التفسير)، بعد رحلة ماتعة نافعة، عشت فيها مع كتاب الله تعالى، فلله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه الرجوع.

ويمكن أن ألخص أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها فيما يلي:

١ – كان الشيخ في تفسيره، يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالمعقول.

٢ - تبين لي، من خلال الوقوف على جوانب، شخصية الشيخ القطان، أنه من رجالات الإصلاح والعلم والقضاء، في المملكة الأردنية الهاشمية.

٣ – تأثره واضح، بمدرسة الشيخ محمد عبده في التفسير، لأنه تتلمذ على كبار رجالها مثل: محمد رشيد رضا، والشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد إبراهيم الظواهري، وقد كان هذا التفسير سهل العبارة، وبأسلوب عصري، مما يؤهله أن يكون مقبولاً عند أي قاريء، يفهمه ويستفيد منه، وهذا مقصد الشيخ الأول والأخير من التفسير، فكان كذلك عند اسمه تيسيراً للتفسير.

٤ - عرضه لبعض المسائل والقضايا المعاصرة، وتكييفها إصلاحياً وتربوياً، مع ما يتماشى مع واقع المجتمع، والأمة العربية والإسلامية.

٥ – كانت هذه الدراسة فرصة للتعريف بالشيخ القطان، وبتفسيره، ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطة، والقيمة العلمية لها، فقد عرفتنا هذه الدراسة على جوانب مهمة من حياة الشيخ القطان، حيث تتبعت حياته ونشأته ومؤلفاته ومناصبه وعقيدته وأخلاقه، مما يرفع قدر الشيخ القطان، ويعلي ذكره.

٦ – قارن الشيخ القطان في تفسيره، بين القرآن والكتب المقدسة، وبين تحريفها ورد عليها، وهذا موضوع عصري، لظهور ما يسمى بمقارنة الأديان، وتقريب الأديان، وغيرها من الموضوعات المطروحة في عصرنا الحاضر، بالإضافة إلى مقارنته بين الطوائف الإسلامية كالشيعة والسنة، وبيان ما عند كل فرقة، ورد على الشيعة أحيانا، وهذا موضوع عصري، لوجود أهل السنة جنبا إلى جنب مع الشيعة، في عدة بلدان عربية وإسلامية، وظهور فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية.

٧ – تناولت هذه الدراسة خصائص ومميزات تفسير الشيخ القطان، ولم تغفل ما عليه من مآخذ، إلا أن هذه الأخيرة لم تنقص من قيمة التفسير، ولم تقدح بشخصية الشيخ إبراهيم القطان.

٨ – ختم الشيخ القطان تفسيره، بقوله: (وإني أسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجه الكريم، وأن ينفع به كل قاريء، وينفعني به عنده ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ الشعراء: ٨٨ – ٨٩).(1)

٩ – أَقترحُ على أهل الاختصاص، أن يعاد طبع تفسير الشيخ القطان، لأنه لم يطبع إلا مرة واحدة، وهذه الطبعة مليئة بالأخطاء المطبعية، وقديمة وغير واضحة، مما يجعل القاريء يخطيء في فهم العبارة أحياناً، فأوصي أن تؤلف لجنة لإعادة طبع التفسير وتصحيح أخطائه، وتوثيق ما ورد فيه من أقوال، وتنسب إلى مصادرها الأصلية، وتخرج فيه كل الأحاديث النبوية، وتدرس الجوانب المختلفة في التفسير، حتى يظهر في مظهر لائق، وتعم الفائدة للجميع إنشاء الله.

وختاماً فقد شاء المولى عز وجل، أن تكون رسالتي عن الشيخ إبراهيم القطان ومنهجه في التفسير، ولا أزعم لنفسي الإحاطة بجميع مباحث الدراسة، والإلمام بكل ما يقتضيه البحث، لكنني – بإذن الله – لم أُقصر في بحث ودراسة ما أعتقده جديراً بذلك، فإن وفقت في شيء من ذلك فلله الفضل وله الحمد، وإن قصرتُ، فحسبي أنني حاولت وبذلت وسعي، في تقديم تفسير الشيخ القطان، إلى الباحثين والدارسين، عسى أن يكون هذا التقديم باعثاً على دراسة جوانب أخرى من تراثه، و﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ البقرة: ٢٨٦، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(1) القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ٦٥٥

قائمة المراجع والمصادر:

١- آبادي: أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم **" عون المعبود شرح سنن أبي داود "**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية: ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٢- الأدرنوي: أحمد بن محمد **"طبقات المفسرين"**، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٣- الإستراباذي: نجم الدين محمد بن الحسن الرضي **" شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده، للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب "**، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: محمد نور الحسن - محمد الزفزاف - محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٤- الألباني: محمد ناصر الدين **" ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)"**، الطبعة: الثالثة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م، دار المكتب الإسلامي بيروت.

٥- الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، **"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"**، دار الفكر بيروت لبنان،١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٦- إميل: يعقوب **"المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية"**، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٧- الأندلسي: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، **"البحر المحيط"**، دار الفكر، بيروت، لبنان الطبعة الثانية،١٤٣٠هـ/١٩٨٣م.

٨- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **"الجامع الصحيح"**، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٩- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى **"سنن الترمذي"**، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيرت، لبنان.

١٠- ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين**"النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، طبعة ١٩٦٣م، دار الكتب، مصر.

١١- ا - ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني **" مجموع الفتاوى "**، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، الطبعة:الثالثة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م دار الوفاء، المملكة العربية السعودية.

ب - ابن تيمية ، **"مقدمة في أصول التفسير"**، دار مكتبة الحياة، الطبعة ١٤٩٠ه ـ-١٩٨٠م، بيروت، لبنان.

١٢- ا - ابن الجزري: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، **"طيبة النشر في القراءات العشر"**، قدم له، وضبط نصوصه، عادل عبد المنعم أبو العباس، مكتبة القرآن، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

ب - ابن الجزري: أبو الخير محمد بن محمد، **"غاية النهاية في طبقات القراء"**، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.

ج - ابن الجزري: أبو الخير محمد بن محمد بن علي بن يوسف **"منجد المقرئين ومرشد الطالبين"**، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٠هـ.

١٣- ابن جني: أبو الفتح عثمان، **"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٤- الجوزية، ابن قيم محمد بن أبي بكر بن أيوب، **" زاد المعاد في هدي خير العباد"**، الطبعة : السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

١٥- الحمد: غانم قدوري، **"أبحاث في علوم القرآن"**، دار عمار، عمان الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

١٦- ابن حنبل: أحمد أبي عبد الله الشيباني، **"مسند الإمام أحمد"**، المحقق شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م ، بيروت لبنان .

١٧- الخالدي: صلاح عبد الفتاح، **"تعريف الدارسين بمناهج المفسرين"**، دار القلم دمشق ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

١٨- ابن خالويه: أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الأصبهاني، **" إعراب القراءات السبع وعللها"**، ضبط نصه وعلق عليه، أبو محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٩- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٧م.

٢٠- الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد **"جامع البيان في القراءات السبع"**، مجموعة رسائل جامعية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢١- درويش: محي الدين بن أحمد مصطفى، **" إعراب القرآن وبيانه"** ، دار اليمامة الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ، دمشق – بيروت.

٢٢- الدمياطي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، **"إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر"**، وضع حواشيه، الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٣- ا - الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **"تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"**، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة: الأولى. ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

ب - الذهبي، **"سير أعلام النبلاء"**، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.

٢٤- الذهبي: محمد حسين **"التفسير والمفسرون"**، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، الناشر مكتبة وهبة القاهرة.

٢٥- الرازي: فخر الدين بن ضياء الدين، **"مفاتيح الغيب"**، الطبعة الأولى ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.

٢٦- رضا: محمد رشيد،**" تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار "**، الطبعة الثانية ١٩٤٧م، دار المنار القاهرة.

٢٧- الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري، **"معاني القرآن وإعرابه"**: تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتاب بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٨- ا - الزحيلي: وهبة **" التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج "**، الطبعة: الثانية ١٤١٨ هـ، دار الفكر المعاصر – دمشق.

ب – الزحيلي، **"الفقه الإسلامي وأدلته"**، دار الفكر، دمشق الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢٩- الزرقاني: محمد عبد العظيم، **"مناهل العرفان في علوم القرآن"**، مراجعة: محمد علي قطب ويوسف الشيخ محمد علي، المكتبة العصرية، طبعة ٢٠٠٤، بيروت.

٣٠- الزركشي: محمد بن بهارد عبدالله، أبو عبدالله، **"البرهان في علوم القرآن"**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت ١٣٩١هـ.

٣١- الزركلي: خير الدين، **"الأعلام"**، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٣٢- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، **"الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"**، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض والدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، مكتبة العبيكان الرياض.

٣٣- الزيلعي: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد، **"تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"**، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٤- ابن زنجلة: أبوزرعة عبد الرحمان بن محمد، **"حجة القراءات"**، تحقيق، سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣٥- السجستاني: أبو داود سليمان بن الاشعث، **" سنن أبي داود "**، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

٣٦- السَّقَّاف: علوي بن عبد القادر،**" تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لسيد قطب"**، الطبعة : الثانية ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، دار الهجرة للنشر والتوزيع، بيروت.

٣٧- السمين الحلبي: أحمد بن يوسف، **"الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"**، تحقيق الدكتور احمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣٨- سيد قطب: إبراهيم حسين، **" في ظلال القرآن "**، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ، دار الشروق – بيروت.

٣٩- ا - السيوطي: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد، **" الإتقان في علوم القرآن "**، ضبطه وصححه وخرج آياته، محمد سالم هاشم، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ه - ٢٠٠٧م، دار الكتب العلمية بيروت.

ب - السيوطي، **" أسباب النزول"**، دار الهجرة، دار النمير، بيروت الطبعة الأولى،١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ج - السيوطي،**"بغية الوعاة"**، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، دار الفكر، دمشق.

د - السيوطي، **" الدرالمنثور في التفسير بالماثور "**، تحقيق: مركز هجر للبحوث، إشراف الدكتور عبد الله التركي، الطبعة١٤٢: هـ - ـ ٢٠٠٣م، دار هجر، مصر.

ه - السيوطي، **"طبقات المفسرين"**، تحقيق، علي محمد عمر، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

٤٠- الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، **"أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"** ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، طبعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، بيروت – لبنان.

٤١- الشيباني: أحمد بن حنبل ، **" فضائل الصحابة "**، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٣ – ١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤٢- الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك، **"الوافي بالوفيات"**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م.

٤٣- أبو صوفة: محمد، **" من أعلام الفكر والأدب في الأردن "**، الطبعة الأولى (١٤٠٣ه-١٩٨٣) مكتبة الاقصى، عمان الأردن .

٤٤- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **"جامع البيان في تأويل القرآن"**، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسةالرسالة، الطبعةالأولى،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٤٥- ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، **"التحرير والتنوير"**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٤٦- ا - عباس: فضل حسن، **"إتقان البرهان في علوم القرآن"** دار الفرقان، عمان الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

ب- عباس، **" إعجاز القرآن الكريم "** الطبعة السابعة، دار النفائس عمان، الأردن.

ج - عباس ، **"التفسير أساسياته واتجاهاته"**، مكتبة دنديس، عمان ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٤٧- أبو عبيدة: معمر بن المثنى ، **" مجاز القرآن "**، تحقيق: محمد فواد سزگين، طبعة ١٣٨١ه، مكتبة الخانجى، القاهرة.

٤٨- العثيمين: محمد بن صالح بن محمد ، **" شرح العقيدة الواسطية "**، تحقيق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الطبعة: الخامسة، ١٤١٩هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤٩- العراقي: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم ، **" المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار "**، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان.

٥٠- ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبدالله، **"أحكام القرآن"**، مراجعة وتعليق محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥١- ابن عطية: أبو محمد عبد الحق، **"المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٢- غزلان: عبد الوهاب عبد المجيد ، **" البيان في مباحث من علوم القرآن "**، جامعة الازهر، بدون سنة الطبعة، مطبعة دار التأليف القاهرة.

٥٣- الفراء: أبي زكريا يحيى بن زياد، " معاني القرآن "، تحقيق : أحمد يوسف نجاتى - محمدعلى نجار - عبدالفتاح إسماعيل شلبى، الطبعة الأولى، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

٥٤- القاسمي: محمد جمال الدين**" محاسن التأويل "**، إشراف: فؤاد عبد الباقي، دار أحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٩٥٧م، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٥٥- ابن قاضي شهبة: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر**" طبقات الشافعية "**، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، دار عالم الكتب - بيروت .

٥٦- القرشي: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب،**"جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام"**، تحقيق علي محمد البجاوي دار النهضة مصر الفجالة، القاهرة.

٥٧- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **"الجامع لأحكام القرآن"**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، دار الكتب المصرية – القاهرة.

٥٨- القزويني: أبو عبد الله محمد بن يزيد، **" سنن ابن ماجه "**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي مع احكام الألباني، فيصل عيسى البابي الحلبي، الطبعة ١٩٥٢م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٥٩- القضاة: احمد مفلح، وأحمد خالد شكري و محمد خالد منصور **" مقدمات في علم القراءات "**، الطبعة الاولى ٢٠٠١، دار عمار، عمان.

٦٠- ا - القطان: إبراهيم ياسين**" تيسير التفسير "**، راجعه وقام بضبطه والإشراف على طباعته: عمران أحمد أبو حجلة، الطبعة الأولى (١٤٠٢ه – ١٩٨٢م)، مطابع الجمعية العلمية الملكية، عمان.

ب- القطان،**" عثرات المنجد في الأدب والعلوم والأعلام "**، دار القران الكريم، الطبعة الأولى ١٩٧٢، دمشق.

ج - القطان،" **المذكرات والرحلات** "، تحقيق أ. د.صلاح جرار، وكايد هاشم، وريم القطان، مطبعة السفير٢٠٠٧، وزارة الثقافة الاردنية.

٦١- ا - ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، " **البداية والنهاية** "، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ب - ابن كثير، "**تفسير القرآن العظيم**"، تحقيق سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٦٢- كحالة: عمر رضا، "**معجم المؤلفين**"، تحقيق مكتب التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة، الأولى١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٦٣- الكرماني: محمود بن حمزة، " **غرائب التفسير وعجائب التأويل** "، تحقيق الدكتور شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، ومؤسسة علوم القرآن بيروت.

٦٤- المراغي: أحمد مصطفى ، " **تفسير المراغي** "، الطبعة الأولى ١٩٤٦م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر.

٦٥- المصطاوي: عبد الرحمن ، " **ديوان امرؤ القيس بن حجر** "، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠م، دار المعرفة – بيروت.

٦٦- مسلم: مصطفى، "**مناهج المفسرين**"، دار المسلم. الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٦٧- المقدسي: محمد بن طاهر، " **ذخيرة الحفاظ** "، تحقيق: د.عبد الرحمن الفريوائي دار السلف، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م، الرياض .

٦٨- ابن الملقن: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد، "**البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير**"، تحقيق: مصطفى أبو الغيط و عبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض- السعودية، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٦٩- النحاس: ابي جعفر" **الناسخ والمنسوخ**"، المكتبة العلامية ، طبعة ١٩٣٨م، القاهرة.

٧٠- النيسابوري: مسلم بن الحجاج،أبو الحسين القشيري، "**صحيح مسلم**"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧١- النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي،"**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**"، تحقيق الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م.

٧٢- الهراسي: إلكيا عماد الدين بن محمد الطبري **"أحكام القرآن"** دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٧٣- ا- الهروي: أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر،**"تهذيب اللغة"**، تحقيق أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

ب- الهروي،**" معاني القراءات "**، مركز البحوث في كلية الآداب - الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

٧٤- ابن هشام: أبو محمد، جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري **"السيرة النبوية "** تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٧٥- الهيثمي: أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان،**" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد "**، المحقق: حسام الدين القدسي، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة.

٧٦- ا - الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، **''أسباب النزول''**، تحقيق طارق الطنطاوي، مكتبة القرآن/ القاهرة.

ب - الواحدي، **'' الوسيط في تفسير القرآن المجيد''**، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

المجلات

١- النجار: تيسير **" رجال في ذاكرة الوطن، مجلة أفكار "**، سنة ٢٠٠٢ العدد ١٦١، وزارة الثقافة، عمان.

٢- العجلوني: إبراهيم خليل **"الحرية والحضارة الإنسانية في فكر الشيخ إبراهيم القطان، مجلة المواقف"**، السنة الثانية، العددالأول صفر ١٤٠٩ه – ايلول ١٩٨٨م الجبيهة عمان.

الرسائل الجامعية:

١- شطة: مصطفى مختار " **الأعقم الآنسي ومنهجه في التفسير** "، رسالة ماجستير ٢٠٠٩م، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

٢- الخواجا: محمد مصطفى" **منهج الشيخ محمد أطفيش، في تفسيره تيسير التفسير(هميان الزاد إلى دار الميعاد)**"، رسالة ماجستير ١٩٩٤م، الجامعة الأردنية.

المواقع الإلكترونية:

١ - موقع أهل التفسير، www. Tafsir. net

٢ - موقع منتدايات (اذكر الله)، http://forums.ozkorallah.com

٣ - موقع اللجنة العالمية لنصرة خاتم الانبياء – صلى الله عليه وسلم – **"القرآن معجزة المعجزات لايعرفه إلا أولى العلم"**،

http://www.nusrah.tv

الملحق الأول:

أبي الشيخ إبراهيم القطان (بقلم: ريم إبراهيم القطان)

الشيخ إبراهيم القطان ١٩١٤ – ١٩٨٤م

لقد طلب مني الأخ عبدالعزيز ناصري، كتابة بعض الكلمات عن والدي الشيخ إبراهيم القطان، وذلك ليرفقها في رسالته للماجستير، التي يعدها حول كتاب الوالد (تيسير التفسير)، فحاولت أن أختصر حياة الوالد، في هذه السطور:

انتقال العائلة إلى عمان:

كان جده الحاج إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله القطان، يعمل بالتجارة بين البلدان العربية، يجوب البلاد من دمشق إلى نجد إلى بغداد إلى الحجاز سعياً في طلب الرزق، وفي إحدى رحلاته، ساقته الأقدار لأن يجتاز بعمان، فأعجب بها، وقرر المكوث بها عدة أيام، ثم قرر الإنتقال إلى عمان، وفتح متجر له في عمان، فأحضر عائلته المكونة من زوجته وأبنائه وترك والديه في دمشق.

ولادته وتعليمه:

ولد إبراهيم القطان في عمان، ولم يعرف بالتحديد تاريخ ولادته، والأرجح أنه كان بين (١٩١٣ – ١٩١٦م)، كما أشار في مذكراته ص (١٠٢)، حيث لم يكن في عمان دائرة لتسجيل المواليد، ولا جهاز حكومة منتظم .

تلقى تعليمه في الكتاب، ولما فتحت المدرسة في عمان، قبل في الصف الثاني لمعرفته القراءة والكتابة والحساب، وعندما أكمل الصف الرابع، كان قد قرأ كتاب ألف ليلة وليلة، وكتاب الزير سالم، وسيرة بني هلال، وجزءا كبيرا من سيرة عنتر – (المذكرات ص (١٣٠)) - ،وترك المدرسة لفترة وجيزة، وحاول الإشتغال بالتجارة، إلا أنه فشل فشلاً ذريعاً .

التعليم العالي:

وفي أواخر عام ١٩٣١م، تعرف بواسطة عم له على الشيخ محمد الأخضر الشنقيطي، ووجد فيه ضالته المنشودة، حيث عرض عليه أن يبدأ بقراءة بعض العلوم، وبدأ فعلا بالأجرومية، ثم أصبح يبيض لأستاذه ما يكتبه من شرح الحديث، وأتقن الصرف والنحو، وصار يطلب الكتب التي يحتاجها من مكتبة مصطفى البابي الحلبي، وداوم على الدراسة على الشيخ هو وصديقه اليمني الشيخ علي سالم العطية البجلي إلى نهاية سنة ١٩٣٤م.

وفي زيارة لوالده الذي كان قائد المخفر في الشوبك، تعرف إلى الأستاذ إبراهيم المبيضين، الذي كان قد تخرج من الأزهر الشريف، و نصحه بالذهاب إلى الأزهر لاستكمال دراسته.

وعندما قرر الشيخ الشنقيطي في أواخر عام ١٩٣٤م العودة إلى المدينة المنورة، عرض عليه أن يذهب معه إلى المدينة، أو أن يذهب إلى الأزهر لمواصلة تعليمه، فاختار مواصلة تعليمه بالأزهر الشريف.

ذهب بصحبة الشيخ الشنقيطي إلى مصر، واستطاع الإنتساب للأزهر عام ١٩٣٥م، بمساعدة أستاذه الجليل الشيخ الشنقيطي.

حصل على الليسانس عام ١٩٣٩م، وعلى الشهادة العالمية والتخصص في القضاء الشرعي من الأزهر عام ١٩٤١م.

الحياة العملية:

تم تعيينه في المحكمة الشرعية في عمان عام ١٩٤٢م، وانتقل قاضيا لمحكمة الكرك الشرعية اعتبارا من آب ١٩٤٢ حتى عام ١٩٤٧م، وتنقل بين وزارة التربية والتعليم ووزارة الخارجية، إلى أن عين قاضياً للقضاة عام ١٩٧٧م، إلى حين وفاته عام ١٩٨٤م.

عضوية الهيئات المحلية والعربية:

عضو في مجمع اللغة العربية في الأردن .

عضو في مجمع اللغة العربية في مصر.

عضو في المجمع العلمي في العراق .

مؤلفاته:

للشيخ عدة مؤلفات من أهمها: **تيسير التفسير**، في أربعة أجزاء: أمضى الشيخ حوالى خمس عشرة سنة في تأليف التفسير، وكما قال في خاتمة الجزء الرابع، أن فكرة تأليف التفسير كانت تراوده منذ بدأ الدراسة، وذلك لأنه عانى الكثير من التطويل والاستزادة في كثير من التفاسير، وأنه راعى أن يكون تفسيره سهلاً واضحاً، لكل من يريد أن يقرأ ويستفيد.

وفيما يلي قائمة بمؤلفاته :

١ - رسالة حي بن يقظان، للفيلسوف المشهور ابن طفيل - قدم له وعلق عليه إبراهيم القطان، عمان: مكتبة الاستقلال .

٢ - بطولات عربية من فلسطين- عيسى الناعوري، إبراهيم القطان، عمان: المطبعة الوطنية ومكتبتها.

٣ - مخازي الولي الشيطاني الملقب بالتجاني الجاني، جمعها وعلق عليها إبراهيم القطان أحد تلاميذ الشيخ محمد الأخضر الشنقيطي، عمان: المطبعة الوطنية.

٤ - عثرات المنجد في الأدب والعلوم والأعلام، إبراهيم القطان، بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٧٢م.

٥ - المذكرات والرحلات للشيخ إبراهيم القطان: تحقيق د. صلاح جرار، كايد هاشم وريم قطان، وزارة الثقافة ٢٠٠٧

بعض كتب المناهج المدرسية:

١ - المبتكر لتعليم القراءة العربية، إبراهيم يسن القطان، روكس بن زائد العزيزي، الناشر: الشركة الصناعية للوراقة والقرطاسية المحدودة، مع ملحق المرشد، المبتكر لتعليم القراءة العربية.

٢ - مبادىء الاسلام، للصف الرابع الابتدائي، إبراهيم القطان، عمان: الصفدي وخلف وشركاهم.

٣ - مباديء في الدين الاسلامي: للصف السادس الابتدائي، تأليف عبد الحميد السائح، إبراهيم صنوبر، إبراهيم يسن القطان وعلي حسن عوده، عمان: مطابع القوات المسلحة الاردنية، ١٩٦٦م.

٤ - مباديء في الدين الاسلامي: للصف الأول الاعدادي، تأليف عبد الحميد السائح، إبراهيم صنوبر، إبراهيم يسن القطان وعلي حسن عودة، عمان: المطبعة الاقتصادية،١٩٦٢م.

٥ - نهج الاسلام: للصف الثالث الاعدادي، تأليف عبد الحميد السائح، علي حسن عوده إبراهيم يسن القطان، علي مصطفى صبري، القدس: مطابع دار الايتام الاسلامية الصناعية، ١٩٦٦م .

٦ - نهج الاسلام: الجزء الثالث للصف الأول الثانوي، تأليف عبد الحميد السائح، إبراهيم يسن القطان، علي حسن عوده علي صبري وجمال عابدين، القدس: مطابع دار الايتام الاسلامية الصناعية، ١٩٦٦م.

٧ - نهج الاسلام: للصف الثاني الثانوي، تأليف عبد الحميد السائح، علي حسن عوده، إبراهيم يسن القطان، علي مصطفى صبري، القدس: مطابع دار الايتام الاسلامية الصناعية، ١٩٦٤ م.

٨ - نهج الاسلام: للصف الثالث الثانوي، تأليف عبد الحميد السائح، إبراهيم يسن القطان علي حسن عوده، علي مصطفى صبري، القدس: المطبعة العصرية،١٩٦١ م.

٩ - القواعد الوافية للصف الثاني الثانوي، تأليف إبراهيم يسن القطان، علي حسن عوده، فائز علي الغول، عيسى عطاالله، عمان: دار الطباعة والنشر، ١٩٦٨ م.

المؤلفات غير المنشورة:

١ - مجلدان لمجموع المحاضرات والمقالات التي تم نشر بعضها.

٢ - مجلدان لمجموعتين، نثرية: تضم ألفي فقرة منوعة من حكم وأمثال ونوادر وأقوال الفلاسفة والكتاب والعلماء.

٣ - مجموعة شعرية: تشمل على نحوخمسة آلاف بيت شعر من جميع العصور.

٤ -مجلد يضم المحاضرات التي ألقاها في موضوع مقارنة الأديان في الجامعة الأردنية.

٥ - مجلد يضم خطب الجمعة، التي ألقاها خلال توليه منصب قاضي القضاة من ١٩٧٧ – ١٩٨٤م.

٦ - المذكرات والرحلات للشيخ إبراهيم القطان: تحقيق د. صلاح جرار،كايد هاشم و ريم قطان، وزارة الثقافة ٢٠٠٧م.

ريم القطان

الملحق الثاني:

كلمة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال في الشيخ وتفسيره:

بسم الله الرحمان الرحيم

يشاء الله سبحانه وتعالى أن يصدر الجزء الرابع _ وهو الأخير_ من كتاب (تيسير التفسير)، لسماحة المرحوم الشيخ إبراهيم القطان، بعد أن انتقل إلى جوار ربه، وفارق أهله ومحبيه .. ليكون كتابه هذا أثرا علميا حيا من بعده، تنبعث منه خواطره وأفكاره، فكأن الشيخ الكبير بين ظهرانيهم، يتمتعون بعلمه، ويستفيدون من عقله، ويقتبسون من ملاحظاته وتوجيهاته... وهو مقبل على تفسير كتاب الله العظيم، الذي أنزله سبحانه وتعالى ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ النحل: ٨٩. وهو بذلك يستمر عمله الصالح، ويدوم عطاؤه الخير في مجال هو أشرف المجالات، وعلم هو أكرم العلوم...فهنيئا له أن كان في عداد المفسرين لكتاب الله سبحانه، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - : يقول: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)([١])، وهنيئا له أن تجلى فيه حديثه صلوات الله عليه وسلامه (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).([٢])

وقد بذل رحمه الله في هذا التفسير جهدا كبيرا قدم فيه خدمة جليلة للمسلمين، دفعه إليه - كما بيّن في الخاتمة - ما عاناه من التعب والمشقة في المطالعة في كتب التفسير، والحيرة من التطويل والاستطراد الذي فيها، واشتمالها على ما لا يمت للتفسير بصلة... وقد أوضح أن ما حرص عليه هو سهولة التعبير ووضوحه لجميع القراء مهما كانت ثقافتهم ... فكان كذلك عند اسمه تيسيرا للتفسير ...وظهرت شخصية المؤلف- رحمه الله- بأخلاقه وسماحة نفسه وصفاء سريرته وهدوء طبعه، على تفسيره، مع جمال في اللفظ، وحسن في الأداء والتعبير، وسهولة في التناول والمعالجة، ومع اهتمامه بمشكلات العصر، وحرصه على معالجتها على هدى من القرآن الكريم، ومن الأمور البارزة في التفسير تفنيده للشبهات التي أثارها أعداء الإسلام حول كثير من نظمه وأحكامه، وذلك عند عرضه لموضوعات الآيات الكريمة المتعلقة بها ...ورغم ما بذل المؤلف من جهد في تفسيره هذا، فإننا نجده متواضعا يدعو إلى تنبيهه إلى أي قصور يمكن أن يكون قد وقع فيه...نسأل الله العظيم أن يقبل عمله، وينزل عليه فيضا من رحمته، إنه سميع مجيب الدعاء.

الحسن بن طلال

---

(1) أخرجه البخاري من حديث عثمان بن عفان، أنظر: العراقي: أبو الفضل زين الدين ، **" المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار "**، مصدر سابق، ص٣٢٣

(2) حديث صحيح، أخرجه مسلم من حديث أبو هريرة، أنظر: ابن الملقن، **"البدر المنير "**،مصدر سابق، ج٧، ص١٠١

الملحق الثالث:

كلمة معالي الدكتور ناصر الدين الأسد في الشيخ وتفسيره([1]):

يعز عليّ أن أكتب هذه السطور بعد وفاة الصديق العزيز والأخ الجليل الشيخ إبراهيم القطان، وأن أعيش معه في جوّ الموت، أذكره مقروناً باسمه، بعد أن كانت الحياة ملء نفسه وإهابه، ينساب إليها انسياباً هادئاً: تراه..فتراها في أنبل صورها وأبهى حُللها، وتسمعه... فتسمعها في أوضح تعابيرها وأجلى معانيها، فكأنهما صِنوان يجريان معاً، بينهما من المَشابِهِ ما يُذكِّر أحدهما بالآخر، وكان يفيض من روحه ومن حياته روحاً وحياة في الآخيرين: ما جاءه أحد مغموماً يَشْغَل بالهُ بعض ما يضيق له صدره إلا فرج عنه غمه أو أكثره، وشرح له صدره فأذهب عنه ما كان يشكو منه أو خفّفه، كنا نستفتيه في أمور دنيانا وفي أمور ديننا معاً، ونلجأ إليه حين ندرك أننا ألمنا بذنبٍ أو وقعنا في حرج، فكانا يختار لنا من غزير معرفته واطلاعه وحفظه أوسع السبل وأيسرها – وكانت التوسعة والتيسير على الناس من خُلقه – فلا تلبث أن تطمئن الخواطر، وترتاح الضمائر.

كانت إطلالة طلعته، وحسن بزته، ووقار سَمته، وتمكن جلسته، وعذوبة بسمته، أول ما يطلعنا منه، فتستقرّ النفوس وتهدأ، نحاول أن نسايره في بعض حاله، ونقلده في بعض شأنه، كأنما نخجل أن نبدو على خلاف ما يبدو عليه من الهدوء والثبات، وما يكاد جليسه يحدثه بسريرته، ويكشف له عمّا يستبدّ به – مهما يكون موضوع الحديث – حتى ترى نظرته الهادئة الحانية باقيةً كما كانت، لا يصيبها من الغشاوة واضطراب الحركة ما يصيب عادةً من يُدهِشه ما يسمع أوي يُحيِّره، فيكون ذلك ثانيَ ما يطلعنا منه، فتزداد النفوس طُمأْنينة.

فيبدأ يتحدث: فإذا الصوت المؤنس الذي يشد السامع إليه شدّا، وإذا اللفظ السهل الخفيف الذي يقطر رقة وملاينة، وإذا المعنى الواضح القريب إلى العقل والقلب يسري كل ذلك إلى جليسه، فيفيء إلى الراحة والهدوء، وينطلق إلى الحياة خفيفاً سعيداً، مقبلاً عليها، مبتهجاً بها، بعد أن سمع من الحديث ما جعل هذه الحياة تعود إليه وتقبل عليه.

ما سمعناه مرّة مجابهاً لأحد بتأنيب أو مواجهاً له بتعنيف، ولم نره قطُّ مربدّ الوجه من أثر الغضب أو الملاحاة، ولم نشهده في مجلس يشتدّ فيه الجدل والخصام مشاركاً في شيء منه، فإن استطاع أن يفصل الأمر بالقول اللّين والكلمة الطيبة فَعَل، وإلّا آثرَ الصمت، كأنما كان يخشى أن يصدر منه ما يؤذي سمع جليسه أو يجرح نفسه.

---

(1) من مؤسسي الجامعة الأردنية ورئيساً لها من الفترة (١٩٦٢ – ١٩٦٨م)، ووزيراً للتعليم العالي في الأردن، ورئيس جامعة عمان الأهلية، وسفيراً للملكة الأردنية في السعودية، وله عدة مؤلفات، من بينها كتاب (مصادر الشعر الجاهلي) الذي رد فيه على طه حسين، في كتابه (في الشعر الجاهلي) والذي أثار ضجة كبيرة عند صدوره، أنظر: القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص: ث.

هذه بعض صفات خُلقه، عرفته بها أربعين سنةً أو تزيد، لم تغيِّر من حاله تقلبات الدنيا في شدتها وفي رخائها، وإن كانت الأيام قد زادته تجربةً وحكمة، فأنضجت رأيه، وثبّتته على ما كان عليه من رحابة الصدر وسعة الأفق ومواساة الناس.

أما علمه فقد كان – لفرط تواضعه – يخفيه أو يكاد، وأنَّى لمثل ذلك العلم أن يخفى! كان رحمه الله يجمع بين المنقول والمعقول، وبين الرواية والدراية، في نسق مطرد، يفضي قديمُه إلى جديده، ويستقي طريفُه من تليده، ويلتقي الماضي بالحاضر، والتراث بالحديث المعاصر، وعسى أن ينهض من محبِّيه وعارفي فضله من يطبع ما لايزال مخطوطاً من آثاره، ويعيد طباعة ما نَفِذَتْ طبعته، وفاء لذكرى الرجل، ونشراً لعلمه، وتقريباً له إلى الناس.

الدكتور ناصر الدين الأسد

الملحق الرابع:

كلمة معالي السيد بشير الصباغ في الشيخ وتفسيره [1]:

سماحة الأخ: (أبي اياد)

تحية إكبار وتقدير:

وبعد، تسلمت بالشكر والامتنان هديتكم المجلد الثاني من (تيسير التفسير) وكأني كنت على موعد معه، لأستأنف رفقة كتاب الله مع عالم أحاط بأمهات كتب التفسير والتاريخ واللغة، يتحرى الحقيقة، ويهتم بالجوهر، ويكتب للعامة والخاصة بأسلوب سهل وعبارة واضحة، وهذا هو مطلب كل مسلم في هذا العصر، ومطلب المربين والمربي المسلم على وجه الخصوص، وقد لمسوا صعوبة كتب التفسير واستغلال بعضها على أفهامهم، فاليسر الذي اتصف به (تيسير التفسير) خصيصة من خصائص العقيدة الإسلامية، والشريعة التي أنبثقت عنها، وهومنهج تشكرون على إحيائه في تفسير كتاب الله، لأن الله الرحمن الرحيم، يريد للإنسان اليسر لا العسر، فكيف اذا كان اليسر في فهم الورد الخالد – القرآن الكريم – الكتاب الأول للمسلم، في البيت وفي المدرسة وفي الحياة يتلوه ويتدارسه، ليفوز بالعقيدة الصافية والسلوك القويم، وليغدو طالب علم ومعرفة، قارئاً ممتاز يفهم ما يقرأ ويُمعن النظر في كل ما يقرأ من مصنفات العلوم والمعرفة، ويملك زمام اللغة الشريفة، وتلكم هي أهداف التربية الإسلامية التي لا تتحقق إلا بتوثيق صلة الفرد بالقرآن الكريم، تلاوة وتفسيراً وتدبراً.

إنني أتطلع بأمل ورجاء أن يعم نفع (تيسير التفسير)، فتبادر وزارة الأوقاف إلى تبني مشروع إصدار طبعة جديدة للقرآن الكريم ولأجزائه، خاصة بطلبة المؤسسات التعليمية، تتضمن ما جاء في (تيسير التفسير)، وهومشروع – كما أحسب – يحظى بأولوية بارزة بين الشؤون الإسلامية، إذ يتصدى لإحكام صلة الطالب بالقرآن الكريم، ويستهدف خدمة التربية الإسلامية.

عسى أن يحقق المولى الرجاء، ويكتب لكم طلب البقاء، لتتموا (تيسير التفسير)، محتوياً الأجزاء الثلاثين، هدية نفيسة للمكتبة الإسلامية، وخدمة جليلة لتربية المسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بشير الصباغ

---

(1) من مؤسسي الكلية العلمية الإسلامية، ورئيساً لها، وشغل عدة مناصب، من بينها قاضي القضاة، ووزيراً للشؤون الإجتماعية، وزيرا للتربية والتعليم، وله عدة مؤلفات، أنظر: القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص: ٦٦٦

الملحق الخامس:

المراجع التي ذكرها الشيخ القطان في تفسيره([1]):

١- إبليس عباس محمود العقاد كتاب الهلال

٢- الإتقان في علوم القرآن المطبعة الأزهرية – مصر

٣- الاجتهاد في الإسلام، الإمام السيوطي طبع في الجزائر

٤- أحكاك أهل الذمة، ابن القيم دار العلم للملايين – بيروت

٥- أحكام القرآن – الجصاص المطبعة البهية – مصر

٦- إحياء علوم الدين – الغزالي مطبعة لجنة الثقافة القاهرة

٧- أسباب النزول – الواحدي دار الكتب العلمية – بيروت

٨- الإسلام ومشكلات الحضارة – سيد قطب بيروت

٩- الإسلام يتحدى – وحيد الدين خان دار البحوث العلمية

١٠- الإصابة – ابن حجر المكتبة التجارية القاهرة

١١- اظهار الحق – رحمة الله الهندي مكتبة الوحدة العربية المغرب

١٢- إعجاز القرآن – البقلاني المطبعة الأزهرية – مصر

١٣- الأعلام الزركلي الطبعة الثانية

١٤- أعلام الموقعين، ابن القيم المطبعة المنيرية القاهرة

١٥- الله، عباس العقاد كتاب الهلال القاهرة

١٦- بدائع السماء، عبد الرحيم بدر المكتبة العصرية بيروت

١٧- بداية المجتهد، ابن رشد المطبعة الجمالية مصر

١٨- بلوغ الأرب، الآلوسي المطبعة الرحمانية القاهرة

١٩- التاج الجامع للأصول، منصور ناصف عيسى البابي الحلبي القاهرة

٢٠- تاج العروس من شرح القاموس، الزبيدي دار التوزيع ليبيا

٢١- التاريخ اليهودي العام، صابر طعيمة دار الجيل بيروت

٢٢- تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم مطبعة الإمام

٢٣- الترايب الإدارية، الشيخ الكتاني المطبعة الأهلية الرباط.

٢٤- التربية والأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن مكتبة الخانجي مصر.

(1) أنظر: القطان، تيسير التفسير، ج٤، ص ٦٧٥

٢٥- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي المكتبة التجارية مصر.

٢٦- التعريفات السيد الجرجاني الدار التونسية للنشر تونس.

٢٧- تفسير الطبري مصطفى البابي الحلبي

٢٨- تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت دار القلم بيروت.

٢٩- تفسير روح البيان، اسماعيل حقي المكتبة الإسلامية.

٣٠- تفسير الجلالين بحاشية الجمل مطبعة حجازي القاهرة.

٣١- تفسير الخازن طبعة دار الفكر

٣٢- تفسير الميزان للطبطائي دار الكتب الإسلامية طهران.

٣٣- تفسير الكشاف المكتبة التجارية مصر.

٣٤- تفسير المنار مطبعة المنار.

٣٥- تفسير ابن كثير دار إحياء التراث بيروت

٣٦- تفسير مجمع البيان، الطبرسي مطبعة العرفان صيدا.

٣٧- تفسير القرطبي دار الكتب القاهرة.

٣٨- تفسير الكاشف، محمد جواد مغنية دار العلم للملايين، بيروت

٣٩- تفسير محمد فريد وجدي مكتبة القاهرة.

٤٠- تفسير النسفي دار الفكر بيروت.

٤١- التفسير الواضح، ابن الخطيب المطبعة المصرية.

٤٢- تفسير ابن جُزيّ المكتبة التجارية

٤٣- تفسير ابن باديس دار الفكر بيروت.

٤٤- تفسير فتح القدير، الشوكاني دار المعرفة مصر.

٤٥- تفسير المراغي مصطفى البابي الحلبي القاهرة.

٤٦- تفسير التبيان للطوسي مطبعة النجف

٤٧- تفسير الرازي المطبعة الخيرية مصر.

٤٨- تفسير البيضاوي مطبعة محمد صبح

٤٩- تفسير ابي السعود المطبعة المصرية

٥٠- تفسير الآلوسي المطبعة المنيرية القاهرة

٥١- تفسير الظلال دار إحياء الكتب العربية.

٥٢- تفسير الجواهر طنطاوي جوهري المكتبة الإسلامية.

٥٣- تفسير المؤمنين لعبد الودود دار الرشيد دمشق.

٥٤- تفسير القاسمي عيسى البابي الحلبي القاهرة.

٥٥- تفسير جزء عمّ لمحمد عبده مطابع الشعب القاهرة.

٥٦- تفسير صفوة التفاسير، الصابوني دار القرآن الكريم، بيروت.

٥٧- التفكير فريضة إسلامية، عباس العقاد القاهرة.

٥٨- الجُمان في تشبيهات القرآن، ابن ناقيا البغدادي وزارة الأوقاف الكويت.

٥٩- حياة محمد، حسين هيكل مكتبة النهضة المصرية.

٦٠- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب دار الشروق، بيروت.

٦١- الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام، الإمام السهيلي، دار الكتب الحديثة مصر.

٦٢- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، محمد حبيب الله الشنقيطي، عيسى البابي الحلبي.

٦٣- العرب واليهود، احمد سوسة العربي للإعلان والنشر.

٦٤- فتح الباري، ابن حجر المطبعة البهية مصر.

٦٥- فقه السنة، سيد سابق دار الكتاب العربي بيروت.

٦٦- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكايى دار المعارف بيروت.

٦٧- قصص الأنبياء عبد الوهاب النجار مطبعة مصر.

٦٨- كتاب الخراج، أبويوسف المطبعة السلفية القاهرة.

٦٩- كتاب المصاحف، أبو بكر عبد الله بن أبي داود المطبعة الرحمانية مصر.

٧٠- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي الفاروقي وزارة الثقافة مصر.

٧١- لسان العرب المطبعة الأميرية القاهرة.

٧٢- ما يقال عن الإسلام، عباس العقاد دار الكتاب العربي بيروت.

٧٣- المرأة في القرآن، عباس العقاد دار الكتاب العربي بيروت.

٧٤- مرآة الإسلام، طه حسين دار المعارف مصر.

٧٥- المسيح والتثليث،الدكتور وصفي القاهرة.

٧٦- مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الأسد دار المعارف القاهرة.

٧٧- مصحف الشروق دار الشروق.

٧٨- معجم البلدان، ياقوت الحموي مطبعة الخانجي القاهرة.

٧٩- معجم قبائل العرب، كحالة دار العلم للملايين بيروت.

٨٠- معجم ما استعجم، البكري مطبعة لجنة التأليف القاهرة.

٨١- مفتريات على الإسلام، أحمد جمال دار الفكر، بيروت.

٨٢- مفردات الراغب دار الفكر بيروت.

٨٣- مكايد اليهود عبر التاريخ، عبد الرحمن حبنكة دار القلم بيروت.

٨٤- من خلق القرآن، محمد عبد الله دراز إدارة الشؤون الدينية قطر.

٨٥- مناهل العرفان، الزرقاني دار إحياء التراث بيروت.

٨٦- منتخب التفسير المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر.

٨٧- الموفقات، الشاطبي المكتبة التجارية القاهرة.

٨٨- الموسوعة العربية الميسرة مؤسسة فرانكلين القاهرة.

٨٩- النجوم في مسالكها، جيمز جينز(ترجمة أحمد عبدالسلام) لجنة التأليف والنشر مصر.

٩٠- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري المكتبة التجارية الكبرى.

٩١- النهاية، ابن الأثير المطبعة الخيرية القاهرة.

٩٢- نيل الأوطار، الشوكاني المطبعة العثمانية المصرية.

٩٣- هذه الشجرة، عباس العقاد دار الكتب العربي بيروت.

٩٤- الوحي المحمدي، سيد رشيد رضا مطبعة المنار.

٩٥- اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين مطبعة السنة المحمدية.

٩٦- اليهود: نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة، زكي شنودة مكتبة النهضة مصر.

Abstract of the thesis

Title:

Sheikh Ibrahim Al-Qattan approach in its interpretation named (to facilitate interpretation)

Prepared by the student: Abdel Aziz Nasri

Supervised by: Dr. Salah Abdal Fattah Al-Khalidi

This study dealt with Sheikh Ibrahim Al-Qattan approach in his interpretation named (facilitation of interpretation) which is a contemporary interpreter, he left to us an interpretation with advantage of easy words, and away from the baroque and complex, which is printed in four volumes, the study was according to the assets of the known methodology and research in the field of scientific research, and adopted by the inductive and descriptive approach and the and analytical and critical approach. The study came in five chapters conclusion, where in the first chapter, the researcher defines Sheikh Al-Qattan, who lived between the period (1918 - 1984 AD), and subjected to his personal and scientific life, and his works and the elderly, the most important positions held, as minister, ambassador, a judge, an inspector, a teacher, an imam and preacher.

In the second chapter, the researcher introduces a definition of his interpretation, and the way he pursued it, and in the third chapter, he presented the most important sources that adopted in the interpretation, while in the fourth chapter, the researcher tried to detection the Sheikh’s method in the interpretation by Mathur, and issues of Quranic sciences, such as Quran’s reasons to get down and Makki and Madani, and copying and readings Quranic verses and stories.

In chapter five, the researcher placed this interpretation in the balance, including its advantages and shortcomings, and in end of the study it was the conclusion, in which he sum up the findings and ideas, where the most important point was to attempt to define charismatic Sheikh Al-Qattan to the scholars and researchers by , and shed light on his interpretation, and the statement of his approach, and highlight his scientific value, an opportunity to demonstrate the extent and status of the interpreter.

Hoping to God the Almighty that have helped me and assisted me and paid my fault, he is best to protect and advocate.